

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

ISBN 978 - 9948 - 09 - 568 - 2

حقوق الطبع محفوظة

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
إدارة البحوث

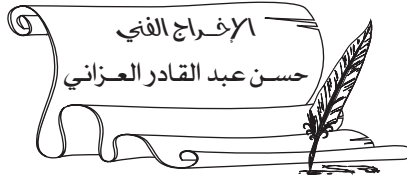
هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١ + فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١ +
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٢١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae

٥٠٠



التدقيق اللغوي

شروق محمد سلمان





كتاب الخواتيم

(خواتيم مجالس الوعظ)

للإمام المفسر الحافظ الفقيه المُتفَنُّن الأديب
الشاعر واعظ الإسلام أبي الفرج عبد الرحمن
ابن الجوزي البغدادي

(٥١٠ - ٥٩٧ هـ)

عني به

د. عبد الحكيم الأنيس

كبير باحثين أول بإدارة البحوث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

افتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فيسر « دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي - إدارة البحوث » أن
تقدم إصدارها الجديد « كتاب الخواتيم » للإمام المفسر المتفنن الأديب الشاعر
واعظ الإسلام الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي،
لجمهور القراء من السادة الباحثين والمثقفين والمتطلعين إلى المعرفة.

وقد جعله مؤلفه أربعين فصلاً.

تناول في الفصول الخمسة الأولى شيئاً من قصص آدم، ويوسف، وأيوب،
وموسى، وداود.

ثم أورد خمسة وثلاثين فصلاً، يدور معظمها حول معالجة أمراض النفس،
والتوبة الصادقة، والاستقامة، والإقبال على الله، ومحبتِه، والخوف منه، وأداء
الشعائر أداءً حقاً.

وأسلوبُ الشيخ رائق رائع، وقد استخدم المحسنات البديعية، وظهرت
مهارته في الكلام أظهر ما يكون، ولا عجب في ذلك إذا علمنا أنه كان موهوباً في
هذا الفن، وأنه انتقى من كتبه السابقة عليه أكثر كلامه حرارة، وأنه كان يصدر
في ذلك عن قلب عامر، ولسان ذاكر.

وقد ذكّر شعراً لأكثر من (٨٠) شاعراً، وهذا يدلُّ على سعة اطلاعه
ومحفوظه، وفيه كذلك من شعر نفسه .

وفرغ منه في يوم الخميس (١٩) من ذي الحجة سنة (٥٨١) بالمدرسة
الشاطئية باب الأزج ببغداد.

ووصلت إلينا نسخة المؤلف نفسه، وعنهما يطبع لأول مرة.

وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقدم عظيم الشكر والدعاء لأسرة آل مكتوم
حفظها الله تعالى التي تحب العلم وأهله، وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة
بكل تميز وإقدام، وفي مقدمتها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد
آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي الذي يشيّد
مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي، ويشجع أصحابه وطلابه .

راجين من العليّ القدير أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا التوفيق والسداد،
وأن يوفق إلى مزيد من العطاء على درب التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم على النبيّ الأمي
الخاتم سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إدارة البحوث





الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه.

وبعد: فقد كان الإمام أبو الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي البغدادي أشهرَ
واعظٍ في تاريخ الإسلام، وقد بُهرَ به مَنْ حضرَهُ ورآهُ وسمعَهُ مِنَ السَّامِعِينَ
والرَّحَالَةِ والمؤرِّخِينَ، مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وكان له صولاتٌ
وجولاتٌ في بغداد على مدى سبعين عاماً^(١)...

وقد أُلِّفَ في فنِّ الوعظ مؤلفاتٌ كثيرةٌ، وعدَّ له سبطُهُ في ذلك (٦٣)
مؤلِّفاً^(٢)، وهناك غيرها^(٣).

(١) وحج سنة (٥٥٣هـ) فتكلّم في الحرم المكي نوبتين. انظر المنتظم (١٠/١٨٢).

(٢) انظر مرآة الزمان (٢٢/٩٩).

وهي ما بين مطبوع ومخطوطٍ ومفقودٍ (أو متوار)، والمطبوعُ أكثر من عشرة،
والمخطوط أكثر من عشرة أيضاً.

(٣) وقال عنه الشيخ ابن تيمية: «وله في الوعظ وفنونه ما لم يُصنَّفْ مثله». الذيل على طبقات
الحنابلة (٢/٤٨٩).

ومَّا أَلْفَهُ فِي ذَلِكَ كِتَابٌ سَمَّاهُ: «المقاطع» انتقى فيه أشعاراً لطيفةً، تصلحُ لختام مجالس الوعظ، ثم رأى أنه يصلحُ أن يتقدّمها ما يُلائمها من الكلام، لئلا تأتي مفردةً فلا يتبيّن لها معنى، فألّفَ هذا الكتاب الذي أُقدّم له، وسَمَّاهُ: «الخواتيم» أي خواتيم مجالس الوعظ.

وهذا الكتاب انتقاه من مؤلفاته السابقة، وآثر أن يكون المنتقى من أقوى كلامه حرارةً، وضمَّ كلَّ شيءٍ إلى ما يليق به، وهدفه كما قال في مقدمته أن يكثر «عدد الكؤوس المُسكرّة، فيُخلّف سكرانُ الوجد طريحاً في الدار بعد رحيل السّفَر».

وهذا يعني أن كتاب «الخواتيم» يشتمل على كتاب «المقاطع»، فهما كتابان في كتاب، وهذا مكسبٌ كبيرٌ؛ لأنَّ «المقاطع» لم يصل إلينا. وقد جعله أربعين فصلاً.

تناول في الفصول الخمسة الأولى شيئاً من قصص آدم، ويوسف، وأيوب، وموسى، وداود.

= وقال ابن كثير: «وتفرّد فنّ الوعظ الذي لم يُسبق إلى مثله، ولا يلحق شأوه فيه، وفي طريقتة، وشكله، وفي فصاحته، وبلاغته، وعذوبة كلامه، وحلاوة ترصيعه، ونفوذ وعظه، وغوصه على المعاني البديعة، وتقريبه الأشياء الغريبة بما يُشاهد من الأمور الحسّية، بعبارةٍ وجيزةٍ سريعةٍ الفهم والإدراك، بحيث يجمع المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة». البداية والنهاية (٤٦٦/١٤).



ثم أوردَ خمسة وثلاثين فصلاً، يدورُ معظمُها حول معالجةِ أمراض النفس، والتوبةِ الصادقةِ، والاستقامةِ، والإقبالِ على الله، ومحبتِهِ، والخوفِ منه، وأداءِ الشعائرِ أداءً حقاً.

توثيق نسبة الكتاب:

وصلَ إلينا هذا الكتابُ بخطِّ المؤلف.

وقد نسبهُ إليه سبطهُ أبو المظفر يوسف في «مرآة الزمان»^(١).

والذهبي في «تاريخ الإسلام»^(٢)، و«سير أعلام النبلاء»^(٣).

والصفدي في «الوافي بالوفيات»^(٤). وغيرهم.

تنبيه على خطأ في ذكر العنوان:

جاء في مسرد مؤلفات الشيخ في «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن

رجب: «النحاة الخواتيم»^(٥).

(١) (٩٩/٢٢).

(٢) (١١٠٣/١٢)، ط دار الغرب.

(٣) (٣٦٩/٢١).

(٤) (١٩٠/١٨).

(٥) الذيل (٤٢٠/٣) من طبعة حامد الفقي، و(٤٩٦/٢) من طبعة الدكتور عبدالرحمن العثيمين.

ومثل ذلك في «المنهج الأحمد» (٢٧/٤)، و«الدر المنصّد» للعُلَيْمي (٣١٢/١).



وهذان كتابان، لا كتاب واحد، والصواب: «النجاة»^(١)،

«الخواتيم»^(٢).

و جاء ذكره في «معجم الكتب»^(٣) لابن المبرد: «النجاة بالخواتيم» وهو

خطأ أيضاً.

أسلوب الشيخ فيه:

أسلوبُ الشيخ رائق رائع، وقد استخدمَ المحسّنات البديعية، وظهرتْ مهارتُهُ في الكلام أظهرَ ما يكون، ولا عجبَ في ذلك إذا علمنا أنه كان موهوباً في هذا الفنّ، وأنه انتقى من كتبه السابقة عليه أكثرَ كلامه حرارة، وأنه كان يصدر في ذلك عن قلب عامر ولسان ذاكِر.

(١) وأرجح أنّ «النحاة» تحريف، وقد ذكره السبّطُ فيما جدّه من مؤلفاتِ في الرياضات. انظر مرآة الزمان (٩٨/٢٢).

(٢) ذكرَ الأستاذ عبد الحميد العلوجي في كتابه «مؤلفات ابن الجوزي» ص ٥٣٤ هذا العنوان (النحاة الخواتيم)، وقال:

«ذكره ابنُ رجب في الذيل على طبقات الحنابلة. ويبدو في هذا العنوان خلط، فقد ذكره سبّط ابن الجوزي بعنوان (الخواتيم) وحسب».

أقول: ليس الخلط من ابن رجب، وإنما من الناشر الذي وضع قوساً واحداً للعنوانين. وليس في الأمر خلط أصلاً، فالنجاة (وليس النحاة) كتابٌ آخر لابن الجوزي.

(٣) ص ٨٥.



يقول الحافظ ابن رجب في ترجمته: «قال ابن النجار - بعد ذكره نبذة من أسماء مُصنَّفاته - : مَنْ تَأَمَّلَ ما جَمَعَهُ بانَّ له حَفْظُهُ وإِتْقَانُهُ، ومقدارُهُ في العلم.

وكان - رحمه الله - مع هذه الفضائل والعلوم الواسعة ذا أورادٍ وتألُّهٍ، وله نصيبٌ من الأذواق الصحيحة، وحظٌّ من شربِ حلاوةِ المناجاةِ. وقد أشار هو إلى ذلك.

ولا ريبَ أنَّ كلامَهُ في الوعظِ والمعارفِ ليس بكلامِ ناقلٍ أجنبيٍّ مُجرَّدٍ عن الذوق، بل كلامِ مشارِكٍ فيه.

وقد ذكر ابنُ القادسي في تاريخه: أنَّ الشيخ كان يقومُ الليل، ويصومُ النهار، وله معاملاتٌ، ويزورُ الصالحين إذا جنَّ الليل، ولا يكادُ يفتُرُ عن ذكر الله»^(١).

وقد طغى الشعرُ على النشرِ لما قدَّمتُ أنَّ أصلَ الكتاب «المقاطع» وهو شعرٌ كله، ثم رأى أن يُضيف إليه ما يلائمه من الكلام.

وقد ذكَّرَ شعراً لأكثر من (٨٠) شاعراً^(٢)، وهذا يدلُّ على سعة اطلاعه

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٤٨٦).

(٢) وسيزيد العدد لو وقفنا على نسبة ما لم نقف عليه الآن.



ومحفوظه^(١)، وفيه كذلك من شعر نفسه^(٢).

ولم ينسب هذا الشعر إلى قائله مطلقاً، كما درج على ذلك في كتبه الوعظية الأخرى - سوى «المدهش»^(٣) -، ولعله أراد أن يتفرغ القارئ

(١) للشيخ كتاب سماء: «المختار من الأشعار» في عشر مجلدات. مرآة الزمان (٩٨ / ٢٢).

وقال ابن كثير في «البدية والنهاية» في حوادث سنة (٥٨٩)، (١٤ / ٤٢٤ - ٤٢٥):
«وفيها أنفذ الخليفة الناصر العباسي إلى الشيخ أبي الفرج بن الجوزي يطلب منه أن يزيد على أبيات عدي بن زيد المشهورة ما يناسبها من الشعر، ولو بلغ ذلك عشر مجلدات، وهي هذه الأبيات:

أيها الشامتُ المعيرُ بالدهر أأنتَ المبرأُ الموفورُ؟
أم لديك العهدُ الوثيقُ منَ الأيامِ بل أنتَ جاهلٌ مغرورُ
منَ رأيتَ المنونَ خلدنَ أم منَ ذا عليه منَ أن يُضامَ خفيرو؟
أين كسرى كسرى الملوكِ أبو ساسانِ أم أين قبله سابورُ؟
وبنو الأصفرِ الملوكِ ملوكِ الرومِ لم يبقَ منهمُ مذكورُ
وأخو الحضرِ إذ بناه وإذ دجلة تُجبي إليه والخابورُ
شاده مرمراً وجلله كلساً فللطيرِ في ذراهُ وكورُ
لم تهبه ريبُ المنونِ فزالَ الملكُ عنه فبابه مهجورُ
وتذكّرَ ربَّ الحورنقِ إذ أشرفَ يوماً وللهدى تكفيرُ
سرّه حاله وكثرة ما يملكُ والبحرُ مُعرضاً والسديرُ
فارعوى قلبه وقال وما غبطةٌ حيي إلى المماتِ يصيرُ؟
ثم بعدَ النعيمِ والملكِ والنهي والأمرِ وارتممُ هناكِ قبورُ
ثم أضحوا كأنهم أورقُ جفّتْ فألوتْ بها الصبا والدبورُ
غيرَ أنَ الأيامَ تختصُّ بالمرءِ وفيها العظاُتُ والتفكيرُ».

(٢) عرفتُ هذا لقيامي بجمع شعره من قبل، وللشيخ: «ما قلته من الأشعار. جزء» (انظر

الذيل لابن رجب ٢ / ٤٩٥)، ولم يصل إلينا، أو هو متوارٍ في مكانٍ ما.

(٣) وهل النسبة فيه من المؤلف أو من غيره؟ يُنظر ويُبحث، فقد وُجدتْ في بعض النسخ

دون بعض.



للمعنى، ولا يشتغل بالقائل، وربما ليسوعَ له التصرف.

وهذا الشعرُ عموديٌّ، ودوبيت، وفيه من «كان وكان» بيتان فحسب^(١).

وأكثر من ذكر له شعراً: مهيار الديلمي (ت: ٤٢٨هـ)، ثم الشريف

الرضي (ت: ٤٠٦هـ)، ثم صردر (ت: ٤٦٥هـ)، والثلاثة بغداديون.

وهو يختار من قصائد، ولا يلتزم تسلسل المختار، وقد يقدم ويؤخر.

وقد يتصرف في الألفاظ، ومن ذلك تغيير ضمير المؤنث إلى مُذكرٍ

أو جمع.

ويكرّر بعض الأشعار.

ولحظت أنه مزج بين شعرِ شاعرين في أكثر من خمسة عشر موضعاً!

وأبرز ما يسجل هنا أنه حوّل ما أورده من الشعر إلى وجهةٍ أخرى غير

ما قصده الشاعر... وهذا مقصدٌ جميل، وبراعةٌ واضحة.

وهو يوظف هذا الشعر حسب إشاراته، ومن اللطائف ما قاله ابن

خلكان في ترجمة الشاعر البارع ابن المعلم الواسطي: «وحكي عن ابن

المعلم المذكور أنه قال: كنت ببغداد، فاجتزت يوماً بالموضع الذي يجلس

(١) والبيتان له من كتابه «لقط الجمان في كان وكان».



فيه أبو الفرج ابن الجوزي للوعظ، فرأيتُ الخلق مزدحمين، فسألتُ بعضهم عن سبب الزحام فقال: هذا ابن الجوزي الواعظ جالس، ولم أكنُ علمتُ بجلوسه، فزاحمتُ وتقدّمتُ حتى شاهدتهُ وسمعتُ كلامه وهو يعظ، حتى قال مستشهداً على بعض إشاراتِه: ولقد أحسنَ ابنُ المعلّم حيث يقول:

يزدادُ في مسمعي تكرارُ ذكركمُ طيباً، ويحسُنُ في عيني تكرُّره^(١)

فعجبتُ من اتفاقِ حضوري واستشهادِه بهذا البيت من شعري، ولم يعلم بحضوري لا هو ولا غيره من الحاضرين.

وهذا البيتُ من جملة قصيدة له مشهورة^(٢).

تاريخ التأليف ومكانه:

علمنا من ختام النسخة أنَّ المؤلّف فرغ منه في يوم الخميس (١٩) من ذي الحجة سنة (٥٨١) بالمدرسة الشاطئية^(٣) بباب الأزج^(٤).

وهذه المدرسة وقفتها جهةُ الخليفة المستضيء «بنفشه»^(٥) سنة (٥٧٠هـ)،

(١) وهذا البيت من قصيدة ذكرنا هنا بعض أبياتها في الفصل (١٨).

(٢) وفيات الأعيان (٨/٥).

(٣) في كتاب «الكتاب العربي المخطوط» للدكتور أيمن فؤاد سيد (٥٧٦/٢): «الشاطئية» لأنّ الكلمة غير منقطة في الأصل. وهو خطأ.

(٤) يُعرفُ باب الأزج الآن بباب الشيخ.

(٥) «بنفشه» اسمٌ فارسيٌّ يعني زهرة البنفسج. أفاده الشيخ نظر الفارياي.



وسلّمها إلى ابن الجوزي، وكان يوم افتتاحها يوماً مشهوداً^(١).

وكانت إقامة الشيخ فيها إلى حين نفيه إلى واسط سنة (٥٩٠هـ).

وقد تجاوز عمره حين فراغه من هذا الكتاب السبعين من العمر.

مصادره:

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ فِي مَقْدَمَتِهِ أَنَّهُ سَبَقَ لَهُ فِي فَنِّ الْوَعْظِ كِتَابٌ، وَأَنَّهُ آثَرَ أَنْ يَتَّقِيَ مِنْ أَقْوَى الْكُلِّ حَرَارَةً... وَلَمْ يُصْرِّحْ بِعَنَاوِينِ تِلْكَ الْكُتُبِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ، وَرَأَيْتُ جَمَالاً وَعِبَارَاتٍ مِمَّا جَاءَ هُنَا فِي كِتَابِهِ: «التبصرة»، و«اللفظ»، و«المنثور»، و«موافق المرافق»، و«الياقوتة»، و«المواعظ والمجالس»^(٢)، و«المطرب»^(٣).

ونجد كثيراً من أخبار الصالحين الواردة هنا في كتابه «صفة الصفوة».

أما مصادره في الشعر فيمكن تخمينها من مصادر تخريجه.

وانظر عنها «سيدات البلاط العباسي» للدكتور مصطفى جواد.

(١) انظر المنتظم (١٨ / ٢١٠).

(٢) هكذا طُبِعَ هذا الكتاب ولا بُدَّ أَنْ لَهُ عُنْوَانًا مُمَيِّزًا، وَقَدْ سُمِّيَ فِي بَعْضِ مَخْطُوطَاتِهِ بِ: «هَادِي النُّفُوسِ إِلَى الْمَلِكِ الْقُدُوسِ»، وَهَذَا الْعُنْوَانُ غَرِيبٌ أَيْضًا لَمْ يُذَكَّرْ فِي قِوَامِ مَوْالِفَاتِ الشَّيْخِ.

(٣) وكلها مطبوعة عدا «المطرب».



أثره فيما بعده:

وجد أثره في كتاب المؤلف «المدهش» الذي فرغ منه بعد عشر سنواتٍ من تأليفه هذا الكتاب^(١).

وفي كتب الشيخين ابن القيم، وابن رجب إفادة واضحة من كلام الشيخ أبي الفرج، ومنه ما هو في «الخواتيم»، و«المدهش».

النسخة المعتمدة:

هي نسخة المؤلف كما سبق ذكره، وقد جاء في غلافها بخطه:

«من كلام عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي وتأليفه نفعه الله بالعلم آمين».

وقد ضرب على سطورٍ في خمس عشرة ورقة^(٢)، وكتب في الحواشي^(٣)، فهل هي مسودة لم يبيضاها، أو بيضاها ثم بداله أن يُغيرَ فيها؟ الله أعلم،

(١) جاء في آخر «المدهش» (٧٦٤ / ٢): «فرغ منه ناظمه عبدالرحمن بن علي بن الجوزي يوم

الثلاثاء رابع عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وخمس مئة، حامداً الله سبحانه، ومصلياً على رسوله محمد وعلى آله ومسلماً...».

وفي هذا التاريخ كان -رحمه الله- منفيًا في واسط.

(٢) انظر الأوراق (٤، ٥، ٧، ١٠، ١٤، ٢٤، ٣٧، ٤٢، ٤٥، ٥٢، ٥٦، ٥٩، ٦١، ٦٨، ٦٩)،

الفصول (١، ٢، ٣، ٥، ٧، ١٣، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٨، ٣٩).

(٣) انظر الأوراق: (١٣، ٢١، ٢٤، ٣٨، ٤٥، ٤٧، ٥٧، ٦٨).



ولكن يبدو من كثرة التعديل والكتابة على الحواشي أنها مسودة، وربما لم يجد حاجة لتبييضها...

وهذه النسخة أهداها المؤلّف إلى ولده يوسف الذي وُلِدَ سنة (٥٨٠هـ)، وقد جاء على غلافها:

«هذا الكتاب ملكٌ لولدي أبي محمد يوسف نفعه الله، وبلغه الأمل. وكتب ابنُ الجوزي».

ولا ندري متى كتب هذا، وقد كان ليوسف حين فرغ والده منه سنة واحدة، وقوله: «نفعه الله وبلغه الأمل» يُشعرُ أنه كان حين الإهداء يطلب العلم وله أمل، ولعل ذلك كان بعد عودة الشيخ من منفاه في واسط سنة (٥٩٥هـ).

وفي خطِّ الشيخ ظواهر إملائية، يُمكن أفرادها بالذكر، فهو لا يضع ألفاً بعد واو جماعة الفعل، ولا ينقطُ الياء في آخر الكلم، ولا يضعُ همزة في أوله. ويكتب: «بكى»: «بكا».

ومن ذلك أنه كتب: «يئست» هكذا: «ياءست» من غير تنقيط.

والترمز تمييز الحاء بحاء صغيرة تحتها.

وقد ضبط كثيراً من الحروف، ورأيتُ في بعض المواضع نقطاً أو ضبطاً فيه نظراً، ولعله من قارئٍ نظر في الكتاب، والله أعلم.



كما أن بعضهم أضاف كلمة «شعر» عند الشعر في الفصول العشرة الأولى بقصد تمييزه، ثم ترك.

وتقع النسخة في (٧٠) ورقة.

وكان السبط يوسف، وابن رجب، وابن المبرد، والعلمي، قد نصوا على أن الكتاب جزآن، ولم أجد في هذه النسخة تجزئة.

نسختان للكتاب لم نرهما:

جاء على الغلاف تحت قول المؤلف:

«هذا الكتاب ملكٌ لولدي أبي محمد يوسف نفعه الله، وبلغه الأمل.

وكتب ابن الجوزي»:

«نقله عليُّ داعياً لملكه ببلوغ أمله».

وعليُّ هذا - فيما أرجح - هو ابن المؤلف، وُلد سنة (٥٥٠)، وتوفي سنة

(٦٣٠)، وهو الذي كتب له والده «لفته الكبد في نصيحة الولد»، وكان

ناسخاً، ووصل إلينا من مؤلفات والده بخطه: «الموضوعات من الأحاديث

المرفوعات»، و«رؤوس القوارير»^(١).

(١) وكلاهما في تركيا.



وجاء في آخر النسخة تحت قول المؤلف:

«فرغ من هذه النسخة ناظماً^(١) عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي في يوم الخميس تاسع عشر ذي الحجة من سنة إحدى وثمانين وخمس مئة، بالمدرسة الشاطئية باب الأزج حامداً لله ومُصلياً على رسوله محمد وآله أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل»:

«كتبه أجمع أحمد بن محمد بن عبدالله الموصلية عفا الله عنه وعن المسلمين أجمعين».

وهاتان النسختان - نسخة علي بن الجوزي، وأحمد الموصلية - لا أعرف عنهما شيئاً الآن.

رحلة النسخة، وموضعها الآن:

- جاء في الورقة الأخيرة آخر النسخة:

«توفي الشيخ نجيب الدين يعقوب^(٢) [نسبة لم أستطع قراءتها]

(١) هذه الكلمة لا تعني أنه شعر، ويُفسرها قول المؤلف في أول الكتاب: «كتاب الخواتيم من كلام عبد الرحمن... وتأليفه».

(٢) أقول: وهذا الرجل مترجم في «البداية والنهاية» في وفيات هذه السنة (٦٢٣هـ) (١٥٧/١٥).

ونص ترجمته:

«ياقوت - ويقال له يعقوب بن عبد الله - نجيب الدين، متولي الشيخ تاج الدين الكندي، وقد وقف إليه الكتب التي بالخرزانة بالزاوية الشرقية الشمالية من جامع دمشق، =



قدّس الله روحه في يوم الأحد غرة رجب المبارك سنة ثلاث وعشرين وست مئة ببغداد المحروسة، وصلى عليه الشيخ [فراغ في الأصل] ودُفِنَ بمشهد أبي حنيفة رحمه الله تعالى».

ويعقوب هذا من أهل الشام، وربما دلّ هذا على وجود النسخة آنذاك في الشام، فكأن كاتب هذا شاميّ، وقد يشهد لهذا أنه بيّض لاسم الشيخ الذي صلى على المتوفّي، ولو كان حاضراً لما غاب عنه معرفة اسمه.

لكن يبرز هنا سؤال وهو أنّ مالك النسخة يوسف ابن المؤلّف كان حياً في ذلك التاريخ^(١)، فهل يسمح بخروج النسخة من يده؟

-ونجد على الغلاف تملكاتٍ، منها هذا التملك:

«مما تبرك بملكه الفقير إليه سبحانه مصطفى القاضي بمصر المحمية».

= وكانت سبع مئة وأحد وستين مجلداً، ثم على ولده من بعده، ثم على العلماء، فتمحقت هذه الكتب، وبيع أكثرها.

وقد كان ياقوت هذا لديه فضيلة، وأدب، وشعر جيد.

وكانت وفاته ببغداد في مستهل رجب، ودفن بمقبرة الخيزران بالقرب من مشهد أبي حنيفة».

تعلیق: ياقوت أو يعقوب هذا هو مُعتق الكندي، فلعل الصواب: مولى. انظر ترجمة الكندي في البداية والنهاية (٧٣/١٥).

(١) ثم قتله هولاء مع الخليفة المستعصم على باب بغداد سنة (٦٥٦هـ).



وهذا يعني أن النسخة آلت إلى مصر في بعض أدوارها.

- وهي ترقد الآن في مكتبة إنابي في بورصة في تركيا ضمن مجموعة «حسين جليبي»، برقم (٤٣٥) (١).

عملي في الكتاب:

- قمتُ بعد نسخ الكتاب بمقابلة النص، وحلُّ مُشكلاته، فالكتاب - وإن كان بخطِّ المؤلِّف - إلا أنه كان يدعُ حروفاً كثيرةً بلا تنقيط، وقد يصلُّ الحروف بعضها ببعض.

وقد وقع له سهوٌ في بعض المواضع، كما ترى التنبية عليه في الحواشي. وأصاب النسخة ماءٌ في بعض الكلمات، وصعبت قراءة كلمات؛ لكتابتها بخطِّ ناعمٍ بين السطور، أو على الحواشي، فنال منها مقصُّ التجليد، أو التصوير.

- قمتُ بتفتيح الكتاب وتنسيقه وتنسيقاً يسهِّل قراءته والاندماج فيه، والإفادة منه.

(١) وقد ذكر هذه النسخة الأستاذ رمضان ششن في كتابه «مختارات من المخطوطات العربية النادرة في مكتبات تركيا» ص ٤٠. فله الشكر.



- وضبطته نثراً وشعراً ليُدْرَج القارئُ في قراءته، ويتوجه إلى المعنى
توجُّهاً سريعاً.

- عزوتُ الآيات، والأحاديث، والآثار - وهي قليلة -.

وقد تسامح بإيراد بعض الأخبار عن أهل الكتاب.

- بحثتُ عن قائلِي الشعر، ونسبتُ ما عرفتُ قائله، وما لم أعرفه
سكتُ عنه.

ولم أستقصِ اختلافَ الألفاظ، فليس هذا موضعه، وقد يعودُ هذا
الاختلافُ إلى الرواية، أو إلى تصرُّفِ النُسخ، أو إلى تصرُّفِ المؤلِّف، لينسجمَ
مع ما يريدُ من الاستشهاد به، وقد يكون تصرفاً غيرَ مقصودٍ أحياناً، وإنما
حصلَ بسبب كثرةِ محفوظه وتداخلِ الألفاظِ فيما بينها وتعاقبها.

ولعله استجازَ التصرُّفَ لأنه لم ينسبْ هذه الأشعارَ إلى قائلِها، فخرَجَ
عن سياق الرواية.

وقد أبيتُ أرقامَ الأبياتِ المُختارة لِيأخذَ القارئُ تصوُّراً عن طريقته.

وبينتُ ما حصلَ فيه مزجٌ، وهو من شعر شاعرين، وذلك في أكثر من
خمسة عشر موضعاً. والبيانُ بوضعِ نجماتٍ تفصلُ بين الممزوج، وبالتعليق.



- عرّفت بالأعلام، عدا الصحابة - وهم أكثر من سبعين علماً - تعريفاً يليق بهذا الكتاب، ولم أطل، ومعظمهم من رجال «صفة الصفوة»^(١)، فرأيت أن يكون العزو إليه، وهو عزو للترجمة، وللخبر الوارد عن المترجم.

- لم أعرف بالأماكن الواردة في الشعر، ويطلب هذا من مصادره، وقد لا يكون الموضوع المذكور مقصوداً لذاته، وإنما أصبح رمزاً لشيء معين.

- قد يكون في بعض ما قاله المؤلف نظر، أو وجهة نظر أخرى، ولا حرج في ذلك، إذا كان بالدليل، وبالتعبير المناسب لأقدار العلماء.

وقد علقْتُ على شيءٍ من ذلك، كقوله بأنّ الذبيح إسحاق.

- ترجمت للشيخ ترجمة موجزة، وقد قال ابن رجب رحمه الله: «ذكره العماد الكاتب في «الخريدة»، وابن خلكان، والحموي، وابن النجار، وأبو شامة، وغيرهم، وأثنوا عليه مع أن اشتهاؤه بالعلوم والفضائل يُغني عن الإطناب في ذكره، والإسهاب في أمره، فلقد بلغ ذكره مبلغ الليل، وسارت بتصانيفه الركبان إلى أقطار الأرض، وانتفع الناس بها انتفاعاً بيناً»^(٢).

(١) وقد خصّ المؤلف عدداً منهم بكتب كعمر بن الخطاب، وعمر بن عبدالعزيز، والحسن البصري، والفضيل بن عياض، ورابعة، ومعروف الكرخي، وبشر الحافي.

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٤٨٦).



ونسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يتقبل الجهد المبذول فيه، والحمد لله
رب العالمين.

عبد الحكيم الأنيس

دبي: ١٦ من صفر الخير ١٤٣٨ هـ^(١)



(١) وهذا يكون قد مرَّ على تأليف الكتاب وخطَّ الشيخ فيه (١٥٧) سنة. وصدق الشيخُ
المؤلفُ إذ يصفُ الكتابَ بالولدِ المُخلد.



ترجمة المؤلف

هو الإمام الكبير «عالم العراق، وواعظ الآفاق، المكثّر المعجّب، نادرة العالم، حجة الإسلام»^(١) العلامة المتفنّن أبو الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي البغدادي، من ذرية أبي بكر الصديق.

وُلِدَ في بغداد سنة (٥١٠هـ)^(٢)، ونشأ فيها، وطلب العلم باعتناء عمّته، إذ توفي أبوه وهو صغير.

وأخذ العلم عن كثيرين، ذكر منهم في «مشيخته» (٨٦) شيخاً، وثلاث شيخات.

ووعظ وهو صغير، واعتنى بذلك حتى أصبح واعظ الإسلام الأشهر، وترك في هذا الفن مؤلفات رائعة.

وألف في فنون العلم أكثر من (٣٤٠) مؤلفاً.

ودرس في عددٍ من مدارس بغداد.

وبنى لنفسه مدرسة وقف عليها كتبه.

وتوفي في ١٢ من شهر رمضان سنة (٥٩٧هـ)، ودُفِنَ في مقبرة الإمام أحمد بن حنبل في باب حرب، وكان يوم تشييعه ودفنه يوماً مشهوداً، شاركت

(١) وصفه هذا الكتاني في «فهرس الفهارس» (١/٣٠٨).

(٢) وقيل غير ذلك.



فيه الألوْف المؤلِّفة^(١).

وقد أثنى عليه المؤرِّخون ثناءً كبيراً، وأذكر هنا شهادة ثلاثة منهم:

- قال المؤرِّخ ابن أبي الدم (ت: ٦٤٢هـ):

«إمامٌ وقته في علم الوعظ، والحديث، والجرح والتعديل، والتفسير، والتاريخ والسِّير، والفقهِ على مذهب أحمد بن حنبل.

صنَّفَ في كلِّ علم، وطبَّق الأرضَ ذكرُه، واشتهرَتْ تصانيفه.

وكان من الفضل والعلم بمكانٍ عالٍ، وأمَّا علمُ المواعظ وموادِّه فهو

مُسَلَّمٌ إليه»^(٢).

- وقال سبطُه يوسف (ت: ٦٥٤هـ):

«صنَّفَ الكتبَ في فنون كثيرة، وحضَرَ مجالسَه الخلفاءَ والوزراءَ والعلماءَ

(١) له تراجم كثيرة، انظر: خريدة القصر (ج ٣ ص ٢٦٠)، والتقييد (٩٧/٢)، والكمال (٤٥٢/٧)، والتاريخ المظفري (الورقة ١٨٩)، ومراة الزمان (٩٣/٢٢)، والتكملة (٣٩٤/١)، ومشیخة النعال البغدادي ص (١٤٠)، والمذيل على الروضتين (١٠٠/١)، والجامع المختصر (٦٥/٩)، ووفيات الأعيان (١٤٠/٣)، وآثار البلاد (ص ٣٢٠)، والمختصر في أخبار البشر (١٢٦/٣)، ومشیخة قاضي القضاة ابن جماعة (٩١/١)، وتاريخ الإسلام (٢٨٧/٤٢)، وسیر أعلام النبلاء (٣٦٥/٢١)، وتذكرة الحفاظ (١٣٤٢/٤)، والعبر (١١٨/٣)، والمختصر المحتاج إليه ص (٢٣٧)، والمُسْتَفَاد ص (١١٦)، وتاريخ ابن الوردي (١٦٩/٢)، والوافي بالوفيات (١٨٦/١٨)، ومراة الجنان (٤٨٩/٣)، والبداية والنهاية (٢٨/١٣)، والذيل على طبقات الحنابلة (٤٥٨/٢)، وتاريخ ابن الفرات (م ج ٤ ص ٢١٠) وغيرها.

(٢) التاريخ المظفري (الورقة ١٨٩).



والأعيان، وأقل ما كان يحضر مجلسه عشرة آلاف، وربما حضر عنده مئة ألف، وأوقع الله له في القلوب القبول والهيبة.

وكان زاهداً في الدنيا مُتقللاً منها.

وسمعتُهُ يقولُ على المنبر في آخر عمره: كتبتُ بأصبعيَّ هاتين ألفي مجلد^(١)، وتابَ على يدي مئة ألف، وأسلمَ على يدي ألف يهودي ونصراني.

وكان يجلس بجامع القصر^(٢)، والرُّصافة، والمنصور^(٣)، وبابِ بدر^(٤)، وتربة أم الخليفة^(٥)، وغيرها.

وكان يَحْتَمُ القرآنَ في كلِّ سبعة أيام.

ولا يخرجُ من بيته إلا إلى الجامع للجمعة والمجلس^(٦).

وما مازَحَ أحداً، ولا لعبَ مع صبي، ولا أكلَ مِنْ جهةٍ حتى تيقنَ حلَّها، وما زالَ على ذلك الأسلوب حتى توفاه الله تعالى^(٧).

(١) مِنْ تصانيفه، وتصانيف غيره.

(٢) جامع الخلفاء اليوم.

(٣) جامعا الرُّصافة والمنصور لا آثارَ لهما اليوم.

(٤) مِنْ أبواب دار الخلافة العباسية.

(٥) تُعرفُ اليوم بقبر زبيدة خطأ.

(٦) قال الذهبي مُعلقاً على هذا في «سير أعلام النبلاء» (٢١ / ٣٧٠):

«فما فعلت صلاة الجماعة؟».

أقول: في المدارس العلمية مساجد، والظاهر أنه كان يُصلي فيها مع طلابه وتلاميذه.

(٧) مرآة الزمان (٢٢ / ٩٤).



ومن المهم أن نتوقفَ عند قوله: «ولا أكل من جهةٍ حتى تيقنَ حلَّها» فهذا -والله أعلم- وراء ما كتبه اللهُ له مِنْ قبول، وما جعله له من تأثيرٍ في سامعيه، وفي قارئيه، إلى اليوم.

- وقال الإمام الذهبي (ت: ٧٤٨هـ):

«الشيخُ الإمامُ العلامة، الحافظُ المفسِّرُ، شيخُ الإسلام، مفخرُ العراق، جمالُ الدين...»

وكان رأساً في التذكير بلا مدافعة، يقولُ النظمَ الرائق، والنثرَ الفائق بديهاً، ويُسهِّبُ، ويُعجِبُ، ويُطربُ، ويُطِنِّبُ، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حاملٌ لواء الوعظ، والقيِّمُ بفنونه، مع الشكلِ الحسنِ، والصوتِ الطيبِ، والوقعِ في النفوس، وحُسنِ السيرة.

وكان بحراً في التفسير، علامة في السير والتاريخ، موصوفاً بحُسنِ الحديث، ومعرفة فنونه، فقيهاً، عليماً بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة في الطب، ذا تفننٍ وفهمٍ وذكاءٍ وحفظٍ واستحضارٍ، وإكبابٍ على الجمع والتصنيف، مع التصوُّن والتجمل، وحُسنِ الشارة، ورشاقة العبارة، ولطفِ الشمائل، والأوصاف الحميدة، والحرمة الوافرة عند الخاصِّ والعامِّ، ما عرفتُ أحداً صنَّفَ ما صنَّفَ»^(١).



(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٥ و ٣٦٧).



بسم الله الرحمن الرحيم ريسروا
 الحمد لله على التمجيد والشكر له على التوحيد وصلواته على اشرف
 العبيد محمد ووصحبه على الامر الربيب صلواته نوحنا لهم هيا
 المريد وسلم سلما طوبى الخلد لما كان مجلس الوعظ سعى
 ان يكون اشده حرارة وازعاجا اخره وصغرت كتابا
 سميت المعاطع سقيت فيها اشعار الطيفة تصلح لحسام المجلس
 ثم الى راس ان يصلح ان يتقدمها ما يلائمها من الكلام للاماني
 مفرقة فلا ينزلها معنى وقد سبوا في هذا الفرقة الا اني
 اثرت ان اتقى من اقوى الكل حرارة واضم كل شئ الى ما يليه
 به ليكثر عدد الكؤوس المسك فخلق سكران الوحد طرقت
 في الاراء عدد جيل السفر وقد جعلتها اربع فصلا والله المور
الفصل الاول في ذكر ادم عليه السلام
 لما اريد خلق ادم قبل الملائكة يا معجبين بعبادتهم اطلعوا حجات
 صوامعكم وانظروا ما اضعه اخذت قبعة من نزار فصيدت
 عليها اطراف من مارج البحر ليتقيا فنفت الروح في صدق
 الباهن فوا طفلا النعلم بيروح التفهم فقلت انهم

والذي بالبين والسجد بلاني ماجرى ذكر الحمى الا شجاني
 حبوا اهل الحمى ساكن شقي الشوق اليهم ويراني
 كما رمت سلوا عنهم حذب الشوق اليهم بعاني
 احسد الطير اذا طارت الى ارضهم او اقلعت للطير ان
 امتني اني اصحبها خوهم لو اني اعطى الاما
 لا يردوني غراما بعدكم حل في بعدكم ما قد كفا في
 ذهب العمر ولم احظ بكم وتفقت في مليكم رما في
 يا خليلي احفظ اعهدني الذي كتما قبل النوى عاهدتاني
 واذكر اني مثل ذكري لكتما فمن الاصاب ان لا نسياني
 وسلامنا انما هو اهواه على اني جرم صدغي وحفا في
 لما اشتد بكاه ودام اتاه الوحي ما هذا البلاء الذي يدق فلحباب
 لسان حاله

ما رحلت العيس عن ارضكم فرائه عناي شيا حسنا
 هل لنا جوكم مرعوه ومن التعليل قولي هل لنا
 قد شجنا الباس في بعدكم فعدونا باحاديث المني
 يا نذمي على ذكرهم وحدث الشوق وراستكنا
 ولعمري لو وجدنا راحه من هوامك لطابتنا شجنا



أتظن الورق في الأيك تعني انها ضمير جازا مثل حزن في
 لا اراك الله خيرا بعد ما اياها الحادي بنا ان لم يجبي
 هل تبارني التي في الجوى في ديار الحى سوى دار عصم
 هه لها السق ولكن رادنا اننا نكي عليها ونعني
 بار ما ان الخيف هل نعوى بسمع الهم بهم بعد صر
 ارضينا بفتيات اللوى عز زود بالها صفة عشر
 سل اراك الجزع هل مرق به من رقة تراه غير جفني
 واحكيك الغضا هل علمت انها ملك قلبي قبل اذ
 ما اشفع ادم في بليته وعصى بكمال وعلم ولا ردة عن اسجد
 واما خلاصه ذل ظلمناه ما زال مدون بروع قصر العمص
 تحملنا انفس الاسف
 الا يا نسيم الریح من ارض بابل تحمل الى اهل الحجاز سلامي
 وانى لأهوى ان اكون بارضهم على اني مهاستقدت سقامي
~~وهو من اهل الحجاز والى اهل الحجاز سلامي~~
~~وهو من اهل الحجاز والى اهل الحجاز سلامي~~
~~وهو من اهل الحجاز والى اهل الحجاز سلامي~~
 ٥ ٥
الفصل الثاني في ذكر يوسف عليه السلام
 الربا دار فوفه كسر في جوع لذا انما شرفه عاشر منها



والله ملازمي ما انغى عنى وما احتيا لي
 الصبر على الحزن صبر والوصل اذا اطلت على
 امس حنة وسوقى لا الساه مدى اللسان
الفصل التاسع والاربعون
 سب صلاح الدم رقة القلب والعنان مصيبة قونية
 ملاكين دينار ماضر عند بعقوبه اعظم من قسوه القلب
 فراصق قلوبنا فاسيه ياي لها السقا ان لينا
 تغربا الدنيا كانا لانرى وجه العروظا هرا مينا
 كم قد ظننا انها تبق لنا وعند هرا يكرت الظنونا
 ولونه التناك مسحسته وكف من قد جاو السينا
 لما رقت قلوب الصالحين رقت الدموع الى العيون خري
 اسفا على تذبذب النور ه ما هذا العروظا ما كان صار
 عينك عننا بالكا ه اسفا لم يحو ما يؤلمه الهوى والطرود
 ما حشرنا الطرد
 واللهم سادى تغرى لي وقد قطعهم وصل الي اسالى
 اللهم اجمع بين الصاب الميوز ولا تظعننا الاحكام

Handwritten marginal notes in Arabic script, including phrases like "ما انغى عنى", "وما احتيا لي", "صبر على الحزن", "الوصل اذا اطلت", "امس حنة وسوقى", "الفصل التاسع", "سب صلاح الدم", "ملاكين دينار", "فراصق قلوبنا", "تغربا الدنيا", "كم قد ظننا", "ولونه التناك", "لما رقت قلوب", "اسفا على تذبذب", "عينك عننا", "ما حشرنا", "واللهم سادى", "اللهم اجمع".



من يرجع دهرنا نار ص الجزع من الأملار والرؤيا في سلع
 والواصب وليس ذاتي وسعي يلحز زاقم وانت سير ياد معي
 كم كمر اشكو وان نفع السكوي يدق تصري وحل اللوى
 الى حلا على حفاكم تقوى اهوى ولقى الاجفم اهوى
 ان كرا يكاي في هو الكجدي ارحم بلانفق مشدى
 او كتم نرصور بالحفا والصد سبل الامر كم وهرا جدى

اجرا الكتاب والحمد لله

وقع مر هذه التسمية يا كرمه عبد الرحمن على محمد الحورى في يوم
 الخميس التاسع عشر من المحرم سنة احدى وثمان مائة
 بالمدينة الساكنه سان الازح حامد الله ومصلحه على
 رسوله محمد واله اجمعين وحسن الله وبع الوكيل
 كتبه اجمع احمد محمد عبد الله الموحلي عفا الله عنه وعن المسلمين اجمعين

الله سولى السرار

مرقى ربيع حسنة من يعقوب الحمدانى قدس الله
 ربه في يوم الاحد عرّه رجسا المبارك
 سنة مائة وثمان وثمان مائة بعد الهجرة
 وصلى عليه السليم ودون مشهد
 لا مام ان حسنة رحم الله رعاك



كتاب الخواتيم

(خواتيم مجالس الوعظ)

للإمام المفسر الحافظ الفقيه المُتقِن الأديب
الشاعر واعظ الإسلام أبي الفرج عبد الرحمن
ابن الجوزي البغدادي

(٥١٠ - ٥٩٧ هـ)

عني به

د. عبد الحكيم الأنيس

كبير باحثين أول بإدارة البحوث



الحمدُ لله على التحميد، والشكرُ له على التوحيد، وصلواته على أشرف العبيد، محمد وصحبه على الأمر الرشيد، صلاة توجب لهم نهاية المزيد، وسلّم تسليماً طويلاً للتخليد.

لما كان مجلس الوعظ ينبغي أن يكون أشده حرارةً وإزعاجاً آخره، وضعتُ كتاباً سمّيته (المقاطع)^(١)، تنقيتُ فيه أشعاراً لطيفةً، تصلحُ لختام المجلس.

ثم إنني رأيتُ أنه يصلحُ أن يتقدّمها ما يُلائمها من الكلام، لئلا تأتي مفردةً فلا يتبيّن لها معنى، وقد سبق لي في هذا الفن كُتبٌ، إلا أنني آثرتُ أن أنتقي من أقوى الكَلِّ حرارةً، وأضَمَّ كلَّ شيءٍ إلى ما يليقُ به، ليكثرَ عددُ الكؤوسِ المُسكرِة، فيخلفُ سكرانُ الوجدِ طريحاً في الدار بعد رحيلِ السّفْرِ. وقد جعلتها أربعين فصلاً. والله الموفِّق.

(١) وقد ذكره السبّط في «مرآة الزمان» (٩٩/٢٢)، وابنُ الفرات في «التاريخ» (٢١٣/٢/٤)، وقال السبّط: «جزء».



الفصل الأول

فيه ذكرُ آدم عليه السلام

لَمَّا أُرِيدَ خَلْقُ آدَمَ قِيلَ لِلْمَلَائِكَةِ:

يَا مُعْجِبِينَ بِعِبَادَتِهِمْ^(١): اطَّلِعُوا مِنْ حَوَاحِثِ صَوَامِعِكُمْ، وَانظُرُوا مَا أَصْنَعُ.

أَخَذْتُ قَبْضَةً مِنْ تَرَابٍ، فَصَبَبْتُ عَلَيْهَا قَطْرَاتٍ مِنْ مَاءٍ ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾^(٢)، فَفَنَخْتُ الرُّوحَ فِي صَدَفِ الْبَاطِنِ، فَإِذَا طِفْلٌ التَّعْلِيمِ بِيَدِهِ لَوْحٌ التَّفْهِيمِ، فَقُلْتُ: ﴿أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾^(٣) ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(٤).

جَلَسَ عَلَى سَرِيرِ الْمَمْلَكَةِ مُكْرَمًا، فَمَدَّ يَدَهُ إِلَى لِقْمَةٍ قَدْ نُهِيَ عَنْهَا، فَأَخْرَجَ.

فِيَا بَنِيهِ: احذروا بليَّةَ المعاصي فهي التي نزلت به، فنزلت به عن مرتبة

﴿أَسْجُدُوا﴾^(٥)، إلى حضيضٍ ﴿أَهْبِطُوا مِنْهَا﴾^(٦).

(١) انظر: البداية والنهاية (١/١١٣).

(٢) من سورة الرحمن، الآية ١٩.

(٣) من سورة البقرة، الآية ٣٣.

(٤) من سورة الرحمن، الآية ٢٢.

(٥) من سورة البقرة، الآية ٣٤.

(٦) من سورة البقرة، الآية ٣٨.



جاءه جبريل - الذي سجد له - يجرُّ ناصيته للإخراج^(١)، ولسان حاله يستغيثُ:

حُدَاةَ العيسِ رِفْقًا بالأسيرِ ليغَنَمَ نظرةً قبلَ المسيرِ
ويا بَانَ الحِمَى هل فيكَ ظلٌّ؟ فعندَ حشايَ مُزْدَحَمُ الزفيرِ
ويا رِيحَ الشمالِ بحقِّ حبيِّ وصدقي هل مررتِ على الغديرِ؟
وهل سُحِبْتُ على شِيحٍ ورندٍ ذيولِكَ يا مُبْلِلَةَ الضميرِ؟

أقامَ في الأرضِ حزيناً على فقدِ موطنِ الفرحِ، فكَلَّمَا لآحَ له جبريلُ قال له بلسانِ الحالِ:

ألا يا صبا نجدِ متى هجتِ مِنْ نجدٍ؟^(٢)

فيجيبُه جبريلُ بلسانِ الحالِ:

خُلِّ دمعَ العينِ ينهملُ بانَ مَنْ تهوَاهُ فاحتملوا
كُلُّ دمعِ صانهُ كِلْفٌ فهوَ يَوْمَ البَيْنِ مُبْتَذَلٌ^(٣)

أجَلَبُ البكاءِ وأحلبه برقُ يشيمهُ المحبُّ مِنْ ديارِ المحبوبِ:

(١) انظر: البداية والنهاية (١/ ١٢٤).

(٢) لعبدالله بن الدمينه من أبيات، وتمتمه: لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكِ وَجَدًّا عَلَى وَجِدِ. انظر: ديوان الحماسة (٢/ ١٤٥)، وديوان ابن الدمينه ص ٨٥، ومثير العزم الساكن (٢/ ٩٥).

(٣) لمحمد بن حسان الضبي من أربعة أبيات. المحمدون من الشعراء (١/ ٢٦٥)، الترجمة (١٨٤).



رأى على الغورٍ وميضاً فاشتاقُ ما أجلبَ البرقِ لماءِ الآماقِ!
 ما للوميضِ والفؤادِ الخفاقُ؟ قد ذاقَ مِنْ بَيْنِ الخليطِ ما ذاقُ
 داءُ غرامٍ مالهُ مِنْ إفراقِ قد كلَّ آسيه، وقد ملَّ الراقِ
 قلبي وطرفي مِنْ جوىٍ وإفلاقِ في غرقٍ ما ينقضي وإحراقِ
 يا ناقُ أذاكِ المؤدِّي يا ناقُ ماذا المقامُ والفؤادُ قد تاقُ؟

هل حاجةُ المأسورِ إلا الإطلاقُ؟^(١)

كان كلما رأى الملائكة تصعدُ وجناحُه قد قُصَّ زاد قلقُه:

وأصبحتُ كالبازي المُتتَفِ ريشُه يرى حشراتٍ كلما طارَ طائرُ
 يرى خاراتِ الجوِّ يخرقنَ في الهوا فيذكرُ ريشاً مِنْ جناحيه وافرُ
 وقد كان دهرأً في الرياضِ مُنعماً على كلِّ ما يهوى مِنْ الصيدِ قادرُ
 إلى أن أصابتهُ مِنَ الدهرِ نكبةٌ فأصبحَ مقصوصَ الجناحينِ حاسرُ^(٢)

كان مِنْ أعظمِ البلاءِ عليه ترُدُّدُ الركبِ إلى بلدِ الحبيبِ يُودِّعونَ الزَّمنَ:
 ولم يبقَ عندي للهوى غيرَ أنني إذا الركبُ مروابي على الدارِ أشهقُ^(٣)

كان يستنشقُ من القادمين عليه ريحَ الوصال.

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدة. انظر: ديوانه (٢/ ٤٢-٤٣).

(٢) أي: هو وافر. هو قادر. هو حاسر.

(٣) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: أمن ذكر دارِ المصلى إلى منى. انظر: ديوانه (٢/ ٧٧).



ويسأل سؤالاً مُتَحَسِّرٍ على الديار:

خَبَّراني عن العقيقِ خُبيراً أَنْتِما بالعقيقِ أَحَدْتُ عهدا
كان كَلِّما تَذَكَّرُ الجَنَّةَ قلقاً .

وكَلِّما رأى الملائكةَ تصعدُ يحترقُ:

والذي بالبين والبعدِ بلاني	ما جرى ذكرُ الحمى إلا شجاني
جَبَّدا أهل الحمى مِنْ ساكنِ	شَفَّنِي الشُّوقِ إليهم وبراني
كَلِّما رُمْتُ سلواً عنهمُ	جَذَبَ الشُّوقِ إليهمُ بعَاني
أَحسَدُ الطيرَ إِذا طارتُ إِلى	أَرْضهمُ أو أَقلعتُ للطيرانِ
أَتَمنى أَني أَصحبُها	نحوهمُ لو أَني أُعطي الأمانِ
لا تَزِيدوني غراماً بعدكمُ	حَلَّ بي مِنْ بعدكمُ ما قد كفاني
ذهبَ العُمُرُ ولم أَحظَ بكم	وتَقضى في تَمنيكمُ زمانِ
يا خليليَّ احفظا عهدي الذي	كُنْتما قَبْلَ النُّوى عاهدُمانِ
واذكراني مثلَ ذكري لكما	فَمِنَ الإنصافِ أَنْ لا تَنسياني
وسلامنُ أَنا أهواهُ على	أَيِّ جُرمٍ صدَّ عني وجفاني؟

لما اشتدَّ بكاؤُه ودامَ آتاهُ الوحيُ: ما هذا البلاءُ الذي بك؟



فأجابَ لسانُ حالِهِ:

ما رَحَلْتُ العيسَ عَنْ أَرْضِكُمْ فرَأْتُ عينايَ شَيْئاً حَسَناً
هَلْ لَنَا نَحْوَكُم مِّنْ عودَةٍ؟ وَمِنَ التعليلِ قولي: هَلْ لَنَا
قد شَجانا اليأسُ مِّنْ بَعْدِكُمْ فَعِدُونا بأحاديثِ المُنَى
يا نديميَّ على ذِكرهم وحدثُ الشُّوقِ قَدْ أُسْكِرنا
ولعمري لو وجدنا راحةً مِّنْ هِواكُم لَطَلَبنا شِجْناً^(١)

كان يقولُ لولده: يا بُنيَّ طالَ واللهُ حُزني على دارٍ أخرجتُ منها، فلو

رأيتها زهقتُ نفسك:

قف فتلكَ الطلُولُ وأبكِها يا رسولُ
واقرَ عني سلامي مَنْ عليها نزولُ
رُبَّ سِكانِ دارٍ في فؤادي حلُولُ
واسألِ الدارَ عنهم واستمعْ ما تقولُ
لي وللبيِّنِ فيهم شرحُ حالٍ يطولُ
قد كفاني غرامي لا تزدُ يا عدولُ
لستُ أدري إذا ما لُمْتَنِي ما أقولُ
خلفوني مُعَنَى والمُعَنَى حَمُولُ

(١) للخفاجي من قصيدته: ما على أحسنكم لو أحسنا. انظر: ديوانه ص ٥٧٣-٥٧٥.



كان إذا ليمَ في كثرة بكائه يُجيبُ بلسانِ حاله:
 دعني فالعيشُ بعدهم ما يخلو والوصلُ لهم بمهجتي ما يغلو
 قلبي من طولِ ذكرهم ما يخلو هيهاتَ محبٌ مثلهم ما يسلو

خرج آدمُ إلى الكعبة فطافَ بها، فخاضَ في دموعه^(١):

دموعُ عيني مُذْ جَدَّ بَيْنُهُمْ مثلُ الدَّوالي وهي الدَّوالي

كان أولاده يعجبون من طولِ بكائه.

ومن لم يرَ يوسف لم يعذرَ يعقوب.

ما زالَ يندبُ معاهدَ القربِ حتى أجابته الأطلالُ، وأسكتَ الحمائمُ:

أَتظنُّ الوُرُقَ في الأيِّكِ تُغني؟! إنها تُضمِرُ حُزناً مثلَ حُزني
 لا أراكَ اللهُ نجداً بَعْدَها أيُّها الحادي بنا إن لَم تُجيني
 هل تُباريني إلى بثِّ الجوى في ديارِ الحيِّ نشوى ذاتُ غُصنِ؟
 هَبْ لها السبقُ، ولكنْ زادنا أننا نبكي عليها وتُغني!
 يا زمانَ الخيفِ هل منْ عودةٍ يَسْمَحُ الدهرُ بها منْ بعدِ ضنِّ
 أرْضينا بثنِّيَّاتِ اللّوى عن زُرُودٍ؟ يا لها صفقة غَبْنِ
 سلُّ أراكَ الجِرْعَ: هل مرّتْ به مُزنةٌ روتْ ثراهُ غيرَ جَفْنِي؟!
 وأحاديثَ الغضا: هل علمتْ أنها تملكُ قلبي قبلَ أدني؟^(٢)

(١) كذا، وفيه مبالغة واضحة.

(٢) للخفاجي. انظر: ديوانه ص ٢٣٤-٢٣٧، والمدهش (١/٢٦٢).



ما انتفع آدمُ في بليّةٍ ﴿ وَعَصَى ﴾^(١) بكَمالٍ ﴿ وَعَلَّمَ ﴾^(٢).

ولا ردَّ عنه عزُّ ﴿ اسْجُدُوا ﴾^(٣).

وإنما خلصه ذلُّ ﴿ ظَلَمْنَا ﴾^(٤).

ما زالَ مُذْ نَزَلَ يرفعُ قصصَ الغُصصِ، تحملُها أنفاسُ الأسفِ:

ألا يا نسيمَ الرِّيحِ مِنْ أرضِ بابلٍ تحمّلُ إلى أهلِ الحجازِ سلامي
وإني لأهوى أن أكونَ بأرضهم على أنني منها استفدتُ سقامي^(٥)



(١) مِنْ سورة طه، الآية ١٢١.

(٢) مِنْ سورة البقرة، الآية ٣١.

(٣) مِنْ سورة البقرة، الآية ٣٤.

(٤) مِنْ سورة الأعراف، الآية ٢٣.

(٥) للشريف المرتضى من أبيات، هما فيها (١، ٥). انظر: ديوانه (٣/٢٢٨-٢٢٩)، وفيه:

أهل الخيام. بأرضكم.



الفصل الثاني

في ذكر يوسف عليه السلام

الدنيا دارُ فرقة، كم في جَرَعٍ لذاتها شَرَقَة.

عاش فيها آدمُ باكياً.

وقام نوح نائِحاً.

وصار داود نادياً.

وبات يعقوب للحبيب مُفارقاً:

آه لم يدرِ ما العذابُ فؤادُ لم يذُقْ طعمَ فرقةِ الأحبابِ^(١)

كان عيشُ يعقوب بيوسف سليماً، فمُذْ فارقهُ صار سليماً:

راحوا فراحَتْ راحتي مِنْ راحتي صفرأ، وأمسى ذكرهم لي راحا

فتحوا على قلبي الهمومَ وأغلقوا بابَ السُرورِ وضيّعوا المِفْتَاحا

ما زال على حَزْنِ الحُزْنِ لقي إلى يومِ اللقا.

بقي ثمانين سنة لا يستلذُّ نوماً ولا سِنَّةً.

(١) للمتنبي مِنْ قصيدته: يا ديار العباهر الأتراب. انظر: ما أورده محقق «معجز أحمد» الدكتور

عبدالمجيد دياب في آخره (٤/ ٤٣٠-٤٣١).



لَمَّا فَقَدَ الْمَنْظُورَ ذَهَبَ النَّازِرُ:

لَمْ يَبْقَ بَعْدَكُمْ رَسْمٌ وَلَا طَلٌّ إِلَّا وَلِلشُّوقِ فِي حَافَاتِهِ عَمَلٌ
 غَبْتُمْ فَأَوْحَشْتُمْ الدُّنْيَا بِيُعْدِكُمْ عَنِّي وَلَا عَوْضَ عَنْكُمْ وَلَا بَدَلٌ
 حَمَلْتُمُونِي عَلَى ضِعْفِي بِفِرْقَتِكُمْ مَا لَيْسَ يَحْمِلُهُ سَهْلٌ وَلَا جَبَلٌ
 إِذَا شَمِمْتُ نَسِيمًا مِنْ دِيَارِكُمْ فَقَدْتُ عَقْلِي كَأَنِّي شَارِبٌ ثَمَلٌ

لما رحل إخوة يوسف للميرة دخلوا عليه، فأقبل عليهم سائلاً، وأقبل
 الدمعُ سائلاً.

وَتَقَلَّقَلْ تَقَلَّقَلْ الْوَاجِدَ، لِيَسْمَعَ أَخْبَارَ الْوَالِدِ.

فقال القوم: جئنا من أرض كنعان، ولنا شيخ يقال له: يعقوب، وهو
 يقرأ عليك السلام. فلما سمع رسالة أبيه إليه انتفض طائر الوجد لذكر
 المحبوب:

وَدَاعٍ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنِي فَهَيَّجَ أَحْزَانَ الْفَوَادِ وَمَا يَدْرِي
 دَعَا بِاسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا، فَكَأَنَّمَا أَطَارَ بَلِيلِي^(١) طَائِرًا كَانَ فِي صَدْرِي^(٢)

فرد السلام قلبه قبل لسانه، وشغله وكف شأنه عن شأنه.

(١) في الأصل: بقلبي. وهو سهو من المؤلف.

(٢) للمجنون. انظر: الأغاني (٢/٢٢)، ومثير العزم الساكن (١/٢٨٣).



وقال مقولٌ إبدائه بعبارةٍ صُعدائه:

خذي نفسي يا ريحٍ من جانبِ الحمى
فإنَّ بذاك الجوَّ حياً^(١) عهدتهُ
ولولا تداوي القلبِ من ألمِ الجوى
ويا صاحبيَّ اليومِ عُوْجا لتسألاً
عن الحَيِّ بالجرعاءِ جرعاءِ مالكِ
شممتُ بنجدٍ شيحةً حاجريةً
ذكرتُ بها رياً الحبيبِ على النوى
وإني لمجلوبٌ لي الشوقُ كلِّها
تعرَّضُ رُسلُ الشوقِ والركبُ هاجدٌ
فلاقي به ليلاً نسيمٌ رُبى نجدِ
وبالرَّغمِ مني أن يطولَ به عهدي
بذكرِ تلاقينا قضيتُ من الوجدي
رُكيباً من الغورين أنضأوهم تحدي
هل ارتبعوا واخضرَّ وادهمُ بعدي؟
فأمطرتهما دمعي، وأفرشتها خدي
وهيهاتَ ذا يا بُعدَ بينهما عندي
تنفَّسَ باكٍ^(٢)، أو تألمَ ذو وجدِ
فتوقظني من بين نواهم وحدي^(٣)

فلما انقضى زمانُ البلاءِ هبَّتْ نسائمُ الفرحِ، فتوغلتُ خياشيمَ مريضٍ
كالفرخِ من فرجِ الفرجِ، فخرَّ ركأمُ الزكامِ عن منخرِ الضرِّ، فنادى عليلاً
الشوقِ عن غليلِ الوجدِ: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ﴾^(٤).

ناشدتُكَ اللهُ يا نسيمُ
ما فعلتُ بعدنا الرُّسومُ
هل استهلَّتْ بها الغوادي
ونمَّقتُ روضها الغيومُ

(١) في الديوان: الحى إلفاً.

(٢) في الديوان: شك.

(٣) للشريف الرضي من قصيدة تبلغ (١٢) بيتاً. انظر: ديوانه (١/٣٨٩).

(٤) من سورة يوسف، الآية ٩٤.



عَلَّلَ بِرُوحِ الْوَصَالِ صَبَابًا أَنْفَاسُهُ لِلْجَوَى سُمُومٌ
 وَعُدَّ فَسَلَّمَ عَلَى أَنْاسٍ مَا أَنَا مِنْ بَعْدِهِمْ سَلِيمٌ
 وَأَشْرَحَ لَهُمْ حَالَ مَسْتَهَامٍ أَنْتَ بِأَشْوَاقِهِ عَلِيمٌ
 وَقَلَّ: غَرِيبٌ ثَوَى بِأَرْضٍ فِي غَيْرِهَا قَلْبُهُ مَقِيمٌ
 أَحْبَابَنَا تَنْقُضِي اللَّيَالِي وَمَا انْقَضَتْ تِلْكَمُ الْكُلُومُ
 ذَاكَ اللَّدِيغُ الَّذِي عَهْدْتُمْ بَعْدُ عَلَى حَالِهِ سَلِيمٌ
 أَصْبَحَ مِنْ بَعْدِكُمْ وَحِيدًا فَلَا خَلِيلٌ وَلَا حَمِيمٌ
 لَمْ يَجِرْ ذِكْرُ الْفِرَاقِ إِلَّا حَنَّ كَمَا حَنَّتِ الرَّوُومُ

لما كَشَفَ يَعْقُوبَ قِرَامَ الْوَجْدِ بِكَفِّ ﴿إِنِّي لِأَجِدُ﴾ أَحَدَقْتُ بِهِ
 عَوَاذِلُ ﴿تَفْتَوُا﴾^(١)، فَحَارَ بِهِمْ، فَحَارَ بِهِمْ بِسِلَاحٍ ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا
 لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

تالله لو وجدوا ما وجدَ لَمَا أَنْكَرُوا ما عَرَفَ:

هل لَکما مِنْ عِلْمٍ بِالطَّائِفِ الْمُؤَلِّمِ؟
 سَرَى عَلَى الدِّيَاجِي سُرَى أَحْيِهِ النَّجْمِ
 يَشُقُّ نَجْدًا عَرْضًا مِنْ شَخْصِهِ بِسَهْمِ
 فَنُورَ اللَّيْلِ وَلِيًّا سَتَّ مِنْ لِيَالِي التَّمِّ

(١) مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ، الْآيَةِ ٨٥.

(٢) مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ، الْآيَةِ ٨٦.



تحيّتي وضَمّي	خذ يا نسيمُ عني
مِن الكرى وعُدمي	وهنّهم بوجدهم ^(١)
أهجرها برغمي	قالوا: هجرت أرضهم ^(٢)
رُسلكم بالسُّقمِ	قد وصلت إلى الحشا
بين دمي ولحمي	فلم تدع واسطةً
ثلاثةً في رسمِ	عُج ترنا رؤوماً
تعرفنا بالوهمِ	سوى النُّحول بيننا
ودارهم ^(٣) وجسمي ^(٤)	خيّطُ هلالِ ليلةٍ



(١) في الديوان: بوجدها. لأنَّ البيت السابق:

وقف فسلم لي على ظبية آل سلم

(٢) في الديوان: أرضها.

(٣) في الديوان: ودارها.

(٤) لمهيار الديلمي من قصيدة. انظر: ديوانه (٣/ ٢٦٩-٢٧١).



الفصل الثالث

فيه ذكر أيوب عليه السلام

أول نقده في مَهْرِ المحبةِ الصّنى .

أكل الدود لحم أيوب^(١)، فما أبقى غير اللسان للذكر، والقلب للفكر.

أنفق بضاعة الجسم على ضيف البلاء، فلما امتدت كف السقم إلى القلب قال: هذا هو الوكيل المُنْفَقُ أموال الصبر، فإذا قبض عليه لم يبق للضيف قوت:

حَا بَعْدَكُمْ تَلِكِ الْعَيُونَ بِكَأُوهَا وَغَالَ بِكُمْ تَلِكِ الْأَضَالَعُ غُوهَا
فَمِنْ نَازِرٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا دَمُوعُهُ وَمِنْ مَهْجَةٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا غَلِيلُهَا
دَعَا لِي قَلْبًا بِالْغَرَامِ أَذِيبُهُ عَلَيْكُمْ، وَعَيْنًا فِي الطُّلُولِ أُجِيلُهَا^(٢)

بلغت بالصالحين المحبة إلى استحلاء البلاء، فوجدوا في التعذيب عذوبة، لعلمهم أنه مراد المبتلي:

أَرْضَاهُ أَسْخَطَ أَوْ أَرْضَى تَلُونُهُ وَكُلُّ مَا يَفْعَلُ الْمَحْبُوبُ مَحْبُوبٌ^(٣)

(١) في هذا نظر واضح.

(٢) للشريف الرضي من قصيدته: أمل من مثانيها فهذا مقيلها. انظر: ديوانه (١٨٣/٢) - (١٨٤).

(٣) لمهيار الديلمي من قصيدته: استنجد الصبر فيكم وهو مغلوب. انظر: ديوانه (٢٤/١)، ونصه: أرضى وأسخط أو أرضى تلونه.



أُضْنِي سُوَيْدُ بْنُ مَثْعَبَةَ^(١) عَلَى فَرَاشِهِ، فَكَانَ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ اللَّهُ
نَقَصَنِي مِنْهُ قَلَامَةً ظُفْرٍ:

تَعَجَّبُوا مِنْ تَمَيِّي الْقَلْبِ مُؤَلِّمَهُ وَمَا دَرُوا أَنَّهُ حَلَوٌ مِنَ الْأَلْمِ^(٢)
مَرُّوا عَلَى مَجْذُومٍ قَدْ مَزَّقَهُ الْجُذَامُ، فَقَالُوا لَهُ: لَوْ تَدَاوَيْتَ؟! فَقَالَ:
لَوْ قَطَّعَنِي إِزْبًا إِزْبًا مَا أَزْدَدْتُ لَهُ إِلَّا حُبًّا:

إِنْ كَانَ جِيرَانُ الْغَضَا	رَضُوا بِقَتْلِي فَرَضِي
وَاللَّهِ لَا كُنْتُ لَمَّا	يَهْوَى الْحَبِيبُ مُبْغِضَا
صَرْتُ لَهُمْ عَبْدًا وَمَا	لِلْعَبْدِ أَنْ يَعْتَرِضَا
مَنْ لِمَرِيضٍ لَا يَرَى	إِلَّا الطَّيِّبَ الْمُمْرِضَا
هُمْ قَلَّبُوا قَلْبِي مِنَ الشَّدَا	شَوْقٍ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا
يَالَيْتَ أَيَّامَ الْحِمَى	يَعُودُ مِنْهَا مَا مَضَى ^(٣)

كَانَ الشُّبَلِيُّ^(٤) يَقُولُ: أَحَبُّكَ النَّاسُ لِنِعْمَائِكَ، وَأَنَا أَحَبُّكَ لِبِلَائِكَ:

(١) مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَكَانَ مِنَ الَّذِينَ اخْتَطَبُوا بِالْكُوفَةِ أَيَّامَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. صِفَةُ الصَّفْوَةِ (٤٢/٣).

(٢) لِلشَّرِيفِ الرُّضِيِّ مِنْ قَصِيدَتِهِ: يَا لَيْلَةَ السَّفْحِ أَلَا عَدَّتْ ثَانِيَةً. انظُرْ: دِيْوَانُهُ (٢٨٣/٢). وَفِيهِ: خَلَوُ.

(٣) لِلْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ الْبَغْدَادِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْبَارِعِ (ت: ٥٢٤هـ)، وَهُوَ مِنْ شَيْخِ الْمَوْلَفِ. انظُرْ: خَرِيدَةُ الْقَصْرِ - الْقِسْمُ الْعِرَاقِيُّ (ج ٣/ مج ١/ ص ٦٦-٦٩)، وَفِيهَا هُنَا تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَتَصَرُّفٌ.

(٤) مِنَ الزُّهَادِ الْمَعْرُوفِينَ، تُوُفِيَ سَنَةَ ٣٣٤هـ. صِفَةُ الصَّفْوَةِ (٤٥٦/٢).



مَنْ لَقِيْلِ الْحُبِّ لَوْ رُدَّ عَلَيْهِ الْقَاتِلُ
يَجْرَحُهُ النَّبْلُ وَيَهْـُٔ سَوَى أَنْ يَعْوَدَ النَّابِلُ^(١)

لما عشقت اللبلاية الشجرَ تقلقت طلباً لا اعتناقِ الرؤوسِ، ولثم الحدودِ، فقيلاً لها: مع الكثافة لا يُمكنُ، فرضيتُ بالنحول، فالتقتُ فالتفتُ:

حُبِّي والوجدُ أورثاني سُقْمًا هذا جسمي يُعدُّ عظمًا عظمًا
دعني والشوقُ قد كفاني خَصْمًا يا سهمَ البينِ قد أصبتَ المرمى
مِنَ الْقَوْمِ مَنْ أَنْصَاهُ الْخَوْفُ.

ومنهم مَنْ أَنْصَاهُ الشَّوْقُ.

كان حسانُ بنُ أبي سنانٍ^(٢) كأنه سَوَاطُ.

وكان إبراهيمُ بنُ أدهمٍ^(٣) كأنه سَفْوَدٌ.

وكانت رابعة^(٤) كأنها شَنُّ بَالٍ:

جَزَى اللَّهُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ خَيْرًا وَإِنْ تَرَكَ الْمَطَايَا كَالْمَزَادِ^(٥)

(١) للشريف الرضي من قصيدته: أين الغزال الماثل. انظر: ديوانه (٢/ ١٣٥).

(٢) من الطبقة الرابعة من عبّاد البصرة. صفة الصفوة (٣/ ٣٣٦).

(٣) الزاهد المعروف، توفي سنة ١٦٢ هـ. صفة الصفوة (٤/ ١٥٢).

(٤) من عابدات البصرة. ترجمتها في «صفة الصفوة» (٤/ ٢٧-٣١)، وترجم لها ابن كثير في

وفيات سنة ١٨٥ هـ. انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٤٥٩-٤٦٠).

(٥) للمتنبى من قصيدته: أحاد أم سداس في أحاد. وهو البيت (١١). انظر: ديوانه (ضمن

شرحه العرف الطيب) ص ٨٠. والعزو إلى الديوان ضمن هذا الشرح دائماً.



قال الجنيد^(١): دخلتُ على سري^(٢) فمدَّ جلدةَ ذراعِهِ وقد يبستُ على العظمِ فما امتدَّتْ، فقال: والله لو شئتُ أن أقول: هذا مِنْ محبته لقلتُ.

وهواك ما بقى هوا
كعلي فيك ولا ترك
أيلومني فيك الذي
يُزري عليّ ولم يرك
رفقاً بعبدك سيدي
هذا عبيدك قد هلك

جُز بنادي المحبة، ونادٍ بالقوم نادياً، تراهم كالفراشِ تحت النيران:
يا دار مَنْ قتلَ الهوى بعدي وجدوا ولا مثلَ الذي عندي
لو حرَّكتُ ذاك الرمادَ يدُ لراّت بقايا الجمرِ والوقد^(٣)
أرواحُ أزعجها الحبُّ.
وأقلقها الخوفُ.

سبحانَ مَنْ يُمسكها باللفظِ:
قومٌ إذا هجروا مِنْ بعدِ ما وُصلوا ماتوا وإن عادَ مَنْ يهوونهُ بعثوا
ترى المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا
والله لو حلفَ العُشَّاقُ أنهم موتى مِنْ الحبِّ أو قتلى لما حثثوا^(٤)

(١) علّم معروف، توفي سنة ٢٩٨هـ. صفة الصفوة (٢/٤١٦).

(٢) سري السقطي خال الجنيد، علّم معروف، توفي سنة ٢٥٣هـ. صفة الصفوة (٢/٣٧١).

(٣) للشريف الرضي مِنْ قصيدة طويلة، هذان فيها (١، ٤). انظر: ديوانه (١/٣٢١).

(٤) الأبيات مع بيتٍ آخر يكون أولاً لابن زيدون مما قاله في صباه. انظر: المعجب في تلخيص



مَنْ تَعَرَّضَ بِالْمَحَبَةِ فليَغْرَسْ شَجَرَ الصَّبْرِ، فَإِنَّهُ إِذَا انْتَهَتْ شَجْرَتُهُ
أَثْمَرَتْ عَسَلًا.

لأَبَدٍ فِي الْبَدَايَةِ مِنْ جُوعٍ شَدِيدٍ، فَإِذَا أُعِدَّ قَرِصُ الْإِفْطَارِ نَزَلَ ضَيْفٌ
﴿وَيُؤَثِّرُونَ﴾^(١) فزاحم، فأراح.

فَإِذَا جَنَّ اللَّيْلُ مَنَعَ النَّوْمَ عَتَابُ «كَذَبَ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّتِي، فَإِذَا جَنَّ اللَّيْلُ
نَامَ عَنِّي»^(٢):

إِنَّ هَوَاكَ الَّذِي بِقَلْبِي صَيَّرَنِي سَامِعًا مُطِيعًا
أَخَذْتَ قَلْبِي وَعُغْمَضَ عَيْنِي سَلَبْتَنِي الْقَلْبَ وَالْمُجُوعَا
فَذَرْ فَوَادِي وَخَذْ رُقَادِي فَقَالَ: لَا، بَلْ هُمَا جَمِيعَا^(٣)



= وذكر ابن كثير في البداية والنهاية (٨٣/١٢) أن رجلاً من أهل الحديث أنشد
البيت الثاني سنة (٣١٧) في حادثة القرمطي في الحرم. فإن صحَّ هذا لم تكن الأبيات
لابن زيدون.

(١) من سورة الحشر، الآية ٩.

(٢) نسبه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤٢٤/١٤) إلى الفضيل بن عياض قال: «ينزل الله
إلى سماء الدنيا: فيقول: كذب من ادعى محبتي، فإذا جَنَّ الليل نام عني».

وانظر: تاريخ دمشق (١٣٨/٣٤).

(٣) انظر: مصارع العشاق (٢٢/٢).



الفصل الرابع

فيه ذكر موسى عليه السلام

لَمَّا تَمَكَّنْتَ نِيرَانُ الْمَحَبَّةِ مِنْ قَلْبِ مُوسَى صَوَّبْتَ إِلَى نَارِهِ نَارَ الطَّوْرِ،
فَأَسْرَعَ إِلَيْهَا لِيَقْتَبَسَ فَاحْتَبَسَ:

يا حارِ إِنَّ الرِّكَبَ قَدْ حَارُوا فاذهبْ تَحَسَّسْ لِمَنْ النَّارُ
تبدو وتخبُّو، إِنَّ خَبْتَ وَقَفُوا وَإِنْ أَضَاءَتْ لَهُمْ سَارُوا^(١)

فَلَمَّا نُودِيَ فِي النَّادِي، اشْتَاقَ إِلَى الْمُنَادِي:

ليالينا بندي الأثلاثِ عُودي لِيُورِقَ فِي رُبَى الْأَثَلاتِ عُودي
فإنَّ نَسِيمَ ذاكِ الشُّيْحِ أَذْكَى لَدِيَّ مِنْ انْتِشاقِي نَشْرَ عُودِ
وإنَّ حَدِيثَكُمْ فِي القَلْبِ أَحلى وَأَطيبُ نَعْمَةً مِنْ صَوْتِ عُودِ

كان موسى يطوفُ في بني إسرائيل ويقول: مَنْ يَحْمِلُنِي رسالةً إلى ربي؟

ما كان مرادهُ إلا أن تطولَ المناجاةُ للحبيبِ:

فقلتُ له: كُرَّ الحديثُ الذي انقضى وذكراكِ مِنْ ذاكِ الحديثِ أريدُ
يُجَدِّدُ تَذْكَارُ الحديثِ مودَّتِي فذكركِ عِنْدِي والحديثُ جَدِيدُ

(١) لعبدالمحسن الصوري من قصيدة طويلة. انظر: ديوانه (١/ ١٧٥). وفيه: عرسوا بدل:

وقفوا. وإخبار الملوك ص ٢٣.



أناشدهُ إلا أعادَ حديثهُ كَأني بطيءُ الفهمِ حينَ يُعيدُ^(١)

فلما جازَ عليه نبيُّنا ليلةَ المعراجِ ردَّدهُ في الصلواتِ، ليسعدَ برؤيةِ مَنْ

قد رأى:

إنْ تشقَّ عيني بهم فقد سعدتْ عينُ رسولي وفُزتُ بالخيرِ
وكَلما جاءني الرَّسولُ لهم ردَّدتُ شوقًا في طرفه نظري
تظهرُ في وجهه محاسنهم قد أثرتُ فيه أحسنَ الأثرِ
خُذْ مقلتي يا رسولَ عاريةً فانظرُ بها واحتكمْ على بصري^(٢)

الشَّوقُ يُنحِلُ الأبدانَ، ويُقلِّبُ القلوبَ.

كان داود الطائي^(٣) يُنادي في الليل: هُمَّكَ عَطَّلَ عليَّ الهمومَ، وحالفَ

بيني وبين السُّهادِ، وشوقي إلى النظرِ إليك حالَ بيني وبين اللذاتِ، فأنا في

سجنِكَ أيُّها الكريمُ [مطلوب] ^(٤):

(١) انظر: مصارع العشاق (٢/ ١١٤).

(٢) لأبي نواس. انظر: ديوانه، باب الغزل ص ٢٧٢. والضمير فيه: عيني بها. الرسول لها. محاسنها.

(٣) إمام في العلم والزهد، من أهل الكوفة، توفي سنة ١٦٥ هـ. صفة الصفوة (٣/ ١٣١).

(٤) مِنْ «حلية الأولياء» (٧/ ٣٥٧)، و«صفة الصفوة» (٣/ ١٤١)، و«موافق المرافق» ص ١٠٥، و«المدهش»، الفصل (٥٠)، (٢/ ٥٠٦).



رُدُّوا الفؤَادَ كما عهدتُ إلى الحشا والمُقلتين إلى الكرى ثم اهجرُوا^(١)

كان فتح بن شخرف^(٢) يقول: قد طال شوقي إليك، فعجّل
قدومي عليك.

وكان أبو عبيدة الخواص^(٣) يصيحُ في الأسواق: واشوقاهُ إلى مَنْ يراني
ولا أراه:

تمدُّ بالأذانِ والمناخِرِ لحاجرٍ، أنى لها بحاجرٍ؟
أرضُ بها السابغُ من ربيعها وشوقُها المكنونُ في الضمائرِ
سارتُ يميناً والغرامُ شامةً ياسرُ بها يا ابنَ الحداةِ ياسرِ^(٤)

أخرجهم الشوقُ إلى الاستغاثة، فضجُّوا بين الخلق.

(١) نُسِبَ إلى أبي الفتح البكتمري المعروف بابن الكاتب الشامي. انظر: يتيمة الدهر
(١/ ١٣٤) ط بيروت.

وإلى أبي القاسم المغربي (ت: ٤١٨). انظر: معجم الأدباء (٣/ ١٠٩٩)، وبغية الطلب
(٦/ ٢٥٤٤). وانظر: تفصيلاً في «ديوان القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي»
ص ٦٨-٦٩.

(٢) زاهد عابد ورع، ترجم له ابن الجوزي في أهل بغداد، توفي سنة ٢٧٣هـ. صفة الصفوة
(٢/ ٤٠٢).

(٣) من الزهاد العُباد، ترجم له ابن الجوزي في أهل العواصم والثغور. صفة الصفوة
(٤/ ٢٧٥).

(٤) لمهيار الديلمي من قصيدة. انظر: ديوانه (٢/ ١٦-١٧). وفيه: من لها بحاجر. و: ياسر
بها يا ابنَ رواحِ ياسرِ.



كان سَمْنُونٌ^(١) يصيحُ:

تركتَ الفؤادَ عليلاً يعادُ وشردتَ نومي فما لي رُقَادُ^(٢)

رُئِيَ معروفٌ^(٣) في المنام كأنه تحت العرشِ، فقال اللهُ عزَّ وجلَّ لملائكته: مَنْ هذا؟ فقالوا: أنتَ أعلمُ، هذا معروفٌ سَكِرَ مِنْ حَبِّكَ، فلا يفيقُ إلا بِلِقَائِكَ:

فداوِ سُقْمًا بجسْمِ أَنْتَ مُتْلِفُهُ وابرُدْ غراماً بقلبِ أَنْتَ مُضْرِمُهُ
ولا تكلني على بُعْدِ الديارِ إلى صبري الضعيفِ فصبري أَنْتَ تعلمُهُ
تلقَّ قلبي فقد أرسلتهُ قُدماً إلى لقائِكَ والأشواقُ تَقْدُمُهُ

قال بعضُ السلف: لقيتُ غلاماً في طريق مكة وحده، فقلتُ: أما تستوحشُ وحدك؟

قال: إنَّ الأنسَ بالله قطعَ عني كلَّ وحشةٍ.

قلت: فأين ألقاك؟

قال: في الآخرة.

(١) زاهد عابد، أصله من البصرة، وسكن بغداد، توفي نحو سنة ٢٩٠ هـ. صفة الصفوة (٤٢٦/٢).

(٢) الخبر في «حلية الأولياء» (٣١١/١٠).

(٣) الكرخي، من كبار أهل الزهد والتعبُّد والورع، توفي سنة ٢٠٠ هـ. صفة الصفوة (٣١٨/٢).



قلت: أين أطلبك؟

قال: في زمرة الناظرين إلى الله تعالى.

قلت: كيف علمت؟

قال: بغضي طرفي له عن كل مُحَرَّمٍ سألتُهُ أن يجعلَ جَنَّتِي النَّظَرَ إليه.

ثم صاحَ وغابَ عن عيني:

وما تلوَمَ جسمي عن لقاءكم
وكيف يقعدُ مشتاقٌ يُحرِّكُهُ
فإن نهضتُ فما لي غيركم وطرُّ
وكم تعرّضَ لي الأقبواُمُ بعدكم
إلا وقلبي إليكم شيقٌ عَجِلُ
إليكم الحافزان: الشَّوقُ والأملُ؟
وإن قعدتُ فما لي غيركم شغلُ
يَسْتَأذِنونَ على قلبي فما وصلوا^(١)

قال الشبلي: لقيتُ جاريةً حبشيةً، فقلت: من أين؟

قالت: من عندِ الحبيبِ.

قلتُ: وإلى أين؟

قالت: إلى الحبيبِ.

قلتُ: ما تُريدين من الحبيبِ؟

(١) للشريف الرضي من خمسة أبيات. انظر: ديوانه (٢/ ٢٢٨).



قالت: الحبيب.

فقلت: كم ذكُر الحبيب؟

فقلت: ما يسكن لساني عن ذكره حتى ألقاه:

وحرمة الودِّ ما لي عنكم عوضٌ وليس لي بعدكم في غيركم عرضٌ
 أشتاقكم وبودي^(١) لو يواصلني لكم خيالٌ ولكن لست أغمض
 ومن حديثي بكم قالوا: به مرضٌ فقلت: لا زال عني ذلك المرضُ



(١) كتب أحد الناظرين في الكتاب في الحاشية هنا: لعله: «ومرادي». وكلاهما صحيح.



الفصل الخامس

فيه ذكر داود عليه السلام

لَمَّا أُعْجِبَ دَاوُدُ بِعِصْمَتِهِ رَمَى الْمُذْنِبِينَ بِسَهْمٍ «لَا تَغْفِرُ لِلخَطَّائِينَ»^(١)،
وَالْقَدْرُ قَدْ أَتْرَعَ لَهُ - مِمَّا سَيَعُضُّ عَلَيْهِ الْأَنَامِلَ - مَلَأَ الْإِنَاءَ:

وَإِذَا رَامِيَ الْمَقَادِيرَ رَمَى فَدَرَوْعُ الْمَرْءِ أَعْوَانُ النَّصَالِ^(٢)

كَانَ قَدْ أُعْطِيَ نِعْمَةً نِعْمَةً يَقِفُ لَهَا الْمَاءُ وَالطَّيْرُ، فَامْتَدَّتْ يَدُ الْغَفْلَةِ فَقَدَّتْ
قَمِيصَ الْعِصْمَةِ، فَأَثَرَ زَلُّهُ حَتَّى فِي التَّلَاوَةِ^(٣).

أَعْرَضَ الْمِعْمَارُ عَنِ الْمُرَاعَاةِ، فَتَشَعَّتْ مَنْزِلُ الصَّفَاءِ، وَانْقَطَعَتْ
جَامِكِيَّةَ الْعَسْكَرِ، فَتَفَرَّقَتْ جُنُودٌ ﴿أَوْبَى﴾^(٤).

كَانَ يُؤْتَى بِالْإِنَاءِ نَاقِصًا فَيُتَمُّهُ بِالْدمِوعِ:

مَا لِي شَرَقْتُ بِمَاءِ ذِي الْأَثَلِ هَلْ كَدَّهُ الْوُرَادُ مِنْ قَبْلِي؟
أَمْ بَانَ سَكَّانٌ فَأَمْلَحَ لِي مَا كُنْتُ قَبْلَ الْبَيْنِ أَسْتَحْلِي؟

(١) أثرٌ إسرائيليٌّ. انظر: تفسير القرطبي (١٥/١٨٥)، وفيض القدير (٦/٤٢٤).

(٢) للشريف الرضي من قصيدته: أي طود ذلك من أي جبال. انظر: ديوانه (٢/١٩٧).

(٣) يُنظر كلامُ المفسرين المحققين في قصة داود عليه السلام.

(٤) من سورة سبأ، الآية ١٠.



ما^(١) ابيضُّ لي في الدار بعدهمُ يومٌ، وهل دارٌ بلا أهلٍ؟
رحلوا بأيامي الرقاقِ على آثارهم، وبعيشي السَّهل^(٢)

كان عيشُ عشه خضراً، فأحالت الحالُ سنَّةَ الهجرِ، فكأنَّ أيامَ الوصل
كانتُ سنَّةً، فكاد يقطعُ باليأسِ، لولا التقاءُ اليأسِ بالخضرِ:

أرقي قد رَقَّ لي مِنْ أرقي ورثى لي قلقي مِنْ قلقي
وبكائي مِنْ بكائي قد بكى وتشكتُ حُرقي مِنْ حُرقي

كان إذا أرادَ النياحةَ نادى مُناديه في أنديَةِ المَحزونين، فيجتمعونَ في
مأتمِ النَّدبِ، فتزدادُ الحُرْقُ بالتعاونِ:

يا بعيدَ الدارِ عن وطنه مُفرداً يبكي على شجنه
كلِّما جدَّ النحيبُ بهِ زادتِ الأسقامُ في بدنِه
ولقد زادَ الفؤادَ شجىً هاتفٌ يبكي على فننه
شاقه ما شاقني فبكي كلُّنا يبكي على سكنه^(٣)

كان يقولُ في مناجاته:

إلهي خرجتُ أسألُ أطباءَ عبادك أن يُداووا لي خطيئتي، فكلُّهم
عليك يدلُّني.

(١) في الديوان: لا. والفرق واضح.

(٢) لمهيار الديلمي من قصيدة. انظر: ديوانه (٢٠٦/٣).

(٣) للعباس بن الأحنف. انظر: ديوانه ص ٣١١ باختلاف ألفاظ.



إلهي امدد عيني بالدموع، وضعفي بالقوة، حتى أبلغ رضاك عني:
 يا مَنْ تَجَنَّبُ صبري في تجنُّبه هب لي من الدمع ما أبكي عليك به
 حتى متى زفراقي في تصاعدها إلى الممات، ودمعي في تصوُّبه؟
 ولي فؤادٌ إذا لَجَّ الغرامُ به هامَ اشتياقاً إلى لُقيَا مُعَدِّبه^(١)

ما زال يغسل العينَ من عين الغين، ولسان العتاب يقول: يا بُعد النقا.
 وكلما رفع قصة غصّة جاء الجوابُ بزيادة الجوى، وهو يستغيث ويُنادي،
 حتى أقلق الحاضرَ والبادي:

إن شفيعي إليك مني دموعُ عيني وحسنُ ظني
 فبالذي قادني ذليلاً إليك إلا عفوت عني^(٢)

يا مدنين:

ترافقوا في سفر البكاء، وانزلوا للنياحة في ساحة:

أين فؤادي أذابه البُعدُ وأين قلبي أما صحا بعدُ؟
 حدا بذكر العقيق سائقه فطار شوقاً بلِّبه الوجدُ

(١) للوأواء الدمشقي. انظر: ديوانه ص ٤٥، وفيه:

يا مَنْ تَجَنَّبْتُ صبري في تجنُّبه عمداً وعاصيتُ نومي في تغضبه
 أنباك شاهدُ أمري عن مغيبه وجدَّ جدُّ الهوى بي في تلعبه
 يا نازحاً لعبت أيدي الفراق به هب لي من الدمع ما أبكي عليك به

(٢) ذكراً مع آخرين في «الزهرة»، الباب (١٩) (١/٢١٤) ولم يُنسب.



جِسْمٌ ببغدادَ ليس تصحبهُ
 يا لفؤادٍ ما يستريحُ من الكر
 آهٍ لعيشٍ قد كنتُ أصحبهُ
 أروحُ في حبكم وواقلي
 كلُّ زماني جزرٌ عن الوصل أشد
 يا سعدُ زدني جوىً بذكرهم
 بلغهم ما أجنُّ من حرقِ
 قل: قد رأيتُ الأسيرَ في قلقِ
 ثمَّتَ سلِّمٌ فالأمرُ أمرهم
 روحٌ، وروحٌ تضمُّها نجدُ
 ب، له كلُّ لحظةٍ وقد
 لو كان يوماً لفائتِ ردُّ
 وهكذا أشتكي إذا أغدو
 كوه، فهلا تناوبَ المدُّ
 يا سعدُ قل لي فديتَ يا سعدُ
 قلُّ وتحدُّ ببعض ما يبدو
 وقال لي حُرمةٌ ولي عهدُ
 يقولُ مولى وينطقُ العبدُ^(١)



(١) للمؤلف كما جاء في «المدهش» (١/٢٦٨).



الفصل السادس

يا معشرَ العصاة:

إن جفوتموني فما يجفوكم حلمي.

وإن أعرضتم عني فما يُعرض عنكم لطفي:

فلا تحسبوا أنني نسيتُ وداذكُم فأني وإن طال المدى لستُ أنساكُم^(١)
 حفظنا وضيعتُم وداداً وحرمةً فلا كان من في هجرنا اليوم أغراكُم
 ألا خبرونا أين زمتُ ركابكُم وأين استقلتُ هُجُكُم ومطاياكُم؟

رسائلي إليكم ما تنقطع:

إذا لم يكن بيني وبينك مُرسَلٌ فريحُ الصِّبا مني إليك رسولٌ^(٢)
 إنما طردتُ إبليسَ لأنه لم يسجدْ لكم، فالعجبُ كيف صالحتموه
 وهجرتمونا!

منفصلٌ عني وما لطفِي عنه مُنفصلٌ
 يا قاطعي اليوم لمن نويتَ بعدي أن تصلَ؟^(٣)

(١) هذا البيت من أربعة أبيات للمؤلف كما في «مرآة الزمان» (٣٢ / ٢٢).

(٢) للعباس بن قطن الهلالي. انظر: اللآلي في شرح أمالي القاضي (١ / ٤٧١-٤٧٢).

(٣) لعلية بنت المهدي. انظر: ديوانها ص ٤٦.



كان بعضُ الأغنياء كثيرَ الشكرِ، ثم بطِرَ ونسيَ، فما تغيرتِ نعمتهُ، فقال:
يا ربِّ: تبدلتَ طاعتي، وما تغيرتِ نعمتي؟!

فهتفَ به هاتفٌ: لأيامِ الوصالِ عندنا حُرمةٌ، حفظناها وضيعتَها.

سَلْ بَسْلَعٍ شَجْنًا كَانَ وَكُنَّا: لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَلْهَاكَ عَنَّا؟
أَهْوَى أَحَدَثَتَهُ، أَمْ كَاشِحٌ دَبَّ، أَمْ ذَنْبٌ سَوَى أَنْ تَتَجَنَّى؟^(١)

تابَ رجلٌ مَنَّ كَانَ قَبْلَكُمْ ثُمَّ نَقَضَ، فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ:

سَأَتْرُكُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَاقْفَاً فَإِنْ عُدْتَ عُدْنَا وَالْوَدَادُ سَلِيمٌ
تُؤَاوِلُ قَوْمًا لَا وِفَاءَ لِعَهْدِهِمْ وَتَتْرُكُ مِثْلِي وَالْحِفَاظُ قَدِيمٌ؟^(٢)

يا ناقضي العهود:

انظروا لِمَنْ عَاهَدْتُمْ، تَلَاوَفُوا خَرَقَ الْخَطَأَ قَبْلَ أَنْ يَتَسَعَ:

عُودُوا إِلَى الْوَصْلِ عُودُوا فَالْهَجْرُ صَعْبٌ شَدِيدٌ
تَذَكَّرْنَا فَمَا عَهْدُ دُنَا لِدَيْكُمْ بَعِيدٌ
هَلْ تَرْجِعُ الْبَانَ يَوْمًا أَمْ هَلْ تَعُودُ زَرُودٌ؟

(١) لمهيار الديلمي من قصيدة. انظر: ديوانه (٤/١٦٨).

(٢) الأول مع آخر غير المذكور هنا في «التذكرة الحمدونية» (٥/٥٢) وقال: «قال أحمد بن

إبراهيم». والبيت الثاني هو:

ولو قد خبرت الناس حقَّ اختبارهم رجعت إلى وصلي وأنت ذميمٌ



لو وفيتم بعهودنا، ما رميناكم بصدودنا.

لو كاتبتُمونا بدموع الأسف، لغفرنا كل ما سلف:

ولو أنهم عند كشف القناع	وحلّ العقود ونقض العهود
وخلعهم لعذار الحياء	ولبسهم لبُرود الصدود
أناخوا بأبوابنا ساعة	وأجروا مدامعهم في الخدود
لعدنا سراعاً إلى وصلهم	وقلنا: قلوب المحبين عودي

يا مَنْ دام على معاملتنا مدةً ثم ترك:

ما الذي بدا لك حتى بدا لك؟

تشاغلتمُ عنا بصحبة غيرنا	وأظهرتمُ الهجران ما هكذا كنا
وأقسمتمُ أن لا تحولوا عن الهوى	فقد -وحياة الحبّ- حلتُم وما حلنا ^(١)

كانت أيام الوصال مشرقة، فصارت بالهجران ليالي:

وكان سراج الوصل يُزهرُ بيننا	فهبتْ به ريحٌ من البينِ فانظفا ^(٢)
------------------------------	---

(١) أنشدهما الشبلي. انظر: الطيوريات ص ٦٠٤، الخبر (١٠٦٤). باختلاف.

(٢) أنشده سالم بن سلمان بن عبدالله الحموي (ت بعد ٥٦٠ هـ بدمشق) مع بيتين آخرين

لبعضهم. انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب (٩/٤١١١).



يا مطروداً عن البابِ بعد القُربِ:

انذبَ زمانَ الوصلِ:

تذكرتُ أياماً مضتُ ولياليا
جرتُ فجرتُ من ذكرهنَّ دموعُ
أهل لها يوماً من الدهرِ أوبةً
وهل لي إلى أرضِ الحبيبِ رجوعُ؟
وهل بعد إعراضِ الحبيبِ تواصلُ
وهل لبُدورٍ قد أفلنَ طلوعُ؟

يا مُتخلفاً عن السالكين:

إذا رأيتهم على الجادة فصيح في أعقابهم:

فقلتُ: دعوني واتباعي ركابكم
أكن طوعاً أيديكم كما يفعل العبدُ
وما بال رغمي لا يهون عليهم
وقد علموا أن ليس لي منهم بُدُّ؟^(١)

علّق على قطارِ الأسحارِ، واستغث بالمتهجّدين:

إذا وصلتُم إلى وادي العقيقِ سلوا
عن حالٍ منقطعٍ أودى به السّفَرُ
وفتّشوا عن فؤادٍ هائمٍ قلقٍ
قد ضاعَ مني فلا عينٌ ولا أثرُ

أنجعُ الوسائلِ الذُّلُّ.

(١) أنشدتها امرأة أبي علي الروذباري. انظر: صفة الصفوة (٤ / ٣٣١)، ومثير العزم الساكن

(١ / ١٢١).



وأبلغ أسباب العفو البكاء.

والعبيُّ بلاغة المُنكسر:

يا مَنْ أشكو إليه ما يعلمُهُ والدمعُ يُذيعُ كلَّ ما أكتُمُهُ
هذا المسكينُ مَنْ تُرى يرحمُهُ؟ قد هان عليك كلُّ ما يؤلمُهُ

بالجسمِ من السقامِ ما يُخرِضُهُ والقلبُ يذوبُ من جوى يمرضُهُ
ما قد حكَمَ الإلهُ مَنْ ينقضُهُ؟ قد أعوزني الصبرُ فَمَنْ يُقرضُهُ؟

إخواني:

تعالوا تُرِقْ دمعَ تأسَّفنا، على قُبْحِ تخلفنا:

لعل انحدارَ الدمعِ يُعقبُ راحةً منَ الهمِّ أو يشفي نجيَّ البلابلِ^(١)

انذبوا على الذنوب ساعة.

وافقوني في البكاء يا جماعة:

رُويداً أيُّها الحادي سقاكُ الرائحُ الغادي
فتلك الدارُ قد لاحت وهذا الرَبْعُ والوادي

(١) لذي الرمة. انظر: ديوان المعاني (١/٢٥٧).



إخواني:

ما للمُذنبين حيلةٌ إلا الذلُّ والبكاءُ:

أهلَ الغرامِ تجمُّعوا فاليومُ يومُ عتابِنا
نعقَ الغُرابُ بيننا فغرابُنا أغرى بنا
إنَّ الذينَ نُحبُّهم قد وُكِّلوا بعدابِنا
قوموا بنا بحياتِكُم نمضي إلى أحبِّابِنا



الفصل السابع

سبحان مَنْ سَبَقَ قِضَاؤُهُ، فَقَرَّبَ وَأَبْعَدَ.

قد خُصَّ بالوصلِ قومٌ وبالقطيعةِ قومٌ

قال بعضُ السلف: لقيت رجلاً في بركة، فقلت: من أين؟

فقال: من عند قوم ﴿لَا نُلهِيهِمْ تَجَرُّدًا وَلَا بَعْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١).

قلت: وإلى أين؟

قال: إلى قوم ﴿تُتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾^(٢):

بنفسي مَنْ غَدَاةً نَأَيْتُ عَنْهُمْ تَرَكْتُ الْقَلْبَ عِنْدَهُمْ رَهِينًا

أَمَا لَكَ أَيُّهَا الْقَلْبُ اعْتِبَارٌ بِمَا فَعَلَ الْهَوَى بِالْعَاشِقِينَ؟

مَلَأُوا مَرَكَبَ الْقُلُوبِ مَتَاعًا لَا يَنْفِقُ إِلَّا عَلَى الْمَلِكِ، فَلَمَّا هَبَّتْ رِيحُ

الدُّجَى دَفَعَتِ الْمَرَكَبَ:

إِذَا الصَّبَا سَحِبَتْ أَذْيَالَهَا سَحْرًا عَلَى الْعَقِيقِ وَمَرَّتْ فِي رُبَى إِضْمٍ

وَحَرَّشَتْ بَيْنَ بَانِ الْجِرْعِ ظَالِمَةً وَشَيْحِهِ وَجَرَّتْ فِي الضَّالِّ وَالسَّلَمِ

تَنْفَسَ الْوَجْدُ وَارْتَاخَ الْمُشَوِّقُ وَعَا شَ الرُّوحُ بِالرُّوحِ بَعْدَ الْأَخْذِ بِالْكَظْمِ^(٣)

(١) مِنْ سُورَةِ النُّورِ، الْآيَةُ ٣٧.

(٢) مِنْ سُورَةِ السَّجْدَةِ، الْآيَةُ ١٦.

(٣) لِأَبِي إِسْحَاقَ الْغَزِي، كَمَا فِي «الْمَدْهَشِ» (١/٢٧٢)، وَلَمْ أَجِدْهَا فِي دِيْوَانِهِ.



يا سوق الأكل: أين أرباب الصيام؟

يا فرش النوم: أين حراس الظلام؟

درست والله المعالم، ووقعت الخيام.

قف بنا على الأطلال نخصّها بالسّلام:

أين سكّانك؟ لا، أين همّ أحجازاً سلّكوها أم شاماً؟

قد وقفنا بعدهم في ربعم^(١) فنقضناه استلاماً والتزاماً^(٢)

أترى أي طريق سلّكوا؟

أترى أي شعب أخذوا؟

حمامة الوادين ما الخبر أعرجوا بالفرات أم عبّروا؟

في كلّ يوم لنا هوى وجوى ومقلّة حشو جفنها نهر^(٣)

جدّوا وهزلت.

وصعدوا ونزلت:

حدّوا عزمات ضاعت الأرض بينها فصار سرائهم في ظهور العزائم^(٤)

(١) في الديوان: قد وقفنا قبلكم في ربعم.

(٢) لمهيار الديلمي من قصيدته: بكر العارض تحدوه النعامي. انظر: ديوانه (٣/٣٢٧).

(٣) هذا البيت كأنه مضرّب عليه، ولكن ليس بالطريقة التي درج عليها المؤلف في الضرب.

(٤) للشريف الرضي من قصيدته: ألا ليت أذيال الغيوث السواجم. انظر: ديوانه (٢/٣٨٢).



قنعوا من الدنيا بالبرِّ والبرِّ والبرِّ:

قد وافقوا الوحش في سُكنى مراتعها وخالفوها بتقويضٍ وتطيبٍ^(١)

قطعوا بادية الهوى بأقدام الجِدِّ، فما كان إلا القليل حتى قَدِمُوا من

السفر، فاعتنقتهم الراحة في طريق التلقّي، فدخلوا بلد الوصل، وقد حازوا

ربح الدهر:

زَمُوا المطايا فدمعَ مطلقَ أَمِنَ الـ عدوى ودمعَ وراء الخوفِ محصورُ^(٢)

فلم يُبْهَبْ بأولى الزجرِ سائِقُهُمْ حتى تشابهَ مهتوكٌ ومستورُ

تغلَّسوا من زرودٍ وجهَ يومهم وحطَّهم لظلالِ البانِ تهجيرُ

وضمنوا الليل سلعاً إذ رأوه وقد غنَّت على قُتَيْبِي سلعَ العصافيرِ^(٣)

فرَّغَ القومُ قلوبهم من الشواغلِ، فُضِرَتْ فيها سرادقاتُ المحبةِ، فأقاموا

العيونَ تحرسُ تارةً، وترشُّ الأرضَ أخرى.

سُرادقُ المحبةِ لا يُضْرَبُ إلا في قاعِ فارغٍ نزهٍ.

(١) للمتنبّي من قصيدته: من الجأذر في زي الأعراب. انظر: ديوانه ص ٤٨١.

(٢) في الأصل، وفي «المقامات» للمؤلف (١٨٢ أ): مستور. وهو سهو منه.

(٣) لمهيار الديلمي من قصيدته: هل في الشُّموسِ التي تحدى بها العيرُ. انظر: ديوانه

(٢/١٠٣-١٠٤).



«فَرِّغْ لِي بَيْتاً أَسْكُنُهُ»^(١):

بَدَّلُوا الدَّارَ فَلَمَّا	نزلوا القلبَ أقاموا
يا خليليَّ اسقياني	ومن الوجدِ سَقامُ
وصفائي قُلْعَةَ الرَّكِّ	بِ ولَّيْلِ مَقَامُ
وَمِنِّي أَيْنَ مِنِّي مَنْ	ني؟ لَقَدْ شَطَّ المَرَامُ
هل على جَمْعِ نُزُولُ	وعلى الحَنيفِ حِيَامُ؟ ^(٢)



(١) أثر إسرائيلي. انظر: تفسير النيسابوري «غرائب القرآن» (١/ ٤١٠).
 (٢) للشريف الرضي من قصيدته: زار والركبُ حرام. انظر: ديوانه (٢/ ٢٨٢).



الفصل الثامن

يا هذا:

اعرف قدرَ ما ضاعَ منك.

وابكِ بكاءَ مَنْ يدري مقدارَ الفاتيةِ.

وصحّ في السّحرِ:

إِنْ كَانَ عَهْودُ وَصَلِكُمْ قَدْ دَرَسَتْ فَالرُّوحُ إِلَى سِوَاكُمْ مَا أُنْسَتْ
أَغْصَانُ هِوَاكُمْ بِقَلْبِي غُرَسَتْ مُنَّوَا بُوَصَالِكُمْ وَإِلَّا يَبَسَتْ

يا أربابَ القلوبِ الضائعةِ:

أذهبوا فتحسّسوا مِنْ يوسُف:

هذِي معالِمُهُمْ وَمَا لِي مِنْذُ بَانَ القَوْمُ عَهْدُ
وَاهَا لِعِيشِي بِالْحَمِي لَوْ كَانَ لِي يَوْمًا يُرَدُّ
وَيْلِي أَحْظِي كُلَّهُ مِنْ حُبِّكُمْ هَجْرٌ وَصَدُّ؟

يا سكرانَ الهوى:

لو استنشقتَ رياحَ الأسحارِ لأفاقَ قلبك المخمور.



لو تخايلت قُربَ الأحباب لأقمت الماتمَ على بُعدك:

ما أشوقني إلى نسيم الرند؟ يشفي كَمدي إذا أتى مِنْ نجد
والشَّيخُ فإنَّهُ مُثِيرُ الوجدِ شوقي شوقي له ووجدي وجدِي

حدّثَ نفسَكَ بأرضِ نجدِ يهنُ عليها عبورُ العقبَةِ.

ذكّرها قُربَ مني، وقد درجت المَدْرَج:

مَنْ بِمِنِي وَأَيْنَ سَكَانٌ (١) مِنِّي؟ كَانَتْ ثَلَاثًا لَا تَكُونُ أَرْبَعًا
سَلَبْتُمُونِي كِبَادًا صَحِيحَةً أَمْسِ فَرُدُّوْهَا عَلَيَّ قِطْعًا
عَدَمْتُ صَبْرِي فَجَزَعْتُ بَعْدَكُمْ ثَمَ ذُهِلْتُ فَعَدِمْتُ الْجَزْعَا
ارْتَجِعُوا لِي لَيْلَةً بِحَاجِرٍ إِنْ تَمَّ فِي الْفَائِتِ أَنْ يُرْتَجِعَا (٢)
وِغَفْلَةً سَرَقْتُهَا مِنْ زَمَنِي بَلَعَلَعِ سَقَى الْغَمَامُ لَعَلْعَا (٣)

يا محصوراً عن الوصول، لا يُجزئه الهدى.

يا مُتَقَطِعاً فِي الطَّرِيقِ عَنِ جَمَلَةِ الْوَفْدِ:

تَحَامَلْ إِلَى بَعْضِ خِيَمِ أَهْلِ الْوَصْلِ.

وَأَشْهَدْ عَلَى وَصِيَّتِكَ ذَوْيَ عَدَلٍ.

(١) في الديوان: جيران. وفي المدهش، الفصل (٩) (١/ ٢٩٤): أيام.

(٢) لمهيار الديلمي من قصيدته: حبّ إليها بالغضا أن ترتعا. انظر: ديوانه (٢/ ٢١٢-٢١٣).

(٣) لم أجد هذا البيت في قصيدة مهيار السابقة، ولا في الديوان.



ونادٍ في النادي بصوتِ الذُّلِّ:

أيها الراحلون من بطنِ خبْتِ
فركابُ النَّوى بهم تترامى
إن أيتيم وادي الحبيب فأهدوا
لحبيبي^(١) تحيتي والسَّلاما
واطلبوا لي قلبي وآيته أن
تجدوا فيه من هواهم سَهاما
وردوا ماءً ناظري عَوْضِ الغُدِّ
رانِ وارعوا من الحشال الخزامى^(٢)

فإذا رأيتَ أينقهم قد استقامتْ على الجادَّةِ فصِحْ بهم:

إذا ما بلغتُم سالمين فبلِّغوا تحيةَ مَنْ قد ظنَّ أن لا يرى نجدا^(٣)

اجلسْ في ظلامِ الليلِ بين يدي مالِكك، واستعملْ أخلاقَ الأطفالِ، فإنَّ
الطفلَ إذا طلبَ من أبيه شيئاً فلم يعطه بكى عليه. وقل: يا مَنْ أعطى ومنعَ:
بلغَ المُنَى مَنْ حَلَّ في وادي منى غيري فإنِّي ما بلغتُ مُرادِي
وبكيتُ من ألمِ الفراقِ وشقوتي فبكي الحجيحُ بأسرهم والوادي

تروِّحُ إلى حديثِ المُنَاجاةِ وإن لم يُسمَعْ منك.

وابعثْ رسائلَ الأحزانِ وإن لم تصلْ.

(١) في مصارع العشاق: لسليمي.

(٢) للسراج. انظر: كتابه مصارع العشاق (١/٦٩)، وشعر السراج ص ١١٥.

(٣) ليزيد بن الطثرية. انظر: الزهرة (١/١٧٥).



وأنفذْ نَفَسَ الأَسْفِ، لَعَلَّ الصُّعْدَاءَ تَصْعَدَ:

يا نَسِيمَ الشَّمَالِ بَلِّغْ خِطَابِي واشفِ مِنِّي الجَوِي بِرَدِّ الجَوَابِ
 طُفْ بِسَاحَاتِ ذَلكَ الرِّبْعِ واحْمِلْ ذَرَّةً مِن تُّرَابِ ذَلكَ الجَنَابِ
 قُلْ لِمَ لَوَايَ: يَا مُنَى الرُّوحِ والقَلْدِ بِ وَمَنْ فِيهِ رَاحَتِي وانتَحَابِي
 كُنْتُ أَخشَى الوَشَاةَ فِيكَ وَلَكِنْ جَفْوَةَ الحَبِّ لَمْ تَكُنْ فِي حَسَابِي

يَا مَنْ يَعدُّ بِالتَّوْبَةِ:

كَمْ تُخَلِّفُ؟

اليوم عهدُكُمْ فأينَ الموعدُ؟^(١)

ما هذا الكسلُ وقد سارَ الركبُ:

اقمِ فانتشِطها حسبُها أن تُعقلا^(٢)

مَنْ استَطَالَ الطَّرِيقَ ضَعُفَ مَشِيئُهُ:

وما أَنَا بِالمُشْتاقِ إِنْ قَلْتُ بَيْنَا طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ طَوَالَ السَّبَّاسِبِ^(٣)

(١) للمتنبى، وعجزه: هيهات ليس ليوم موعدكم غدً. وهو أول قصيدة. انظر: ديوانه ص ٤١.

(٢) لمهيار الديلمي. وتتمته: ودع لها أيديها والأرجلا. وهو مطلع قصيدة. انظر: ديوانه (٣/٢٠٠).

(٣) للخفاجي من قصيدته: أناخ علي اللهم من كل جانب. انظر: ديوانه ص ٦٣٧. وفيه: طوال العوالي.



أما علمت أن الصادق:

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه^(١)

ليس عزمًا ما مرَّض المرء فيه ليس همًّا ما عاق عنه الظلام^(٢)

انفض فهذي عذبات رامة وماؤها العذب النمير البارد
وانشد هناك لي فؤاداً ضائعاً لولا الهوى ما ضلَّ ثم ناشد

يا فرح الواصلين.

يا ترخ المُتقطعين.

يا أسف المهجورين:

هل الدهر يوماً بليلى يجودُ وأيامنا باللوى هل تعودُ؟
زمانٌ تقضى وعيشٌ مضى بنفسي والله تلك العهودُ
ألا قل لسكان وادي الحبيب هنيئاً لكم في الجنان الخلودُ
أفيضوا علينا من الماء فيضاً فنحن عطاش وأنتم ورود^(٣)

(١) لسعد بن ناشب المازني، وتتمته: وأعرض عن ذكر العواقب جانباً. الكامل وحاشية المحقق (١/٢٦٨).

(٢) للمتنبي من قصيدته: لا افتخار إلا لمن لا يضام. انظر: ديوانه ص ١٦٣

(٣) لخلف بن أحمد القيرواني (ت: ٤١٤ هـ). انظر: معجم الأدباء (٣/١٢٥٤) باختلاف سير. وياقوت ينقل من «الأنموذج» لابن رشيق.



الفصل التاسع

أحزان المُريدين دائمة، وآماقهم بالدموع دامية.

لا راحة للمُحِبِّ إلا بقاء حبيبه.

ضحك بعض الصالحين يوماً ثم انتبه لنفسه، فقال: تضحكين وما

جُزِتِ العَقَبَةُ؟! والله لا ضحكتُ حتى أعلم بماذا تقع الواقعةُ:

يا نسيمَ الشَّمالِ باللهِ بُلِّغْ ما يقولُ المتيمُّ المُستَهامُ

قلْ لأحبائنا: لديكم محبٌّ ليس يسلو، ومقلَّةٌ لا تنامُ

كلُّ أنسٍ ولذَّةٍ وسرورٍ قبلَ لقيائكم عليَّ حرامُ

كانت مع هشام بن حسان^(١) جاريةً في الدار، فكانت تقول: أي ذنبٍ قد

عملَ هذا؟ مَنْ قَتَلَ هذا؟ الليلَ كلَّهُ يبكي.

كان أبو سليمان الداراني^(٢) يبكي حتى يثبَ الدمعُ من عينيه.

وكان عطاء السليمي^(٣) يبكي حتى لا يقدر أن يبكي:

يا مُنفِذاً ماءَ الجفوَ نِ وَكُنْتُ أَنْفُقُهُ عَلَيْهِ

(١) ترجم له ابن الجوزي في الطبقة الرابعة من عباد أهل البصرة، توفي سنة ١٤٨ هـ. صفة الصفة (٣/٣١٢).

(٢) من الطبقة السادسة من عباد أهل الشام، توفي سنة ٢٠٥ هـ. صفة الصفة (٤/٢٢٣).

(٣) ترجم له ابن الجوزي في الطبقة الرابعة من عباد أهل البصرة. صفة الصفة (٣/٣٢٥).



إن لم تكن عيني فأنت ست أعز ما نظرت إليه^(١)

إذا هبت رياح الخوف قلقت قلوب العارفين، فلم تترك ثمرة دمع في
فني جفن.

إذا نزل آب في القلب سكن آذار في العين:

لا تبلني بجفا يزيد خضوعي يكفيك أن النار بين ضلوعي
وحياة سقمي في هواك فإنه قسّم الهوى، ووحق فيض دموعي
لأوكلن عليك عيني بالبكا ولأعشقن عليك طول خضوعي

كان فتح الموصلي^(٢) يبكي الدموع، ثم بكى الدم، فقيل له: على ماذا
بكت الدم؟ قال: خوفاً على الدموع أن تكون ما صحّت لي:

يا لفؤادٍ وامقٍ ما يصحو قد طال لعظم ما عناه الشرح
والعين لها دمٌ ودمعٌ سح ذا^(٣) يكتب شجوه وهذا يمحو

إذا خيم سلطان المعرفة بقاع القلب صارت بقاع السباح رياضاً
بالرياضة:

ساكن في القلب يعمره

(١) للخفاجي. انظر: ديوانه ص ٣٠٢.

(٢) الزاهد العابد فتح بن سعيد، توفي سنة ٢٢٠هـ. صفة الصفوة (٤/ ١٨٣).

(٣) في الأصل: هذا. وهو سهو من المؤلف. وجاء على الصواب في «المدحش» (١/ ٣٧٥).



إذا نزل الحبيب ديار السرِّ أخرجَ منها النزلة.

حبيبٌ ليس يعدُّله حبيبٌ^(١)

فحينئذٍ يمتلئُ الباطنُ بالمحبةِ ولا يسعُ غيرَها:

وكان فؤادي خالياً قبل حُبِّكم^(٢)

فيصير ذكرُهُ سَميرَ القلبِ:

ولقد جعلتُك في الفؤادِ مُحدثي^(٣)

فكلما حدقتُ عينُ القلبِ إلى جمالِ المحبوبِ تمكنتِ المحبةُ، فيستحيلُ

السُّلُو:

فيا حُبَّهُ زدني جوىَّ كلِّ ليلةٍ ويا سلوةَ الأيامِ موعِدُك الحشرِ^(٤)

كان أويس^(٥) يهربُ مِنَ الخلقِ شُغلاً بحبيبه، فقالوا: مجنون:

لولا جنوني فيك ما قعدَ العواذِلُ لي وقاموا

(١) أنشدته رابعة بنت إسماعيل زوج أحمد بن أبي الحواري مع بيت آخر. انظر: التبصرة (٢٩٤/١).

(٢) لسمنون. انظر: طبقات الصوفية ص ١٩٨، وتاريخ بغداد (٩/٢٣٧)، ومصارع العشاق (٥٤/٢).

(٣) أنشدته رابعة بنت إسماعيل زوج أحمد بن أبي الحواري مع بيت آخر. انظر: التبصرة (٢٩٤/١).

(٤) لأبي صخر الهذلي. انظر: ديوان الحماسة (٩٦/٢). وفيه: فيا حُبِّها.

(٥) تابعي كبير معروف. صفة الصفوة (٤٣/٣).



أَوْ لِي يُلُومَ الْعَاذِلُو نَ وَ لَيْسَ لِي قَلْبٌ يُبَلِّغُ؟^(١)

كان الصبيان يرمونه حتى يدمى عقبه، ولسان حاله يقول:

وَلَقَيْتُ فِي حَبِّكَ مَا لَمْ يَلْقَهُ فِي حَبِّ لَيْلَى قَيْسُهَا الْمَجْنُونُ

لَكِنِّي لَمْ أَتَّبِعْ وَحَشَّ الْفَلَا كَفَعَالِ قَيْسٍ، وَالْجُنُونُ فَنُونُ^(٢)

كان إبراهيم ينسبونه إلى الجنون، والمحبة تنهأه أن يفسر ما استعجم:

أَبْتَهُمْ وَجَدِي وَهَمْ بِي أَعْلَمُ وَأَرْجُو شِفَائِي مِنْهُمْ وَهُمْ هُمْ

وَكَمْ كَدْتُ مِنْ شَوْقِ أَبِيٍّ مَنْ هُمْ وَيَمْنَعُنِي مِنْ ذَاكَ خَوْفِي مِنْهُمْ

وَكَمْ عَذَّلُونِي فِيهِمْ غَيْرَ مَرَّةٍ فَقُلْتُ لَهُمْ وَاللَّهِ بِالْصَدَقِ أَعْلَمُ:

إِذَا كَانَ قَلْبِي مَوْثِقًا فِي حَبْلِهِمْ وَجَسْمِي لَدَيْكُمْ كَيْفَ أَفْهَمُ عَنْكُمْ؟

فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَعَذَّلُوا فَتَوَصَّلُوا إِلَى أَنْ يَعُودَ الْقَلْبُ ثُمَّ تَكَلَّمُوا

وصف الرسول لأصحابه حلية حلة أويس^(٣)، فقوي توقُّ عمراً، فكان

فِي كُلِّ عَامٍ يَسْأَلُ عَنْ أَهْلِ الْيَمَنِ:

أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الْيَمَانُونَ عَرَّجُوا عَلَيْنَا فَقَدْ أَمْسَى هَوَانَا يَمَانِيَا

نُسَائِلِكُمْ: هَلْ سَالَ نَعْمَانٌ بَعْدَنَا؟ وَحَبِّ إِلَيْنَا بَطْنُ نَعْمَانَ وَادِيَا^(٤)

(١) لابن المعلم الهزلي الواسطي من قصيدة: ما ناح في البان الحمام. انظر ديوانه: (نسخة الظاهرية) (الورقة ٨٢ ب) ولم يردا في نسخة مكة.

(٢) لأبي نصر محمد بن الحسن بن حميد العراقي الأديب. انظر: مجمع الآداب لابن الفوطي (٥١/٤).

(٣) صحيح مسلم (٢٥٤٢).

(٤) لمجنون. انظر: مصارع العشاق (١/٦٤-٦٥).



فلما كانت آخر حجةٍ حجَّها عمرُ قام على أبي قُبَيْسٍ فنَادَى بأعلى صوتِهِ:

أفيكم أويِسُّ؟

وإِنِّي لِلشُّوقِ مِنْ بَعْدِهِمْ أُرَاعِي الْجَنُوبَ مَرَاحاً وَمَغْدَى
وَأَفْرَحُ مِنْ نَحْوِ أَوْطَانِهِمْ بَغِيْثٍ يُجْلِجُلُ بَرْقاً وَرَعْدَا
إِذَا طَلَعَ الرِّكْبُ يَمَّمْتُهُمْ أَحْيِي الْوَجُوهَ كَهَوْلًا وَمُرْدَا
وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ عَقِيْقِ الْحِمَى وَعَنْ أَرْضِ نَجْدٍ وَمَنْ حَلَّ نَجْدَا
نَشَدْتَكُمْ اللهُ فليُخْبِرُنِي مَنْ كَانَ أَقْرَبَ بِالرَّمْلِ عَهْدَا
هَلِ الدَّارُ بِالْجِرْعِ مَأْهَوْلَةٌ أَنْارَ الرِّبْعِ عَلَيْهَا وَأَسْدَى
وهَلِ حَلَبُ الْغَيْثِ أَخْلَافُهُ عَلِي مُحَضَّرٍ مِنْ زُرُودٍ وَمَبْدَا؟^(١)

فلما دُلَّ عليه فقال له عمر: مكانك حتى آتيك بنفقة، فقال:

لا أراك بعدها.

إِنْ كَانَتِ الْعَيْنُ مَذْفَارِقَتَهَا نَظَرْتُ إِلَى سِوَاكَ فِخَانَتَهَا مَا آتِيهَا
أَوْ كَانَتِ النَّفْسُ بَعْدَ الْبُعْدِ آلِفَةً حَبًّا سِوَاكَ فَلَا نَالَتْ أَمَانِيهَا
مَا إِنْ تَنَفَّسْتُ إِلَّا كُنْتُ فِي نَفْسِي تَجْرِي بِكَ الرُّوحُ مِنْ فِي مَجَارِيهَا^(٢)

اسمع صفة القوم.

(١) للشريف الرضي من قصيدة. انظر: ديوانه (١/ ٣٤٢-٣٤٦).

(٢) للحلاج. انظر: صلة تاريخ الطبري ص ٩٨ باختلاف ألفاظ، وهو من المنسوب إلى

الحلاج. انظر: ديوانه ص ٤٩ باختلاف ألفاظ كذلك.



يا أسيرَ الغفلة والنوم:

فاتني أن أرى الديارَ بطرفي فلعلِّي أرى الديارَ بسمعي^(١)

هبتَ اليومَ نسمةً من رِيحِ الوصل:

يا نسيمَ الرِيحِ هل من وقفةٍ تُطفئُ الغلّةَ أو تشفي الأواما
كُن رسولاً بسلامٍ عائداً نحو مَنْ أنفدَ لي فيكَ السّلاما

إخواني:

أجدُ رائحةَ كبدٍ محترقةٍ، حملتها إليّ شَمالٌ مُمزجةٌ بقبلة:

هبتُ لنا من رِيحِ الغورِ رائحةٌ بعدَ الرُّقادِ عَرَفناها بِرِيّاكِ
ثمَّ انثنينا إذا ما هزّنا طَرَبٌ على الرِّحالِ تَعَلَّلنا بِذِكرِاكِ
سهمٌ أصابَ وراميه بذي سلمٍ منَ بالعِراقِ، لَقَد أبعدتِ مَرَمّاكِ
سقى مِنيَّ وليالي الخيفِ ما شربتُ منَ العَمَامِ وَحَيّاها وَحَيّاكِ
إذ يَلتقي كُلُّ ذي دَيْنٍ وَماطلُهُ منا، وَيَجتمعُ المَشكُوُّ والشاكي
هامتُ بِكِ العَيْنُ لم تُتبعِ سِوَاكِ هوىً منَ أَعلمَ العَيْنُ أَنَّ القَلبَ يَهْواكِ؟!^(٢)



(١) للشريف الرضي من قصيدته: عارضا بي ركب الحجاز، وهي من لواحق الحجازيات.
انظر: ديوانه (١/٦٥٨).

(٢) للشريف الرضي من قصيدته: يا ظبية البان ترعى في خمائله. انظر: ديوانه (٢/١٠٧ -
١٠٨).



الفصل العاشر

أيها المُعجِبُ بشبابه.

المُسْتَلْبُ عن قليلٍ مِنْ أَحبابه:

أَنسِيتَ يا مغرورٌ أَنكَ مَيِّتٌ؟ أيقنُ بأنكَ في المقابرِ نازلٌ
تفنى وتبلى والخلائقُ للبلى أبعثلِ هذا العيشِ يفرحُ عاقلٌ؟

ويحك، السَّكينُ يُحَدِّدُ، والتَّنورُ يُسَجِّرُ، والكبشُ يعتلفُ:

تنامُ ولم تنمَ عنكَ المنايا تنبّه للمنيةِ يا نؤومٌ^(١)

يا جعجعةَ السيرِ لو فهمَ الركبُ:

فاقضوا ما رَبَّكم عجالاً إنما أعمارُكم سفرٌ مِنَ الأسفارِ^(٢)

شحمُ المني هُزالٌ.

وشرابُ الأملِ سرابٌ:

سَلْ بغمدانِ أين ساكنُهُ سيءٌ فَوَقُلْ للنُّعمانِ أين السديرُ؟^(٣)

يا هائماً في بيدِ الهوى:

(١) لأبي العتاهية مِنْ قصيدته: أما والله إنَّ الظلمَ شوم. انظر: الاهتبال ص ٢٦٨.

(٢) لأبي الحسن التهامي مِنْ قصيدته: حكمُ المنيةِ في البريةِ جاري. انظر: ديوانه ص ٣٠٩.

(٣) للخفاجي مِنْ قصيدته: طلبُ الأمنِ في الزمانِ عسير. انظر: ديوانه ص ٥١٧.



ليس الطريق كذا.

تنفقُ عمرَكَ في التفریطِ إنفاقِ البرامكة، وتُشحُّ بدينارك شُحَّ
الحباحب!

العُمُرُ يُنْفَقُ فِي الدُّنْيَا مَجَازِفَةً وَالْمَالُ يُنْفَقُ فِيهَا بِالْمَوَازِينِ^(١)

ويحك، مَنْ قَبْلَ فَمَ اللذَّةِ عَضَّتْهُ أَسْنَانُ النَّدَامَةِ.

مَنْ سَكَرَ مِنْ خَمْرِ الدُّنْيَا هَلَكَ فِي خُمَارِ الْهُوَى.

عليك يا مُسْرِفٌ مُسْرِفٌ:

هَبِ الْبَعْثَ لَمْ تَأْتِنَا رُسُلُهُ وَجَاحِمَةُ النَّارِ لَمْ تُضْرَمِ

أَلَيْسَ مِنَ الْوَاجِبِ الْمُسْتَحَقُّ سِقِّ حَيَاءِ الْعِبَادِ مِنَ الْمُنْعِمِ^(٢)

يَا أَعْجَمِي الذَّهْنِ:

رَافِقُ عَرَبِ التَّفْطُنِّ.

إِلَى مَتَى مَعَ الْمُتَلَوِّثِينَ؟

(١) لأبي الفتح العسقلاني قاضي دمياط (ت: ٤١٣هـ). انظر: الطيوريات ص ٥٧٦، والوافي بالوفيات (٨/ ١٨١).

(٢) قال الشيخ ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٢٥٣): «وقد ذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الْجَدِّ

الْأَعْلَى أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا الْفَرَجِ ابْنَ الْجَوْزِيِّ يُنْشِدُ فِي مَجْلِسٍ وَعِظَهُ الْبَيْتَيْنِ الْمَعْرُوفَيْنِ:

هَبِ الْبَعْثَ لَمْ تَأْتِنَا رُسُلُهُ وَجَاحِمَةُ النَّارِ لَمْ تُضْرَمِ

أَلَيْسَ مِنَ الْوَاجِبِ الْمُسْتَحَقُّ (م) حَيَاءِ الْعِبَادِ مِنَ الْمُنْعِمِ؟...».



متى تُضاف إلى النظاف؟

أنتَ مع تقصيرِكَ تَأْمَنُ، وكانوا مع جدِّهم يخافون.

أنتَ على ذنوبِكَ تضحكُ، وكانوا مع طاعتِهِم يبيكون.

كان سري يداْفِعُ أوْلَ الليلِ، فإذا جنَّ أخذَ في البكاءِ إلى الفجرِ:

أقطعُ ليلي وجيشُ وجدي مِنْ عَنِّ شِمالي وَعَنِّ يَميني

تاللهِ لو عادني رسولٌ لعادَ عَنِّ مُدَنَّفٍ حزينِ

ما حيلتي فيكَ غيرَ أني أسرقُ مِنْ زفرتي أنيني

دموعُ الخائفينِ يجبُّسُها بالنهارِ مراقبةُ الخلقِ، فإذا أتى الليلُ انفتحَ سَكْرُ

البكاءِ، ﴿ فَسَأَلَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدْرِهَا ﴾^(١).

عربدَ الوجد^(٢) على أبدانهم فاستلب اللحمَ، ثم فشَّ البواطنَ بقبسٍ،

فطارَتْ شرارةٌ فوقَ الحريقِ داخلاً:

وخيالُ جسمٍ لم يُجِلِّ له الهوى لِحماً فيُنحَلُهُ السَّقامُ ولا دَمًا

وَحُفوقُ قلبٍ لو رأيتَ لهيبَهُ يا جَنَّتِي لظننتِ فيه جهنماً^(٣)

(١) من سورة الرعد، الآية ١٧.

(٢) أصاب ماء هذا الموضع في الأصل، وهذا ما بدا لي من اللفظ.

(٣) للمتنبّي مِنْ قصيدته: كفي أراني ويك لومك ألوما. انظر: ديوانه ص ١٠.



دخلوا على زُجلة العابدة^(١) فكَلَّموها في الرفقِ بنفسِها، فقالت: والله
لأُصَلِّينَّ ما أقتلني جوارحي، ولأصومنَّ له أيامَ حياتي، ولأبكينَّ له ما حملتِ
الماءَ عيناى:

لا أَقْبَلُ نُصْحَكُم فَخَلَّلُوا عَدْلِي ما أَطَيْبَ في الغرامِ طعمَ القَتْلِ؟
إِنْ طُلَّ دَمِي فَكَمَّ حَبِّ مِثْلِي قد ضُرِّجَ باللحاظِ لا بالنَّبْلِ؟

هانَ سَهْرُ الحِراسِ لَمَّا علموا أَنَّ أصواتَهُم بِسَمْعِ المَلِكِ:

أَيها المالكُ الَّذي سَهَرِي فِيهِ هِ كَطعمِ الرُّقادِ بل هُوَ أَحلى
غَرَضِي ما يُريدُهُ بي حَبِيبِي لو سَقاني مُهْلاً لما قَلتُ مَهْلاً
لستُ أدري أَطالَ ليليَ أم لا كيف يَدري بِذاك مَن يَتَقلى؟
إِنَّ للعاشِقينَ في قِصرِ اللِيْلِ لِ وفي طُولِهِ عن النُّومِ شُغْلاً
لو تفرَّغْتُ لاسْتِطالَةَ ليلي ولرَعِي النُّجومِ كَنتُ مُحَلِّ
وَعَرامُ الفِؤادِ مَدغَبَتَ عنهُ لم يَحِلُّ عن هِواكَ حاشى وكَلًّا^(٢)

قالوا ليزيد بن هارون^(٣): كم جزؤك من الليل؟ فقال: وأنا من شَيْئاً؟!!

لا أَنامُ اللهُ عيني إِذن.

(١) مِن عابِداَتِ البَصرة. صفة الصَّفوة (٤٠ / ٤).

(٢) لابن المعتز. انظر: المدهش (١ / ٣٥٦-٣٥٧). ولم أجد الأبيات في ديوانه.

(٣) إمام حافظ من أهل واسط، توفي سنة ٢٠٦ هـ. صفة الصَّفوة (٣ / ١٧).



سلوا غيرَ طرفي إن سألتم عن الكرى فما لجفونِ العاشقينِ منامٌ^(١)

قلوبُ القومِ مملوءةٌ بحبِّه.

فإن نطقوا فبذكره.

وإن تحرَّكوا فبأمره.

وإن فرحوا فلقربه.

وإن ترحوا فلعنَّه:

والله ما طلعت شمسٌ ولا غربتُ إلا وأنتَ مُنى قلبي ووسواسي

ولا جلستُ إلى قومٍ أحدثهم إلا وأنتَ حديثي بين جُلَّاسي

ولا هممتُ بشربِ الماءِ من عطشٍ إلا رأيتُ خيالاً منك في الكاسِ^(٢)

أقواتهم ذكراً الحبيب.

وأوقاتهم بخدمته تطيب.

لا يصبرون عن مناجاته لحظة.

(١) لابن المعلم الهُرثي الواسطي من قصيدته: أكل حديث الصبح فيك ملام. انظر ديوانه

(نسخة مكة ص ٢٠٦).

(٢) من المنسوب إلى الحلاج. انظر: ديوانه ص ٧٩ باختلاف يسير.



ولا يتكلمون في غير رضاهُ بلفظة.

قال عثمان الباقلوي - وكان دائمَ الذكر -^(١): أَحْسُ كَأَنَّ نَفْسِي تَخْرُجُ
وَقْتَ الْإِفْطَارِ لِاسْتِغَالِي بِالطَّعَامِ عَنِ الذِّكْرِ.

حياتي منك في رُوحِ الوصالِ وصبري عنكَ مِنْ طَلَبِ الْمُحَالِ
وكيف الصبرُ عنكَ وأيُّ صبرٍ لعطشانٍ عَنِ الْمَاءِ الزُّلَالِ؟
إذا لعب الرجالُ بكلِّ شيءٍ رأيتَ الحُبَّ يَلْعَبُ بِالرِّجَالِ^(٢)

لو سمعتهم في الدجى يعجّون؟!

لو رأيتهم في السّحر يضحّون؟!

لولا نسائمُ الرجاء كانوا يَنْضِجُونَ:

ما لي عن وصلك اصطبأ إليك مِنْ هجرِكَ الفرائِ
أصبحتُ ظمآنَ ذا جفونٍ مياهُ أخلافِها غزائرُ
أزومُ كتمانَ ما أُلقِي وبالمآقي لَهُ اشتهارُ
ومِنْ نسيمِ الصَّبَا إذا ما هبّت على أرضِكُمْ أغارُ

(١) وكان يُقال له: العابد الصموت لإمساكه عن الكلام. ترجم له ابن الجوزي في المصنفين من أهل بغداد، توفي سنة ٤٠٢ هـ. صفة الصفوة (٢/٤٨٢).

(٢) الثاني والثالث في «الرسالة القشيرية»، باب الصبر (١/٤٥٨)، ولفظ الثاني فيه:

وكيف الصبرُ عمّن حلّ مني بمنزلة اليمين من الشالِ

والثاني في «التمثيل والمحاضرة» ص ١٦١ (الماء) بلا نسبة.



آهٍ لذكرى ديارٍ سلمى لا أجذبُ تلُكُمُ الديارُ
 لهفي لعيشٍ بها تولى نظيرُ أيامه النُّضارُ
 إذ أعينُ الدهرِ راقداً وفي غُصونِ الهوى ثمارُ
 يحقُّ لأبدانِ المُحبينِ تَدُوبُ.
 ولساءِ أعينهم تهمي وتُصوبُ.

لو حملوا جبالَ الأرضِ مع كُرِّ الكُرُوبِ، كان قليلاً في جنبِ المحبوبِ:
 رأى خضوعي فصَدَّ عني فازددتُ ذُلًّا فزادَ تيهها
 قلتُ له خالياً وعيني قد أقرحَ الدمعُ مآقيها:
 هل لي في الحبِّ من شبيهٍ؟ قال: وأبصرتَ لي شبيهاً؟^(١)



(١) لابن المعتز. انظر: المدهش (١/٣٦٣). ولم أجدها في ديوانه.



الفصل الحادي عشر

يا هذا:

ما خُلِقْتَ للدينا، فلا تألف منزلاً لا تصحُّ الإقامة به:

رفيقك قيسي وأنت يمانى^(١)

إذا كنت كلما لاحت شهوة «طفيل» العرائس، فانتظر قتلة «وضاح
اليمن»^(٢).

قلُّ لبدنك:

الدينا منزلٌ وبيءٌ، والجنةُ وادي الريف.

وخاطبٌ روحك بغير هذه اللغة، قل له:

الدينا غربةٌ، والأخرى وطنٌ.

ونادِ قلبك بعبارةٍ أخرى:

الدينا دارٌ فرقةٌ، والآخرةُ محلُّ اللقاء.

(١) للمتنبي من قصيدته: عدوك مذمومٌ بكلِّ لسانٍ، وصدوره: كأنَّ رقابَ الناسِ قالت لسيفه.

انظر: ديوانه ص ٥١٣.

(٢) عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال، من آل خولان، من حمير: شاعر، رقيق الغزل، قُتل

نحو سنة ٩٠هـ. الأعلام (٣/ ٢٩٩).



مَنْ لَاحَ لَهُ جَمَالُ الْآخِرَةِ هَانَ عَلَيْهِ فِرَاقُ الدُّنْيَا.

مَنْ قَوِيَ عَشْقُهُ لِأَجْنِبِيَّةٍ طَلَّقَ رَبَّةَ الْبَيْتِ.

إِذَا لَاحَ لِلْبَاشِقِ صَيْدٌ نَسِيَ مَأْلُوفَ الْكَفِّ.

يَا أَقْدَامَ الصَّبْرِ اِحْمَلِي، فَقَدْ بَقِيَ الْقَلِيلُ.

تَذَكَّرِي حَلَاوَةَ الدَّعَةِ يَهْنُ عَلَيْكِ مَرُّ الشَّرِي.

قَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ الْمَنْزِلِ، فَاحْدُ لَهَا تَسْرًا.

قال أبو يزيد^(١): ما زلتُ أسوقُ نفسي إلى الله وهي تبكي، حتى سُقَّتْهَا

وهي تضحكُ:

تَغَنَّ بِالْجُرْعَاءِ يَا سَائِقَهَا	فَإِنْ وَنْتُ شَيْئًا فزِدْهَا الْأَبْرَقَا
وَاعْنِ عَنِ السَّيَاطِ فِي أَرْجُوزَةٍ	بِحَاجِرٍ تَرَى السَّهَامَ الْمَرْقَا
وَاسْتَقْبِلِ الرِّيحَ الصَّبَا بِحُطْمِهَا	تَجِدُ سُرَى مَا وَجَدْتُ مُسْتَبَقَا
إِنَّ لَهَا عِنْدَ الْحِمَى وَأَهْلِهِ	لَعَلْقًا مِنْ حُبِّهَا وَعَلْقَا ^(٢)

(١) البسطامي، معروف، توفي سنة ٢٦١هـ. صفة الصفوة (٤/١٠٧).

(٢) لمهيار الديلمي من قصيدته: درَّ لها خلفُ الغمام فسقى. انظر: ديوانه (٢/٣٢٢).
والعجز الأخير فيه: إن حملت لعلقا وعلقا.



وَكُلَّمَا تَزَجَّرُهَا ^(١) حَدَاتُهَا
 حَوَامِلًا مَنَا هُمومًا ثَقُلْتُ
 دَامَ عَلَيْهَا اللَّيْلُ حَتَّى أَصْبَحْتُ
 يَجْمَلُنَا وَإِنْ عَرِينَ قَصَبًا
 رَعَى الْجَمَى رَبُّ الْغَمَامِ وَسَقَى
 وَأَنْفُسًا لَمْ تُبْقِ إِلَّا رَمَقًا
 تَحَسَّبُ فَجَرَ ذَاتِ عِرْقٍ شَفَقًا
 وَإِنْ دَمِينٌ أَذْرَعًا وَأَسوقًا
 لِلْبَانِ مَا شِئْتَ الْجَوَى وَالْحُرْقَا ^(٢)
 عَرَّجَ عَلَى الْوَادِي فَقُلْ عَنْ كِبِدِي

يا هذا:

الجنة ترضى منك بالزهد.

والنار تندفع عنك بترك الذنب.

والمحبة لا تقنع إلا بالروح:

إِنَّ سُلْطَانَ حُبِّهِ قَالَ: لَا أَقْبِلُ الرُّشَا ^(٣)

ضجَّتِ الملائكة حين هموا باللقاء الخليل في النار، وقالوا: ائذن لنا ندفع
 عنه. فقال: إن استغاث بكم فأغيثوه.

(١) في الأصل: تزجره. وهو سهو من المؤلف.

(٢) لمهيار الديلمي من قصيدته: تربعت بين العذيب فالنقا. والأبيات المختارة هي (٥، ٧، ١٢، ٨، ٢١). انظر: ديوانه (٢/٣٢٧-٣٢٨).

وقد مزج المؤلف بين أبيات القصيدتين كما ترى.

(٣) للشبلي. انظر: مصارع العشاق (١/٣٢٠)، وديوانه ص ١٠٧.



ما سلك الخليلُ طريقاً أطيبَ من الفلاة التي دخلها حين خرجَ مِنْ كَفَّةِ المنجنيقِ.

زيارة تسعى فيها أقدامُ الرضا على أرضِ الشوق:

زرناك شوقاً، ولو أن النوى بسطتُ فرشَ الفلا بيننا جُمرًا لزرناك

رآه جبريلُ وقد ودَّعَ بلدَ العادة، فظنَّ ضعفَ أقدامِ المُتوكِّلِ، فعرضَ عليه زاد: ألك حاجةٌ؟ فردَّه بأنفةٍ: أمّا إليك فلا.

قال: فسَلْ مولاك.

قال: علمُه بحالي يغنيني عن سؤالي:

تَمَلَّكُوا واحتكموا	وصارَ قلبي لهمُ
تصرَّفُوا في مُلكهم	فلا يُقالُ ظلموا
إن وصلوا محبَّهم	أو قطعُوا فهُمُ همُ
يا أرضِ سلِّعِ أخبري	وحدَّثيني عنهمُ
يا ليت شعري إذ غدوا	أنجدوا أم أتهموا؟
ما ضرَّهم حين سَروا	لو وقفوا وسلِّموا ^(١)

لما تكامل توكلُ الخليلُ جاءتهُ مدحة: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾^(٢):

(١) للمؤلف. انظر: مثير العزم الساكن (٢/١١٠).

(٢) مِنْ سورة النجم، الآية ٣٧.



قالت لطيف خيالٍ زارها ومضى: باللهِ صِفهُ ولا تنقُصْ ولا تزدِ
فقال: خلفتُهُ لو ماتَ مِنْ ظمًا وقلت: قف عن وُرودِ الماءِ لم يردِ
قالت: صدقتَ الوفا في الحبِّ عادتهُ يا بردَ ذاك الذي قالتَ على كَبدي^(١)

أبدانُ المُحبين بينكم، وقلوبهم عند الحبيب.

طرق طارقُ بابَ أبي يزيد فقال: ها هنا أبو يزيد؟

فصاح من داخل الدار: أبو يزيد يطلبُ أبا يزيد فما يجده:

يا حمّامِ الدوحتينِ لا تغصّصتَ بيّينِ
نُح فلا زلتَ ظليلاً سالمَ القادمتينِ
وإذا أعوزكَ الدمُ عُ فقلْ وابلِكِ بعيني:
إنّ قومي يومَ بانوا فرّقوا بيني وبينِي
غادروا جسّمي وقلبي معهم بالعلّمينِ
فإذا كُنْتُ أنا الره نَ فمَنْ يقتضِ ديني؟

(١) للأمير وجيه الدولة أبي المطاع ذي القرنين بن ناصر الدولة الحمداني. انظر: يتيمة الدهر (١/٩٢)، والمستفاد للدمياطي ص ٢٣٠-٢٣١.

ونُسبت في «وفيات الأعيان» (١/١٢٩-١٣٠)، و«البداية والنهاية» (١٢/١٩٨) إلى أحمد بن محمد ابن طباطبا (ت: ٣٤٥هـ). وقد ذكّر هذا التنازع في «ديوان الأمير وجيه الدولة الحمداني» ص ١٣٤.



لقي بعضُ الجندِ إبراهيمَ بنَ أدهمَ في البريةِ فقال له: أينَ العُمرانُ؟ فأوماً
بيده إلى المقابرِ، فضربه فشجَّ رأسه. ف قيل له: هذا ابنُ أدهمِ، فرجعَ يعتذرُ،
فقال له إبراهيمُ: الرأسُ الذي يحتاجُ إلى اعتذارِكَ تركتهُ ببلخ.

عزي دُلي وصحتي في سَقمي يا قومُ رضيتُ في الهوى سفكُ دمي
عذالي كُفوا فَمِنْ ملامي ألمي مَنْ باتَ على وعدٍ^(١) اللقا لم ينم

مرَّ رجلٌ بابنِ أدهمِ وهو ينظرُ كَرماً، فقال: ناولني مِنْ هذا العِنْبِ.
قال: ما أذنَ لي صاحبهُ. فقلَّبَ السوطَ وضربَ رأسه، فجعلَ يطأطئُ رأسه
ويقولُ: اضربْ رأساً طالماً عصى الله:

مَنْ أجلكَ قد جعلتُ خدي أرضاً للشامتِ والحسودِ حتى ترضى
مولاي إلى متى بهذا أحظى؟ عُمري يفنى وحاجتي ما تُقضى

لو قطعني الغرامُ إرباً إرباً ما ازددتُ على الملامِ إلا حُباً
لا زلتُ بكم أسيرَ وجدٍ صَباً حتى أقضي على هواكم نَحْباً

كان ابنُ أدهمِ إذا عُرِفَ في مكانٍ تحوَّلَ إلى غيره، لا يلبسُ ثيابَ الزهادِ
وسياهُ تنطقُ.

(١) في الأصل: مواعد. وهو سهو من المؤلف، وجاء على الصواب في المدهش (الورقة ٥٣هـ)
(نسخة الخزانة الحسينية المسماة كشف الحقائق).



محبتي لكم بين الورى شاعتُ ومهجتي عزها بالذلّ قد باعتُ
سرائري بلسانِ الدمعِ قد ذاعتُ ما حيلتي ومفاتيح الحيلة ضاعتُ^(١)

كان إبراهيم بن أدهم يستغيثُ من كربٍ وجدِهِ، ويبولُ الدمَ من

شدةِ خوفه:

كَلَّمَا زَادَ كَرْبُهُ فِي هَوَى مَنْ يُجْبُهُ
طَارَ نَحْوَ الْحَبِيبِ مِنْ شَدَةِ الشَّوْقِ قَلْبُهُ
ذَنْفٌ كَأَذَى يَنْقُضِي بِيَدِ الْبَيْنِ نَحْبُهُ
خَبَّرْنَا عَنِ الْعَقِيدِ قِيَّ مَتَى سَارَ رُكْبُهُ؟

استغاث ابنُ أدهم يوماً من قلقه فقال: يَا رَبِّ: إِنْ كُنْتَ وَهَبْتَ لِأَحَدٍ
مِنْ مَحَبَّتِكَ مَا يَسْتَرِيحُ بِهِ فَهَبْ لِي. فقليل له في نومِهِ: وَهَلْ يَسْكُنُ مَحَبَّتُ
بِغَيْرِ حَبِيبِهِ؟!

الجسْمُ يَذِيبُهُ الْأَسَى وَالسَّهْدُ وَالقَلْبُ يَنْوِبُهُ الْجَوَى وَالكَمَدُ
قَدْ وَجَدُوا وَهَكَذَا مَا وَجَدُوا مَا جَنَّ بِهِمْ مِثْلَ جَنُونِي أَحَدُ

(١) كذا في الأصل.



شوقٌ وجوىٌّ ونارٌ وجدٍ تقدُ مالي جلدٌ ضعفتُ مالي جلدٌ^(١)



(١) لابن الخل البغدادي، وقبله:

ساروا وأقام في فؤادي الكمدُ لم يلقَ كما لقيتُ منهم أحدُ
انظر: خريدة القصر - القسم العراقي (ج ٣ مج ١ ص ٣٨٤)، ووفيات الأعيان
(٢٢٨/٤).

وقد مزجه المؤلفُ بالبيتين قبله، وليس منها.



الفصل الثاني عشر

لما عرف الصالحون قدرَ قيمة الحياة أماتوا فيها الهوى فعاشوا.

كان أحدهم إذا قهرَ نفسه بترك شهوةٍ أقبلَ يهتزازَ الرامي قرطسَ.

انتهبوا بأكفِّ الجددِ مِنَ الزمنِ ما نشره زمني البطالة:

وركبِ سرِّوا والليلُ مُلقٍ رواقه على كلِّ مُغبرِّ المطالعِ قاتمِ
حدوا عزماتِ ضاعتِ الأرضُ بينها فصارَ سُرَاهِمُ في ظهورِ العزائمِ
تُرهمُ نجومُ الليلِ ما يبتغونه على عاتقِ الشَّعري وهامِ النَّعائمِ^(١)

هانَ عليهم طولُ الطريقِ لعلمهم أين المقصد.

وحلَّتْ لهم مراراتُ البلاءِ حبًّا لعواقبِ السَّلامة.

فيا بُشراهم يومَ ﴿ هَذَا يَوْمُكُمْ ﴾^(٢).

دخل محمد بنُ كعب القرظي^(٣) على عمر بن عبد العزيز^(٤) وقد غيَّره

الزهد، فلم يعرفه، فقال له عمر: فكيف لو رأيتني بعد ثالثةٍ في قبري؟!

(١) للشريف الرضي من قصيدته: ألا ليت أذيال الغيوث السواجم. انظر: ديوانه (٢/ ٣٨٢).

(٢) من سورة الأنبياء، الآية ١٠٣.

(٣) تابعي مدني إمام، توفي سنة ١١٧هـ، وقيل بعد ذلك. صفة الصفوة (٢/ ١٣٢).

(٤) الخليفة الأموي الصالح، توفي سنة ١٠١هـ. صفة الصفوة (٢/ ١١٣).



لم تُبقِ فيهم حزازاتُ الهوى وجوى الـ أحزانٍ غيرَ خيالاتٍ وأشباحِ
تَكَادُ تنكرُهُم عَيْنُ الخبيرِ بهم لولا ترَدُّدُ أنفاسٍ وأرواحِ

كان وهيب بنُ الورد^(١) قد نحلَّ من التعبُد، فكانت خضرةُ البقلِ تبين

تحت جلدةِ بطنه:

زعمتَ لا يُبلي هواكُ بدني بلى وحُبِّيك بلى لقد بلي
داركُ تدري أنه لولا الهوى ما طُلَّ دُمٌ مقلتي في طللِ

مَنْ عَرَفَ ما يَطْلُبُ هَانَ عَلَيْهِ ما يَبْذُلُ:

وكم ناحلٍ بين تلك الخيا م تحسُّبه بعضُ أطنايها^(٢)

قالوا لأبي بكر النهشلي^(٣) - وهو في الموت - اشرب قليلاً من الماء.

فقال: حتى تغربَ الشمس.

نَقَرَهَا عن وِرْدِهَا بِحاجِرِ شوقٌ يعوقُ الماءَ في الحناجرِ
ورَدَّهَا على الطَّوى سواغِباً ذُلُّ الغرامِ وحنينُ الذاكرِ^(٤)

(١) من الطبقة الثالثة من المصطفين من عبَّاد أهل مكة، توفي سنة ١٥٣ هـ. صفة الصفوة (٢/٢١٨).

(٢) لصردر من قصيدته: تفيضُ نفوسٌ بأوصابها. انظر: ديوانه ص ١٢٩.

(٣) من علماء الكوفة، في اسمه أقوال، ولا يعرف إلا بكنته، توفي سنة ١٦٦ هـ. سير أعلام النبلاء (٧/٣٣٣).

(٤) لمهيار الديلمي من قصيدة. انظر: ديوانه (٢/٦٦). وفيه: ذل الغريب وحنين الزاجر. وفي «مثير العزم الساكن» (١/١٣٩): ذل الغريب وحنين الذاكر.



كانوا كلِّما دخلوا سِكَّةً مِنْ سِكِّكَ السُّكُونِ، شرَعَ بهم الخوفُ في شارعٍ
مِنْ شوارعِ القلقِ:

والْمُنَى تناجيني	الذنوبُ تُؤيسني
والحذارُ يطويني	والرجاءُ ينشُرني
والبعادُ يُبليني	حُبُّكم يُقلقلني
أو صحوتُ يُكيني	إنْ سكرتُ يُضحكني
قادمٌ يُمنيني	كلِّما يئستُ أتى
مَنْ سواك يُؤويني؟	إنْ طردتني أملي
في شعارِ مسكينٍ	قد قصدتُ بابكم
طائِعاً وَيَعْصيني	والفؤادُ يطلبكم
فهو باحٌ بي دُوني	إنْ أبخَ بحبكم
حالةُ المجانين ^(١)	والمُحِبُّ حالتهُ
رامٌ أَنْ يُسليني:	قلتُ للعدولِ وقد
دينُكم ولي ديني	عدلكم لكم، ولكم

لو أشرفتَ على وادي الدُّجى لرأيتَ خيمَ القومِ على شواطئِ أنهارِ البكاءِ.

(١) جاء هذا البيت في قصيدة لابن قزمي البغدادي (ت: ٥٥٣هـ)، قال العماد في «خريدة

القصر» (٢/ ٣٤٠) في ترجمته: «وله من أخرى:

يا لجأذر العينِ فتنتي وتُحِيني».

والبيت المذكور هو الثامن، فهل هذه الأبيات له؟ أشك في ذلك فالغرضان مختلفان.



خلوا - والله - بالحبيب، وطال الحديث:

أُتْرِ طَيْفِكُمْ لِمَا سَرَى أَخَذَ النَّوْمَ وَأَعْطَى السَّهْرَا؟
 مَا نَلُومُ اللَّيْلَ بَلْ نَعْدُرُهُ إِنَّمَا طَوَّلَهُ مَنْ قَصَّرَا
 يَا عَيْونَا بِالغُضَا سَاهِرَةٌ^(١) حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكَرَى
 لَوْ عَدَلْتَنَ تَسَاهَمْنَا جَوَى مِثْلَ مَا كُنَّا اشْتَرَكْنَا نَظْرَا
 حَبَّذَا فِيكَ حَدِيثٌ بَاطِنٌ فَطِنَ الدَّمْعُ بِهِ فَاثَشْرَا^(٢)

مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثْلُ تَقْوَاهُمْ، لَمْ يَعْلَمْ مَا الَّذِي أَبْكَاهُمْ.

مَنْ لَمْ يَشَاهِدْ جَمَالَ يَوْسُفَ، لَمْ يَعْرِفْ مَا الَّذِي أَلَمَ قَلْبَ يَعْقُوبَ.

مَنْ لَمْ يَبَيْتْ وَالْحُبُّ حَشْوُ فَوَادِهِ لَمْ يَدْرِ كَيْفَ تَقَتَّتْ الْأَكْبَادِ^(٣)

كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْخَوَّاصِ يَمْشِي فِي الطَّرِيقِ وَيَصِيحُ: وَاشَوْقَاهِ إِلَى مَنْ يَرَانِي

وَلَا أَرَاهُ:

هَذَا وَهِيَ وَكَمْ كَتَمْتُ الْوَلَهَا صَوْنًا لِحَدِيثِ مَنْ هَوَى النَّفْسِ لَهَا
 يَا آخَرَ مَحْتَمِي وَيَا أَوْلَهَا أَيَّامُ عَنَائِي فِيكَ مَا أَطْوَلَهَا؟^(٤)

(١) في الديوان: راقدة.

(٢) للخفاجي من قصيدة. انظر: ديوانه ص ٤٣٨-٤٣٩، والمدهش (٢/٦٠٠).

(٣) أنشده السري السقطي. انظر: صفة الصفوة (٢/٣٧٧). وابن الجلاء. انظر: تاريخ

دمشق (٦/٩٢).

(٤) لمحمد بن المبارك البغدادي المعروف بابن الخل (ت: ٥٥٢هـ). انظر: خريدة القصر -

القسم العراقي (ج ٣ مج ١ ص ٣٨٥)، ووفيات الأعيان (٤/٢٢٨).



يا مُتخلفاً في أعقابهم:

علّق على قطارهم.

قد كانت لك ليالي مناجاة، ثم طبقت الدُستورَ، وقطعتَ المعاملةَ،
فاندبَ زمانَ الوصالِ، لعلَّ حالاً تحول:

يا ليلتي بحاجرٍ	إن عادَ ماضٍ فارجمي
قالوا: الصباحُ فانتبه	فقال لي الطيفُ: اسمع
فقمْتُ مخلوطاً أظنُّ	من البازلِ ابنَ الرُّبعِ
حيرانَ طرفي دائرٌ	أطلبُ مَنْ ليس معي
أرضي بأخبارِ الريا	ح والبروقِ اللُّمعِ
وأين من برقِ الحمي	شائمهُ بلعلع؟
أفرشني الجمرَ وقا	ل: إن أردتَ فاهجع ^(١)

أصعبُ الأشياء:

الهجرُ بعد الوصال.

والبُعدُ بعد الاتِّصال:

يا ليلتي بذاتِ الشَّيحِ والضَّالِ ومُنبتِ البانِ مِنْ نَعمانَ عودا لي

(١) لمهيار الديلمي من قصيدته: لي عند ظبي الأجرع. والأبيات المختارة هي (٦، ١٠-١٤، ٥٢). انظر: ديوانه (٢/ ٢٠٤-٢٠٧).



ويا مرابعَ أطلالي بذي سَلَمٍ هُفِي على ما مَضَى مِنْ عَصْرِكِ الخالي
ويا مآربَ نفسي والذين هُمُ بالوصلِ والهجرِ إعلاي وإبلاي
قد كان قلبي بكم مأوى السرورِ فمُدُّ نأيتُم صار مأوى كلِّ بُلْبَالِ
فلو شريتُ بعُمري ساعةً سلفتُ مِنْ عِشْتِي معكم ما كانَ بالغالي
مالي أُعَلِّلُ نفسي بالوُقُوفِ على منازلٍ أقفرتُ منكم وأطالِ؟
قالوا: تشاغلَ عَنَّا واصطفى بدلاً منَّا، وذلك فعلُ الخائنِ السالي
وكيف أشغلُ قلبي عن مودَّتكم بغيرِ ذكركمُ يا كَلَّ أشغالي؟! (١)



(١) نُسِبَت الأبيات في «المدهش» (٦٠٥/٢) إلى مهيار، وليست في ديوانه.
وقد أورد المؤلفُ الأبيات (١، ٢، ٦) في كتابه مثير العزم الساكن (١٠٢/٢) ونسبها إلى
ابن البياضي. (وهو الشاعر مسعود بن المحسن الهاشمي البغدادي المتوفى سنة ٤٦٨ هـ.
وترجمته في المنتظم: ١٦/١٧٥ وغيره).



الفصل الثالث عشر

يا صبيانَ التوبة:

لِلنَّفْسِ حِظٌّ، وَعَلَيْهَا حَقٌّ، ﴿فَلَا تَحِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾^(١)، وَزَنُوا
بِالْقِسْطِ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ مِنَ النَّفُوسِ فَتُوراً فَاصْرَبُوا هُنَّ بِسَوَاطِرِ الْهَجْرِ، ﴿فَإِنْ
أَطَعْنَاكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْنَ سَكِيلاً﴾^(٢).

ارْفُقُوا بِمَطَايَا الْأَبْدَانِ، فَقَدْ أَلْفَتِ التَّرْفَ، ﴿وَلَا نُضَازُوهُنَّ لِنُضِيقُوا
عَلَيْنَ﴾^(٣):

هَبَّ لَهَا مِنَ النَّسِيمِ رَائِدٌ	فَعَادَهَا مِنَ الْغَرَامِ عَائِدٌ
نُوقٌ حَمِيٌّ عَنْهَا الْحِمَى طَيْبَ الْكُرَى	فَهِيَ كَمَا شَاءَ السُّرَى سَوَاهِدٌ
أَنْحَلَهَا تَحْتَ الدَّوُوبِ أَيُّهَا	فَمَارَتِ الْأَنْسَاعُ وَالْقَلَائِدُ
فَلَا تَخَالَفَهَا إِذَا مَا التَّفْتُتُ	شَوْقاً إِلَى بَانَ الْحِمَى يَا قَائِدُ
وَقَلْ لَهَا: لَعَا إِذَا مَا عَثَرْتُ	فَهِيَ بِحَمَلٍ وَجَدَهَا تُكَابِدُ
مَذْ حَكَمَ الْبَيْنُ عَلَيْهِمَا لَمْ تَزُلْ	تَبْكِي عَلَيْهَا الْيَدُ ^(٤) وَالْفِدَا فِدُ

(١) مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ، الْآيَةُ ١٢٩.

(٢) مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ، الْآيَةُ ٣٤.

(٣) مِنْ سُورَةِ الطَّلَاقِ، الْآيَةُ ٦.

(٤) فِي الْأَصْلِ: الْبَيْنُ. وَهُوَ سَهُوٌ مِنَ الْمُؤَلَّفِ. وَالتَّصْحِيحُ مِنْ «الْمُدْهَشِ» (٢/٤٧٨).



يا صبيانَ التوبة:

«إنَّ هذا الدينَ متينٌ، فأوغلوا فيه برفقٍ»^(١).

لا تحملوا على النفوس فوقَ الطاقة، إلا أن تتمكنَ المحبة، فلها حينئذٍ

حكْمُها:

وأرْحُوا أزمَتَها والنُّسوعَا	دعوها تردُّ بعد خمسِ شُرُوعَا
ولا امتدَّ دهرُكُ إلا ربيعا	وقولوا دعاءَ لها: لا عُقْرَتِ
مِ، كُلُّ غدا لأخيه رضيعا	حملنَ نشاوى بكأسِ الغرا
فِ طابوا أصولاً وطالوا فروعا	طوالِ السواعِدِ شَمِّ الأَنو
على صيحةِ البَيْنِ ماتوا جميعا	أحْبَبُوا فُرادي ولكنهم
ولفوا على الزَّفَراتِ الضُّلوعَا	حموا راحةَ النومِ أجفانهم
فقد دَفَعَ الليلُ ضيفاً قنوعا؟	أُسْكَانَ رامةَ هل مِنْ قِرى
لَهُ نظراً وحديثاً وسيعا ^(٢)	كفاهُ مِنْ الزادِ أنْ تمهدوا

يا صبيانَ التوبة:

اصبروا وصابروا.

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٩٨/٣) برقم (١٣٠٧٤) من حديث أنس، وقال محققه:

«حسن بشواهده، وهذا إسناد ضعيف».

(٢) لمهيار الديلمي من قصيدة. والأبيات المختارة هي (١، ٣، ٥، ٤٨، ٦، ٧، ٢١، ٢٢).

انظر: ديوانه (٢/٢٢٢-٢٢٥).



مكابدة البادية تهونُ عند ذكْرِ مني .

أكبرُ معينٍ على طولِ الطريقِ نسيمُ دارِ الحبيب .

تولَّعي يا نسَماتِ نجدِ
لعل رِيَّاكِ إذا ما نفحتُ
أستودعُ اللهَ بها قلبي فقدُ
كان معي قبل الفراقِ لهمُ
أيها الراكبُ:

حُثَّ الناقةَ فلها خِبرةٌ بالمنزل:

ما ذكرتُ على العقيقِ نجداً
تودُّ لو تملكُ من بانِ اللوى
إنك إن سرتَ بها مُنكبَّاً
إلا وحنَّتْ طرباً ووجداً
ظلاً، ومن ماءِ النُّقيبِ ورداً
عن العقيقِ جئتَ شيئاً إذا

إن ونت في السيرِ ركائبكم، فأقيموا حُدَاةَ العزمِ تُدلج:

البينُ يا أيدي المطايا البينا^(٢)
يا حادييها من نُميرِ عامرٍ
حُلا على وادي الغضا نُسوعها
لا تتشكِّي شوطكِ البطينا
خُذا بها عن حاجرِ يمينا
وأرخيا برامةِ الوضينا

(١) لحماة بن منصور البزاعي. انظر: خريدة القصر - قسم شعراء الشام (٢/١٣٣).
(٢) ضبط المؤلف الباء بالكسر، ومن معاني البين: الناحية، والفصل بين الأرضين، وقدر مد
البصر كما في القاموس ص ١٥٢٥-١٥٢٦.



رِداً بها ماءَ العُذيبِ علَّه
 يَشْفِي ويُطْفِي داءَها الدفينا
 واستَخْبِراً بِالْجِرْعِ أنْفاسَ الصِّبَا
 أين استقلَّ الجيرةُ الغادونا^(١)

حَنَّتْ فأذكَتْ لوعتي حيننا
 أشكو من البَيْنِ وتشكو البينا^(٢)
 قد عاثَ في أشخاصها طولُ السُّرى
 بقدرِ ما عاثَ الفراقُ فينا
 فخلَّها تمشي الهوينَا طالَ ما
 باتتْ تُباري الرِّيحَ في البرينا
 وكيف لا ناوي لها وهي التي
 بها قطعنا السهلَ والحُزونا؟
 إنْ كُنَّ لا يُفصحنَ بالشكوى لنا
 فهنَّ بالأرزامِ يشتكينَا
 قد أقرحتْ بما تحنُّ كِبدي
 إنَّ الحزِينِ يُسعدُ الحزينا
 لو عذبتْ لها دموعي لم تبتْ
 هيماً عطاشى وترى المَعينا
 وقد تياسرتْ بهنَّ جائراً
 عن الحمى فاعدلْ بها يمينا
 أكلمَا لاحَ لعيني بارقُ
 بكتْ فأبدتْ سريَ المَصُونَا؟

(١) هذا البيت كان ضمن قصيدة الحصكفي الآتية، بعد قوله:

وقد تياسرتْ بهنَّ جائراً عن الحمى فاعدلْ بها يمينا

وهو سهو من المؤلف، وموضعه هنا كما في «المدهش» (١ / ٢٧٤)، و«المقامات» (الورقة ٨٠ ب)، ويدلُّ على ذلك أيضاً الخطابُ للمثنى فيه.

وقد أورد المؤلف هذه الأبيات في «المدهش»، ولم ينسبها إلى قائل، ولم أجد لها.

(٢) ضبط المؤلف باء (البين) الثانية بالكسر. وكذلك فإنه مزج هذه القصيدة بما قبلها.



يقولُ صحي: أتري آثارَهُمْ؟ نعم، ولكنْ لا أرى القطينا
لو لم تجد ربوعَهُم كوجدنا للبينِ لم تبل كما بلينا

ي عندَهُم دَيْنٌ فكيف أخذوا قلبي بدينِ عندَهُم رهينا؟^(١)

(١) ذُكرت هذه القصيدة - عدا السابع والأخير - في المدهش (المطبوع) (١ / ٣٦١)، ونُسبت إلى المؤلف، وهذه النسبة غير صحيحة، فقد ذكر ابنُ الجوزي نفسه هذه القصيدة لأبي الفضل الحصكفي: يحيى بن سلامة (ولد بعد سنة ٤٦٠-٥٥٣هـ). انظر: المنتظم (١٨ / ١٣٢-١٣٣)، وليس فيها الأخير. وكذلك لم يذكر في القصيدة في «خريدة القصر». والذي فيها:

لا تأخذوا قلبي بدينِ مقلتي وعاقبوا الخائنَ لا الأميना



الفصل الرابع عشر

لما تمكنت المعرفة مِنْ قلوبِ العارفين اشتغلوا بمعروفهم حتى غاب^(١)
الإحساسُ عن الخلقِ.

كان مسلم بنُ يسار^(٢) إذا صَلَّى يقولُ لأهله: تحدّثوا فإني لا أسمعكم.
ووقعَ سقفٌ إلى جانبه فما أحسَّ به:

إِنَّ فِي الْأَسْرِ لَصَبًّا دَمْعُهُ فِي الْخَدِّ صَبُّ
هُوَ بِالرُّومِ مَقِيمٌ وَلَهُ بِالشَّامِ قَلْبٌ^(٣)

لما استحضروهم الحقُّ غابوا عن الخلق:

ولقد جعلتُكَ في الفؤادِ مُحدّثي^(٤) وأبحتُ جِسمي مَنْ أَرَادَ جَلُوسِي
فالجِسمُ مني للجلِيسِ مُؤانسٌ وحبِيبُ قلبي في الفؤادِ أنيسي^(٥)

كانت عيوتهم ترعى في كلِّ ما يُستحسنُ، فلما رأَتْ يوسفَ تعرقلت:

(١) في الأصل: غابت، وهو سهو.

(٢) من الطبقة الثانية من المصطفين من عبّاد أهل البصرة، توفي سنة ١٠٠هـ أو ١٠١هـ. صفة الصفة (٣/٢٣٩)، والبداية والنهاية (١٠/٤١).

(٣) لأبي فراس الحمداني. انظر: ديوانه ص ٣٠.

(٤) مرّ في الفصل التاسع.

(٥) أنشدتها رابعة بنت إسماعيل زوج أحمد بن أبي الحواري. انظر: التبصرة (١/٢٩٤).



وكان فؤادي خالياً قبل حبكم^(١) وكان بذكر الخلق يلهو ويمرُحُ
 فلما دعا قلبي هواك أجابه فليست أراه عن فنائك يبرحُ
 رُميتُ ببعدٍ منك إن كنتُ كاذباً وإن كنتُ في الدنيا بغيرك أفرحُ
 وإن كان شيءٌ في البلادِ بأسرها إذا غبتَ عن عيني بعيني يملحُ
 فإن شئتُ واصلني وإن شئتُ لا تصلُ فليست أرى قلبي لغيرك يصلحُ^(٢)

قويت المحبة عندهم فاستعجلوا الرحيل لقلّة الصبر عن الحبيب.

كان فتح الموصلي يقول: سيدي كم تتركني في أزقة الدنيا مخزوناً؟
 اقبضني إليك.

وكان ابنُ شخرف يقول: قد طال شوقي إليك، فعجّل قدومي عليك:
 يا مَنْ بحبالٍ وصله أمتسكُ صبري مفتضحٍ وستره منهتكُ
 هذا قلبي أعزُّ ما أملكُ عدبُهُ فما عليك فيه دركُ

ما زرتُ حماك والدجى مُشتبكُ إلا ضل البدر ثم^(٣) طاح الفلكُ
 ما مثلُ هواك للمنايا شركُ عشاقك قبل سلّ سيفٍ هلكوا

(١) مرّ في الفصل التاسع.

(٢) لسمنون كما سبق ذكره.

(٣) كذا، ولعل الصواب: و.



ما يصبرُ القومُ عن مناجاةِ حبيبيهم لحظة.

ولا يتكلمون في غير رضاهُ بلفظة.

فإن سلبوا لذةَ المحادثة، ضجُّوا لتلك الحادثة:

يا يوسفُ صلِّ فإنني يعقوبُ دمعي ودمي كلاهما مسكوبُ

والنومُ إذا هجرتني مسلوبُ ما أصبرني كأنني أيوبُ؟!

وكيف لا يضحُّ المُشتاق، أو يُجملُ المهجرُ ويُطاقُ؟!

أنت الحبيبُ الذي لا شكَّ في خلدي منه فإن فقدتكَ النفسُ لم تعيشِ

يا مُعطشي بوصالٍ كنتَ واهبهُ هل فيك لي راحةٌ إن صحتُ: واعطشي؟^(١)

أشدُّ آيةً نزلتُ: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾^(٢):

صدُّ وهجرٌ وجفا ورسمُ دارٍ قد عفا

لم يبقَ إلا نفسٌ لولا التمنيَّ لانظفا

يوحي اللهُ عزَّ وجلَّ إلى جبريل: أسلبْ عبدي حلاوة مناجاتي، فإن

استغاثَ بي فردَّها، وإلا فلا تردَّها عليه أبداً^(٣).

(١) لسمنون. انظر: طبقات الصوفية ص ١٩٧.

(٢) من سورة محمد، الآية ٣٨.

(٣) ذكره ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١ / ٤٣٤) عن أبي سليمان الداراني بلفظ: «اسلب

عبي ما رزقته من لذة طاعتي، فإن افتقدها فردَّها إليه، وإن لم يفتقدها فلا تردَّها عليه أبداً أبداً».



أيها الغضبانُ جُدْ لي بالرضا وارحم القلبَ وإلا افتضحَا
كلُّ سكرانٍ صحا مِنْ سُكره وفؤادي مِنْ هواكم ما صحا

وكيف لا ينزعجُ مَنْ فَقَدَ طيبَ مناجاةٍ حبيبه؟

والطفلُ يؤلمُه الفطام^(١)

كان الشبلي يقول في مناجاته:

ليت شعري، ما اسمي عندك يا علامَ الغيوب.

وما أنت صانعٌ في ذنوبي يا غفارَ الذنوب.

وبمَ تحتمُ عملي يا مقلَّبَ القلوب؟

وكان يصيحُ في جوف الليل:

قرة عيني، وسرورَ قلبي: ما الذي أسقطني مِنْ عينك؟

هجرانك قاتلي سريعاً والهجرُ مِنْ الحبيبِ قاتل

إن كنتَ نسيْتني فعندي شُغلٌ بك لا يزال شاغلاً

قلبي يهواكمُ فليت شعري ما أنتَ بذا المحبِّ فاعلٌ؟

حقاً قد قلتُ يا سروري لا دعوى ولي دلائل

(١) نُسِبَ إلى عمر بن الخطاب !! انظر: المستطرف (٢/ ٥٩٠).



شوقٌ وجوىٌّ ونازٌ وجدٍ تُذكى بعضائم البلابل
سائلٌ دمعي فجعنٌ سائلٌ^(١) لا يبرحُ لبلاءِ سائلٍ
إنَّ جنَّ الليلِ يا حبيبي جنَّ القلبُ في الرسائلِ
أبكي ما كان من وصالٍ والحزنُ تهبجه المنازلُ
هذا خدي على تراكم لا أبرحُه ولا أزيئلُ
إنَّ أنتَ طردتني فويلي بعد الإعراضِ مَنْ أوصلُ؟
كلاً، والجودُ لي شفيعٌ والجودُ مُقدّمُ الوسائلِ^(٢)



(١) في «المدهش» (١/٤١٣): فجفن عيني.

(٢) هذه القطعة من مجزوء الدوبيت، وانظر ما قاله عنها الدكتور كامل مصطفى الشيبني في كتابه «ديوان الدوبيت في الشعر العربي في عشرة قرون» ص ١٩٩-٢٠٠.



الفصل الخامس عشر

يا هذا:

الجنة فوقك تُزخرِفُ، والنار تحتك تُوقدُ، وربما كان كفنك اليوم يُغزَلُ.

أيقظانُ أنتَ اليومَ أم أنتَ نائمٌ؟^(١)

ويحك، العمرُ ظلُّ زائلٌ:

تمتَعُ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجِدٍ فما بعد العشيِّ مِنْ عَرَارِ^(٢)

تجافَ المِلاذَ بِالْمِلاذِ فعاقتُها وخمٌ.

شِرابُ الهوى حلو، لكنه يُورِثُ الشَّرْقَ.

ظباءَ الحِمى ما أخصبَ العيشَ عندكم وأنضره لو لم يكنْ دونهُ الرّدى؟

مَنْ تذكَّرَ خنقَ الفخ هانَ عليه هجرُ الحبّةِ.

يا مُعرِقلًا في شركِ الهوى: حمزةُ عزمٍ وقد خرقتَ الشبكةَ.

(١) كان عمر بن عبدالعزيز يتمثلُ به وتتمته: وكيف يطيق النوم حيران هائم؟ ومعه أبيات أخرى، وهي لعبدالله بن عبدالأعلى. انظر: مناقب عمر بن عبدالعزيز ص ٢٦١-٢٦٢، وصفة الصفوة (٢/١٢٤).

(٢) للصمة بن عبدالله القشيري. انظر: ديوان الحماصة (٢/١٠٢).



ستدري من يُذري دموعَ الأسي

إذ يلتقي كلُّ ذي دَيْنٍ ومأطله^(١)

إن عددتَ ديونك^(٢) عليكُ عددتُ عليك.

إذا رأيتَ نفسَكَ متخبّطاً لا مع المحبين ولا مع التائبين، فابسطُ رمادَ

الأسف، واجلسُ مع رفيقِ اللّهُف، وابعثُ رسالةَ القلق مع بريدِ الصُّعداء،

لعله يأتي الجوابُ بكشفِ الجوى:

ولي زفراءُ لو ظهرنَ قتلنني تسوقُ التي تأتي التي قد تولّت

إذا قلتُ: هذي زفرةُ اليوم قد مضتُ فَمَنْ لي بأخرى مثلها قد أطلّت^(٣)

حلفتُ لهم بالله ما أمُّ واحدٍ إذا ذكرتهُ آخرَ الليل أنتِ

وما وجدُ أعرابيةً قذفتُ بها صروفُ التوى من حيثُ لم تكُ ظنّتِ

تمنّتُ أحاليبَ الرّعاءِ وخيمةً بنجدٍ فلم يُقدِرْ لها ما تمنّتِ

إذا ذكرتُ ماءَ العُذيبِ وطيبهُ وبردَ حصاهُ آخرَ الليل حنّتِ

لها أنّهُ وقتَ العِشاءِ وأنّهُ سُحيراً فلولا أنّهاها جُنّتِ

(١) للشريف الرضي من قصيدته: يا ظبية البان ترعى في خمائله. وتمتمته: منا ويجمع المشكوّ والشاكي. انظر: ديوانه (١٠٨/٢). وقد مرّ في الفصل (٩).

(٢) لم تنقط وربها كانت: ذنوبك.

(٣) لقيس بن ذريح. انظر: عيار الشعر ص ١٣٧. وقرأ تعليق المحقق.



بأكثرَ مني لوعةً غير أنني أُجمِّمُ أحشائي على ما أجنّت^(١)
يا مَنْ فقدَ قلبه، وعُدِمَ التحيّلُ في طلبه:

تنفّسَ منْ كربِ الأسي، فبريدُ اللطفِ يحملُ المُلطّفات.

ريحُ الأسحارِ ركابُ الرسائل، ونسيمُ الفجرِ ترجمانُ الجواب:

فيا ريحَ الصّبا اقترحي على الأحشاء واحتكّمي

أراكِ نسمتِ تختبرين منَ ما عهدي وما ذمّي

فهذي في يدي كيدي وذا في وجنتي دمي

سلامٌ كلّما ذكّرتُ ليالينا على سلّم^(٢)

أبوابُ الملوك لا تُطرقُ بالأيدي، بل بنفّسِ المُحتاج:

آه والشّوق ما تأوهتُ منه ليلالٍ بالسّفحِ لو عُذُنْ أخرى

قلّبوا ذلك الرّمادَ تُصيّبوا فيه قلبي إن لم تُصيّبوا الجمر^(٣)

(١) قال في «الحماسة البصرية» (١٠٩٨ / ٣): «قال طارق بن نابي - وفيها أبيات تروى لابن الدمينة وهي: وما وجد أعرابية - وطارق كان في زمن الرشيد». وثم اختلاف ألفاظ. وعنه ديوان ابن الدمينة ص ٢٠٢-٢٠٤ (والتخريج ص ٢٦١).
ومن مصادر هذه الأبيات: «الأمالي» للزجاج ص ٢٤، و«الزهرة» (١/ ٢٧٩-٢٨٠).
وأورد المؤلف الأبيات في «مثير العزم الساكن» (٩٣ / ٢) مثل ما في هذه المصادر، ولم ينسبها.

(٢) لمهيار الديلمي من قصيدته: لمن دارّ على إضم. انظر: ديوانه (٣/ ٢٨٨).

(٣) لمهيار الديلمي من قصيدته: حيهما أوجهاً على السفحِ غراً. انظر: ديوانه (١/ ٤٠٦-٤٠٧).



أيها المطرود:

بت بيت الأحزان، فنعم الدار.

واستقبل قبلة التضرع.

وقل في الأسحار:

قد قلقَ الجنبُ وطار الكرى
وأظلمَ الجوُّ وضاقَ الفضاء
لا تُعطشَ الزرعَ الذي نبتُهُ
بصوبِ إنعامِكَ قد رُوِّضَا
إن كانَ لي ذنبٌ تجرَّمْتُهُ
فاستأنفِ العفوَّ وهبْ ما مضى
لا تبرِ عوداً أنتَ ريشتُهُ
حاشى لباني المجدِ أن ينفُضَا
وكيف لا أبكي لإعراضِ مَنْ
أعرضَ عني الدهرُ إذ أعرَضَا؟
قد كنتُ أرجوهُ لنيلِ المُنَى
فاليومَ لا أطلبُ إلا الرضا^(١)

يا سحائبَ الأجفان:

أمطري على رباحِ الذنوب.

يا ضيفَ الندمِ على الإسراف:

اسكنْ شغافَ القلوب.

(١) للشريف الرضي من قصيدته: كيف أضاء البرق إذ أومضا. انظر: ديوانه (١/ ٥٧٥ -

٥٧٦) باختلاف يسير.



يا أَيَّامَ الشَّيْبِ:

إنما أنتِ بين دَاعٍ وودَاعٍ، فهل لِمَاضٍ مِنَ الزَّمَانِ ارْتِجَاعُ؟
 قفا وُدَّعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ تُودَّعَا
 فليس عَشِيَا تُحْمَى بِرَوَاجِعِ عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِكَ تَدْمَعَا
 تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِعتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعَا
 وَأَذْكَرُ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَنْشِي عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا^(١)

لأبَدٍ - والله - مِنْ نَفُوذِ الْقَدَرِ، فَاجْنَحْ لِلسَّلَمِ:

كَمْ بِالْمُحْصَبِ مِنْ عَلِيٍّ لِي هَوَى طَرِيحٍ لَا يُعَلَّلُ
 وَقَتِيلٍ بَيْنَ بَيْنٍ خِيٍّ فَمِنْ مَنِيٍّ وَجَمْعٍ لَيْسَ يُعْقَلُ^(٢)

كان إبليسُ كالبلدةِ العامرةِ، فوقعَتْ فيها صاعقةُ الطردِ ﴿فَتَلَكُ
 بِيُوتَهُمْ حَاوِيَةً﴾^(٣):

مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْوَصَالِ أَهْلًا فَكُلُّ إِحْسَانِهِ ذَنْبٌ^(٤)

أَيُّ تَصَرُّفٍ بَقِيَ لَكَ فِي قَلْبِكَ وَهُوَ «بَيْنَ أُصْبَعَيْنِ»^(٥)؟!؟

(١) للصمة بن عبدالله القشيري. انظر: ديوان الحماسة (٢/ ٨٧-٨٨).

(٢) للسراج. انظر: مصارع العشاق (٢/ ٨٧)، ومثير العزم الساكن (٢/ ١٠١-١٠٢).

(٣) مِنْ سُورَةِ النَّمْلِ، الْآيَةُ ٥٢.

(٤) أنشده الشبلي. انظر: ديوانه ص ٨٩.

(٥) إشارة إلى حديث: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ

يَصْرَفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بِرَقْمِ (٦٩٢١).



يا قلبُ إلامَ تُطالبُني
أرسلتُك في طلبِي لهمُ
سلِّم واصرِّ واخضعْ لهمُ
ما أحسنَ ما علَّقتَ بهِ

بلقا الأجابِ وقد رحلوا؟
لتعودَ فضعتَ وما حصلوا
كم مثلكَ قبلكَ قد قتلوا!
آمالكَ منهمُ لو فعلوا؟



الفصل السادس عشر

يا مَنْ سُلطانُ شبابهٍ قد تولى.

وأميرُ الضَّعْفِ عليه قد تولى:

هذا مِعْوَلُ الكَبِيرِ يُعزِّقُ حيطانَ الأجل.

ومن الهوسِ أحاديثُ الأمل.

قفْ على ثنِيَّةِ الوداعِ نادباً قَبْلَ الرحيلِ ديارَ الألفَةِ:

يا منزلاً لم تَبَلْ أطلالهُ حاشى لأطلالكِ أنْ تبلى

والعيشُ أولى ما بكاهُ الفتى لا بدَّ للمحزُونِ أنْ يسلى

لم أبكِ أطلالكِ لكنني بكيْتُ عيشي فيك إذ ولى^(١)

كان يزيد الرقاشي^(٢) يقولُ في بكائه: يا يزيد: مَنْ يبكي عنكَ بعدَكَ؟ مَنْ

يترضى لكَ ربَّكَ؟

أحبكمُ مادمتُ حياً فإنْ أمتُ فوا كبدي مَمَّنْ يُحبُّكمُ بعدي^(٣)

ويحك، استدرِكْ زماناً يفوت.

(١) تمثَّلتُ بها الجاريةُ متيم ومعهما بيتان آخران. انظر: الأغاني (٧/ ٣٢٠). والثاني فيه هو الأخير.

(٢) يزيد بن أبان، من الطبقة الثالثة من عبَّاد أهل البصرة. صفة الصفوة (٣/ ٢٨٩).

(٣) انظر: ديوان الحماسة (٢/ ٢٠٠).



وأدرِك حيواناً يموت:

تزوّد من الماء النُّقاخِ فلن تری
ونل من نسيم البان والرندِ نفحةً
وكُـرّاً إلى نجدٍ بطرفك إنه
تلفتُ دون الركبِ والعينُ غمرةً
لعلّي أرى داراً بأسنمةِ النقا
تلاعبُ بي بين المعالمِ لوعةً
يا دائماً على الخطايا والعصيان:

متى يُقال: تابَ فلان؟

ألا خبّرَ من جانبِ الغورِ وارِدٌ
وإني على ما يُوجبُ الدهرُ للفتى
مقيمٌ بأطرافِ الشايبا صبايةً
ترامى به أيدي المطيِّ الرّواسِمِ
وإن سامه حَمَلُ الأمورِ العظامِ
أسائلُ عن أظعانكم كلَّ قادمٍ^(١)

يا مذبذبين:

أما استخشتتم مَبْرَكَ الخطأ؟

ويحكم، استنشروا عن أعطانِ البُعد.

(١) للشريف الرضي من قصيدة. انظر: ديوانه (١/ ٣٩٨-٣٩٩).

(٢) للشريف الرضي من قصيدته: ألا خبّر عن جانب الغور وارِد. انظر: ديوانه (٢/ ٣٨٠).



تحرّكوا في طلبِ الإنابة.

قفوا على بابِ الندمِ ساعة:

ثُوروا لها ولتَهْنُ فيها نفوسُكم إِنَّ المناقبَ للأرواحِ أثمانٌ^(١)

إذا قال العبد: يا ربّ: أين أطلبُك؟

قيل له: في قلبك.

فإذا قال: متى؟

قيل: الآن:

لئن كنتَ عني في العيانِ مُغيّباً فما أنتَ عن قلبي وسرّي بغائبٍ

إذا اشتاقتِ العينانِ منكَ بنظرةٍ تجلّيتَ لي في القلبِ مِنْ كلِّ جانبٍ^(٢)

قال بعضُ السلفِ: رأيتُ شاباً في سفحِ جبلٍ عليه آثارُ القلقِ، ودموعُهُ

تتحدّرن، فقلتُ: مَنْ أنتَ؟

فقال: أبقي هربَ مِنْ مولاة؟

قلت: فتعودُ، وتعتذرُ.

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: أسل بدمعك وادي الحي إن بانوا. انظر: ديوانه (٢/٢٥٣).

(٢) لطراد بن علي السلمى الدمشقي (ت: ٥٢٤هـ). انظر: معجم الأدياء (٤/١٤٥٨).

باختلاف يسير، منه: تثلّت بدل: تجلّيت.



فقال: لا حجةَ للمُفَرِّطِ.

قلت: فتعلَّقْ بالشُّفْعَاءِ.

قال: كلُّهم يخافونَ منه.

قلت: مَنْ هذا المولى؟

قال: رباني صغيراً، فعصيته كبيراً، فواحيائي من حُسنِ صنعه، وقُبْحِ

فعلي. ثم صاح، فخرجتُ عجوز فقالت: مَنْ أعانَ على البائسِ الحيران؟^(١)

قلتُ: أقيمُ عندكِ أعينكِ عليه.

فقالت: خله ذليلاً بين يدي قاتله، عساه يراهُ بغير مُعينٍ فيرحمه:

باللهِ عليكِ يا فتى الأعرابِ إنْ جُزّتْ على مواطنِ الأجبابِ
فاشرحْ سقمي وقلْ لهم ممّا بي ذاك المُضنى يموتُ بالأوصابِ

يا مُذنبين:

القلق القلق.

يا مُفَرِّطين:

(١) في «موافق المرافق» ص ١١١: «ثم صاح وخر ميتاً، فخرجتُ عجوز فقالت: مَنْ أعانَ على قتل البائسِ الحيران؟».



الحرق الحرق:

مَنْ عَائِدِي لِأَحْزَانِ وَكُرْبٍ وَأَشْجَانِ
 لَيْلُ الْمُحِبِّ لَيْلَانُ وَالْحُبُّ شَرُّ سُلْطَانِ
 لَهُ عَبِيدٌ مَجَانُ لَمْ يُشْتَرُوا بِأَثْمَانِ
 تُرَى الْحَبِيبُ الْغَضْبَانُ يَعُودُ لِي كَمَا كَانَ؟

مرحومٌ مَنْ يبكي.

معدورٌ مَنْ يندب:

كَيْفَ لَا أَبْكَي عَلَى عَيْشٍ مَضَى بَعْتُ عُمْرِي بِخَسِيسِ الثَّمَنِ؟
 كَيْفَ أَرْجُو الْبُرَّةَ مِنْ دَاءِ الْهُوَى وَطَيْبِي فِي الْهُوَى أَمْرَضَنِي؟

نحنُ فِي رَوْضَةٍ، طَعَامُنَا فِيهَا الْجُوعُ.

وشرابنا الدموع.

ونقلنا هذا الكلام المطبوع.

نُداوي أمراضاً أعجزتْ بختيشوع^(١).

(١) عُرِفَ بهذا الاسم طيبان: بختيشوع بن جبرئيل (ت: ٢٥٦هـ)، وبختيشوع بن يوحنا (ت: ٣٢٩هـ). انظر: الأعلام (٢/٤٤) و(٢/٤٥).



تخرُجُ أطيَّارُ البلاغَةِ مِنْ بُرْجِ القَلْبِ، فَتُظْهِرُ صِنَاعَتَهَا فِي الجَوِّ بِالقَلْبِ، ثُمَّ
تَقَعُ عَلَى أَغْصَانِ اللِّسَانِ تَسْتَرْيِحُ إِلَى التَّغْرِيدِ، فَأَيْنَ الطَّرُوبُ؟

يا صحابي وأين مني صحبي؟
كلمات^(١) أسماؤهن استعاراً
أرني ميتهً تطيبُ بها النفوسُ
لا تزلُّ بي عن العقيقِ ففيه
لا رعتِ السَّوامِ إن قلتُ للصَّحْبِ
فتنتهم عيونُ ذاك السَّربِ
تُوماهُنَّ غيرَ طعينٍ وضربِ
سُوقِ قتلاً يلدُّ غيرَ الحبِّ
وطري إن قضيتُه أو نجبي
بته: خفي عنه، وللعيس: هُبي^(٢)

إخواني:

وحدي أتكلّمُ.

وجدي يتألّمُ.

ألا مُريدٌ يتعلّمُ.

ألا مُودَعٌ يتسلّمُ:

هو الحمى ومغانيه مغانيه^(٣)
ما في الصَّحابِ أخو وَجِدٍ تطارحُه
فاحبسْ وعانِ بليلى ما تُعانيه
حديثَ نجدٍ ولا صبِّ تجاريه

(١) في الديوان: لحظات. وهو الصواب.

(٢) لصردر من قصيدة. انظر: ديوانه ص ٩٣-٩٤.

(٣) في الديوان، نسخة مكة: ومعانيه معانيه.



إِلَيْكَ عَنْ كُلِّ قَلْبٍ فِي أَمَاكِنِهِ سَاهٍ، وَعَنْ كُلِّ دَمْعٍ فِي مَاقِيهِ
يُوْهِي قَوَى جَلْدِي مَنْ لَا أَبُوحُ بِهِ وَيَسْتَبِيحُ دَمِي مَنْ لَا أَسْمِيهِ
يُنْبِلِي^(١) فَمَا فِي لِسَانِي مَا يِعَاتِبُهُ ضِعْفًا، بَلَى فِي فُؤَادِي مَا يُدَارِيهِ^(٢)



(١) في الديوان، نسخة مكة وبغداد: قسا.

(٢) لابن المعلّم مِنْ قصيدة تبلغ (٤٨) بيتاً، والأبيات المختارة هي (١، ٢، ٣، ١٤، ٢٤).

انظر: ديوانه (نسخة مكتبة مكة، الصفحة ٤٧-٤٩)، (ونسخة بغداد، الورقة ١٦)،

والمدهش (١/ ٣٩٤).



الفصل السابع عشر

لله درُّ أقوام تأملوا الوجود، ففهموا المقصود.

فالناس في رقادهم، وهم في افتقادهم.

والخلائق في غرورهم، وعيونهم إلى قبورهم.

وحداناً من الناس، يهربون من الجلّاس.

علموا أنّ وَحَلَ المخالطة يُتَعَبُ المُتَمَذِّبَ في التطهير، فرفعوا بأنامل

العزلة أذيالَ قميصِ الورع، فلما انفردوا آنسهم الحبيب:

أَوْحَشْتَنِي خَلَوَاتِي بَكَ مِنْ كُلِّ أُنَيْسٍ
وَتَفَرَّدْتُ فَعَايِنُ تُتِّكَ بِالْغَيْبِ جَلِيسِي
وَبَدَا لِي أَنَّ مَهْرَ الْـ حُبِّ أَنْفَاسِ النَّفُوسِ
فَكَتَبْتُ الْعَهْدَ لِلْحُبِّ بَّ عَلَى طِرْسِ الرَّسِيسِ

قال الإمام أحمد^(١): لقد رأيتُ قوماً صالحين:

رأيتُ عبد الله بن إدريس^(٢) وعليه جبةٌ من لُبودٍ قد أتت عليها سنون.

(١) الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، توفي سنة ٢٤١هـ. صفة الصفوة (٢/٣٣٦).

(٢) كوفي من حفاظ الحديث، توفي سنة ١٩٢هـ. صفة الصفوة (٣/١٦٧).



ورأيتُ أبا داود الحفري^(١) وعليه جبةٌ مُحْرَقَةٌ قد خَرَجَ منها القطنُ وهو يصلي فيترجِّحُ من الجوع.

ورأيتُ أيوبَ النجار^(٢) قد خَرَجَ مِنْ كُلِّ ما يملكه.

وكان في المسجد شابٌ مصفرُّ يُقال له العَرَفِيُّ، يقوم من أولِ الليلِ إلى الصباحِ يبكي.

إذا ما الحيامُ البيضُ لاحتْ لدى مني فعرَّجْ فإننا بعدَها بقليلِ
ترانا لدى الأطنابِ صرعى من الهوى نكفُكفُ دمعاً لافتقادِ خليلِ
وكم أنة أردفتُها بتنفسِ وكم عبرةٌ أتبعْتُها بعويلِ
قفوا فانظروا ذليَّ وعزَّ مُعدَّبي تروا عجباً من قاتلٍ وقتيلِ

قال أبو عمران الجوني^(٣): أرنتي أمي موضعاً من الدارِ قد انحفر، فقالت: هذا موضعُ دموعِ أبيك.

وكان حسان بن أبي سنان يحضُرُ مجلسَ مالكِ بن دينار^(٤)، فيبكي حتى يتلَّ ما بين يديه ولا يُسمعُ له صوتٌ:

(١) كوفي من حفاظ الحديث، توفي سنة ٢٠٣هـ. صفة الصفوة (٣/ ١٧٨).

(٢) من رجال الحديث الصالحين. انظر ترجمته في «تهذيب الكمال» (٣/ ٤٩٩).

(٣) عبدالمالك بن حبيب، من الطبقة الثالثة من عبَّاد أهل البصرة، توفي سنة ١٢٨هـ. صفة الصفوة (٣/ ٢٦٤).

(٤) زاهد معروف، من الطبقة الثالثة من المصطفين من أهل البصرة، توفي سنة ١٣١هـ. صفة الصفوة (٣/ ٢٧٣).



أجابَ دمعي وما الداعي سوى طللٍ دعا فلبّاه قبلَ الركبِ والإبلِ
ظلمتُ بينَ أصحابي أكفكفُهُ فظلَّ يسرُحُ بينَ العُذرِ والعَدَلِ
وما صباهُ مُشفاقٍ له أملٌ من اللّقاءِ كمشتاقي بلا أملٍ^(١)

دموعُ المُحبينِ عُدران في صحارى الشّوق:

فضلتُ دموعي عن مدى حزني فبكيْتُ مَنْ قتلَ الهوى قبلي
ما مرّ ذو شجنٍ يُكتمُهُ إلا أقولُ: مُتيمُّ مثلي
مَنْ يطلّعَ شرفاً فيعلمَ لي هل رَوَّحَ الرُّعيانُ بالإبلِ؟
أم فُعِقَعَتْ عُمُدُ الخيامِ أم از تفعتُ قبايهمُ على البُزْلِ؟
أم غرّدَ الحادي بقافيةٍ منها غرابُ البينِ يَسْتَملي؟^(٢)
إذا جنَّ الغاسقُ جنَّ العاشقُ:

طالَ ليلى دونِ صحبي سهرتُ عيني وناموا^(٣)

قال سفيان الثوري^(٤): بتُّ عند الحجاج بن فرافصة^(٥) إحدى عشرة

ليلة، فلا أكلَ ولا شربَ ولا نامَ:

(١) للمتنبى من قصيدة. انظر: ديوانه ص ٣٤٨-٣٤٩.

(٢) لصردر من قصيدته: شدوا على ظهر الصبارحلي. انظر: ديوانه ص ١٥٤-١٥٥.

(٣) لأحمد الغزالي من أبيات. انظر: المستفاد ص ١٨٦-١٨٧.

(٤) إمام معروف، توفي سنة ١٦١ هـ. صفة الصفوة (٣/ ١٤٧).

(٥) من الطبقة الرابعة من عبّاد أهل البصرة. صفة الصفوة (٣/ ٣٣٥).



عليّ حملٌ هواكم ما دام روعي في البدن
وما عليكم مني إن صرتُ طيف خيال؟^(١)

لو عاينت قوأم الليلِ وقد دارتْ كؤوسُ المناجاةِ بين مِزاهرِ التلاوةِ،
فأسكرتْ قلبَ الواجدِ، ورقمتْ في صحائفِ الوجناتِ: ﴿تَعْرِفُهُمْ
بِسِيمَتِهِمْ﴾^(٢):

وتمشّت في مفاصلهم كتَمشي البرء في السقم^(٣)

صحب رجلٌ رجلاً شهرين، فما رآه نائماً بليلاً ولا نهاراً، فقال: مالك
لا تنام؟

قال: إن عجائب القرآن أطرن نومي، ما أخرج من أعجوبة إلا وقعت
في أخرى^(٤):

لا تلحّه إن كنت من سُجرائه عذلُ المحبِّ يزيدُ في إغرائه
ودع الهوى يقضي عليه بحكمه ما شاء فهو مُسلمٌ لقضائه

(١) هذا من الشعر الشعبي: كان وكان. وهما للمؤلف في كتابه لقط الجمان في كان وكان، الفصل (٢٠)، الورقة (١٦)، وقد ذكرهما عمر بن محمد الرازي (ت: ٧٢٨هـ) في كتابه «مسامرة الندمان ومؤانسة الإخوان» ص ٢٥٣ ونسبهما إلى البغاددة.

(٢) من سورة البقرة، الآية ٢٧٣.

(٣) لأبي نواس من قصيدته: يا شقيق النفس من حكم. انظر: ديوانه ص ٤١.

(٤) انظر: صفة الصفوة (٤/٤٣٣).



فشقاؤه فيما تراه نعيمه ونعيمه في ذاك عين شقائه
 كحلت مآقيه بطول سهاده وحنّت أضاالعُه على بُرحائه
 دنف ببابل جسمه، وفؤاده بالخيف، واعجباً لطول بقائه!

إنَّ لله عزَّ وجلَّ ريحاً تُسمَّى الصُّبْحِيَّةَ مخزونةً تحت العرش، تهبُّ عند
 الأسحار، فتحملُ الأنين، والاستغفار^(١):

بالله يا ربح الشما ل إذا عزمت على الهبوب
 فتحملي شكوى المحب سب المستهام إلى الحبيب
 قرب الضنى من مهجتي لما بعدت عن الطيب

إذا تكاثف كرب الموحب لم يناسب ترويح قلبه إلا الصبا، وهي التي
 استأذنت ربها أن تحمل ريح يوسف إلى يعقوب:

يا نسيم الريح^(٢) من كاظمة شد ما هجت الأسي والبرحا
 الصبا إن كان لا بد الصبا إنها كانت لقلبي أروحا
 اذكرونا ذكرنا عهدكم رب ذكرى قربت من نزحا
 اذكروا صبا إذا غنى بكم شرب الدمع وعاف القدحا^(٣)

(١) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (٣/ ٣١) من قول سفيان الثوري، باختلاف سير.
 ورواه السلمي عن محمد بن علي الكتاني (ت: ٣٢٢هـ). انظر: طبقات الصوفية ص ٣٧٣.

(٢) في الديوان: الصبح.

(٣) لمهيار الديلمي من قصيدته: من عذيري يوم شرقي الحمى. انظر: ديوانه (١/ ٢٠٢-
 ٢٠٣).



كُلُّ سَكْرَانٍ صَحَابٍ مِنْ سُكْرِهِ وَفَوَادِي مِنْ هَوَاكُمَ مَا صَحَابٍ^(١)



(١) ليس هذا البيت من الأبيات السابقة، وقد مرَّ في الفصل الرابع عشر وقبله:
أيها الغضبان جُدْ لي بالرضا وارحم القلبَ وإلا افتضحا



الفصل الثامن عشر

العباراتُ حُظُّ النفوس، والإشاراتُ قُوْتُ القلوب.

نزل بعضُ أهل المعرفة إلى الشطِّ، فصاح: يا ملاح: احملني.

فقال: إلى أين؟

قال: « دار الملك ».

قال: معي ركابٌ إلى « القطيعة ».

فصاح الفقيرُ: لا بالله، لا بالله، أنا منذ سنين أفرُّ منها:

هذا جزعي وما خلا مغناكم ما أصنع يومَ بينكم؟ حاشاكم
أقسمتُ بكم لكم وحسبي ذاكم لا أذكرُ غيرَكم ولا أنساكم

دخل ذو فطنةٍ إلى دارٍ، فرأى حُبًّا، وإلى جانبه مَرَكْنٌ قد زرعَ فيه صبرٌ،
فتواجدَ وقال: حُبٌّ إلى جنبه صبرٌ:

يا نازلين الحمى رفقا بقلبِ فتى إن صاح بالبينِ داعٍ باحٍ مضمرةُ
وقد يميلُ إلى المغنى ليسألهُ أخو الغرامِ ولكنَّ مَنْ يُجَبِّرهُ؟
وما ذكرتكمُ إلا وهمتُ جوى وآفةُ المبتلى فيكم تذكُّرهُ
ولا عزمتُ على سلوانِ حبكمُ إلا ويخذلني قلبي وينصره^(١)

(١) ذُكِرَ البيتُ الأوَّلُ والثالثُ ضمن أبياتٍ ذكرها الذهبي لابن المعلِّم الهُرثي الواسطي في ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٤٢/١٠٨-١٠٩). ولم أجد لها في ديوانه.



قلبُ العارف مملوءٌ بحب حبيبه، ليس فيه موضعُ إبرةٍ لغيره:
 وجدني بكم وصفو ودي لكم والقلبُ فمذُنأيتُم عندكم
 عيني عينٌ لبُعْدكم بُعدكم شَقُّوا قلبي فما رأوا غيركم
 إذا جنَّ الليلُ وظلامُهُ، ثارَ شجنُ المُحبِّ وسقامُهُ، ورمى الوجدُ،
 فأصابتُ سهامُهُ، وطال بالحزينُ قعودُهُ وقيامُهُ:

كم بذكراك ولوعي يا جوى بين الضلوع؟
 هجعَ العاذلُ لكنْ مَنْ لعيني بالهجوع؟
 هيَ في شغلٍ عن النوى مِ بِمُرفضِ الدُموعِ
 أتغنى بك في الحينِ سي كورقاء سَجوعِ

ليس في ليلِ الهجرِ منامٌ.

ومتى رأيتَ محبباً ينام؟
 فإنَّ نهاري ليلةٌ مُدلهمةٌ على مُقلّةٍ مِنْ فقدِكُمْ في غياهبِ
 بعيدةٍ ما بين الجفونِ كأنما عقدتم أعالي كلِّ هُدبٍ بحاجبِ^(١)

قال أحمد بن أبي الحواري: قلتُ لامرأتِي رابعة - وقد قامت من أوّل
 الليل - : قد رأينا أبا سليمان^(٢)، وتعبدنا معه ما رأينا من يقوم من أوّل الليل.

(١) للمتنبّي من قصيدته: أعيدوا صباحي فهو عند الكواعب. انظر: ديوانه ص ٢٣٠.

(٢) الداراني.



فقلت: سبحان الله! مثلك يقول هذا؟! إنما أقوم إذا نُوديتُ:

تقولين: ما في الناسِ مثلكَ وامقُ
جِدِي مِثْلَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ تَجِدِي مِثْلِي
ذَرِينِي أَنْلُ مَا لَا يُنَالُ مِنَ الْعُلَى
فَصَعْبُ الْعُلَى فِي الصَّعْبِ وَالسَّهْلُ فِي السَّهْلِ
تَرِيدِينَ لُقْيَانَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً
وَلَا بُدَّ دُونَ الشُّهْدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ^(١)

تزوِّج رِيَاحَ الْقَيْسِيِّ^(٢) امْرَأَةً، فَرَأَتْهُ نَائِمًا طَوَّلَ اللَّيْلَ، فَقَالَتْ: لَيْتَ شِعْرِي
مَنْ غَرَّنِي بِكَ يَا رِيَاحَ:

يَا عَقِيقَ الْحِمَى حَمَى اللَّهِ مَغْنَا
كُ وَرَوَى ثِرَاكَ مِنْ مُزْنِ دَمْعِي
مَنْ لَصَبٌ يَشْوَقُهُ لَامِعُ الْبَرْقِ
قِ فِيرْتَاخُ قَلْبُهُ لِلْجِرْعِ
يَا خَلِيلِي مَا أَنْتَ بِي بِخَلِيلٍ
وَرَفِيقِي إِنْ لَمْ تَقِفْ بِالرَّبْرِعِ

كَانَتْ عَابِدَةً طَوِيلَةَ السَّهْرِ، فَعُوتِبَتْ فِي ذَلِكَ فَقَالَتْ: كَفَى بِطَوْلِ الرَّقْدَةِ
فِي الْقُبُورِ رِقَادًا^(٣):

أَيُّهَا الْعُدَّالُ لَا تَعْدَلُوا
إِنَّمَا النَّصْحُ لِمَنْ يَقْبَلُ
وَأَرَى لَيْلِي لَا يَنْقُضِي
طَالَ لَيْلِي وَالْهَوَى أَطْوَلُ

قال أبو سليمان^(٤): لولا الليلُ ما أحببتُ البقاءَ في الدنيا.

(١) للمتنبسي من قصيدته: كدعواك كل يدعي صحة العقل. انظر: ديوانه ص ٥٥٩-٥٦٠ وفيه: مثلك عاشق.

(٢) رِيَاحُ بَنِ عَمْرُو، مِنَ الطَّبَقَةِ السَّادِسَةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ. صِفَةُ الصَّفْوَةِ (٣/٣٦٧).

(٣) الْخَبْرُ فِي «صِفَةِ الصَّفْوَةِ» (٣/١٩٤).

(٤) الداراني.



وكان الفضيل^(١) يفرحُ إذا جاء الليل.

أرواحُ القومِ ترتاحُ إلى الدُّجى، وتغنمُ بإقبالِ النهار.
تهيمُ إذا ریحُ الصِّبا نسَمَتْ لها وتبكي إذا الورقاءُ في الغُصنِ غنَّتِ
إذا حدرَ الصُّبحُ اللثامَ تأوَّهتُ وإن نَشَرَ الليلُ الجناحَ أرْنَتِ

لولا نسائمُ الأسحار تلفَ مدنفُ الشُّوق:

لولا نسيمٌ بذكراكم يروِّحني لكنتُ محترقاً من حرِّ أنفاسي^(٢)
يتعلقون بالرياح تعلقُ الوسائل.

ويعثون معها إذا هبت الرسائل:

ألا يا نسيمَ الریحِ إن كنتَ محسناً إليّ فعرِّجْ بالحبيبِ وسلِّمِ
جمعتُم على قلبي فراقاً وغربةً لقلَّ على هذا بقاءُ المتيمِّ

يا مَنْ فاتوه لعثرةُ التخلف:

بُلِّ الثرى من عبرةِ التأسف.

(١) الفضيل بن عياض، الإمام المعروف، توفي سنة ١٨٧ هـ. صفة الصفوة (٢/٢٣٧).

(٢) من أبيات أنشدها محمد بن طاهر المقدسي، وهو مضمن فيها. انظر: المنتظم (١٧/١٣٧)،
والبداية والنهاية (١٤/٢٢).



دَعْ شَأْنَ عَيْنِكَ يَا حَزِينُ وَشَأْنَهُ
وَضِعِ الْيَدَيْنِ عَلَى الْحِشَاءِ وَتَمَلِّمْ
هَذَا أَوْ أَنْ فِرَاقَهُمْ وَلَقَلَّ مَا
يُغْنِي وَوَقُفْكَ سَاعَةً فِي الْمَنْزِلِ^(١)

يا مُنْقَطِعِينَ عَنِ الْقَوْمِ:

سَيَرُوا فِي بَوَادِي الدُّجَى.

وَأَنِيخُوا بِوَادِي الذُّلِّ.

وَاجْلِسُوا فِي كِسْرِ الْإِنْكَسَارِ.

فَإِذَا فَتَحَ بَابٌ لِلْوَاصِلِينَ دُونَكُمْ فَاهْجَمُوا هَجُومَ الْكَدَّائِينَ.

وَابْسُطُوا أَكْفًا ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾^(٢).

لَعَلَّ هَاتِفَ الرَّحْمَةِ يَقُولُ: ﴿ لَا تَثْرِيْبَ ﴾^(٣):

وَإِذَا جِئْتُمْ ثَنِيَاتِ اللَّوَى فَلَجُوا رِبْعَ الْحِمَى فِي خَطَرِي^(٤)

وَصَفُّوا شَوْقِي إِلَى أَرْبَابِهِ وَاذْكُرُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنْ خَبْرِي

(١) للحسين بن محمد البغدادي المعروف بالبارع، نسبها إليه المؤلف في «مثير العزم الساكن»

(٢/٢٠٥)، وقبلهما بيت، وفيه: اليوم آخر عهدهم ولقل ما.

(٢) مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ، الْآيَةِ ٨٨.

(٣) مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ، الْآيَةِ ٩٢.

(٤) قَالَ الْأُسْتَاذُ الْأَثْرِيُّ عَنِ يَاءِ «خَطَرِي»: زِيَادَةٌ مَفْسُودَةٌ لِلْكَلامِ. انظُرْ: حَاشِيَةُ الْخَرِيدَةِ

(٢/٣٤٨)! وَلَعَلَّ الشَّاعِرَ يَرِيدُ: فِي خَطَرٍ مِثْلِ خَطَرِي.



واحنيني نحو أيامٍ مضتُ
 بالحِمى لم أفضِ منها وطري
 كلَّما اشتقتُ تمنيتكمُ
 ضاعَ عُمرِي بالمُنَى وا عُمرِي^(١)



(١) للمعين بن الباطوخ البغدادي (لعله المتوفى سنة ٥٤٤هـ) من أبيات. انظر: خريدة
 القصر - القسم العراقي (٢/٣٤٧-٣٤٨) باختلاف ألفاظ.



الفصل التاسع عشر

يا مُتَشَبِّهًا بِالزُّهَادِ فِي ثِيَابِهِ وَسَمْتِهِ، لَا فِي ثَبَاتِهِ وَوَقْتِهِ:

مَا عِنْدَكَ مِنَ الرَّهْبَةِ إِلَّا بِنَاءِ الصُّومَةِ، يَا وِي إِلَيْكَ فِيهَا لُصُوصُ
التَّصْنَعُ:

يَا صَاحِبِي الَّذِي الْيَوْمَ قَدْ أَخَذَا فِي الْحَبْلِ شِبْهًا لِلَيْلَى ثُمَّ غَلَّهَا
إِنِّي أَرَى الْيَوْمَ فِي أَعْطَافِ شَاتِكَمَا مَشَابِهًا أَشْبَهْتُ لَيْلَى فَحُلَّاهَا^(١)

أَيْنَ الْعُبَادُ؟

أَيْنَ الزُّهَادُ؟

أَيْنَ الْعَارِفُونَ؟

أَيْنَ الْمُحِبُّونَ؟

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَعَ الْقَحْطُ فِي الرِّجَالِ:

أَسْأَلُ الدَّارَ عَمَّنْ كَانَ يَسْكُنُهَا إِنِّي إِلَى سَاكِنِهَا شَيْئٌ قَرِيمٌ
يَا دَارَ حَبِّي سَقَى سَكَانَكَ الدَّيْمُ بِاللَّهِ قَوْلِي لِهَذَا الصَّبِّ أَيْنَ هُمْ؟

كَانَ فِي سَلْفِنَا الْأَخْيَارُ وَالْأَبْرَارُ، وَالْمُخْلِصُونَ فِي الْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ،

فَلَوْلَا هُمْ لَافْتَضَحَ الْمُتَأَخَّرُونَ يَوْمَ الْعَرْضِ، فَنَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى الْبِرِّكَ^(٢).

(١) للمجنون. انظر: الأغاني (٧٤ / ٢).

(٢) البرِّك: مقدمة الجيش.



إخواني:

الخلاصُ في الإخلاص.

العملُ صورةٌ، والإخلاصُ روحٌ.

عملُ المُرَّائي بصلَّةِ كلِّها قشور.

ليس كلُّ مستديرٍ يكون هلالاً، لا لا:

وما كلُّ مَنْ أومى إلى العزِّ نالهُ ودون العُلا ضربٌ يُدَمِّي النواصيا^(١)

كم حولَ قبرٍ «معروفٍ» مِنْ دفينٍ ذهبَ اسمُه كما بليَ جسمُه و«معروفٍ»
معروفٌ:

فما كلُّ دارٍ أقفرتْ دارةُ الحمى ولا كلُّ بيضاءٍ الترائبِ زينبُ^(٢)

أتدرون ما ذنبُ المُرَّائي؟

دعا باسمِ ليلى غيرَها^(٣)

كان ابنُ سيرين^(٤) يضحكُ بالنهار، فإذا جاءَ الليلُ أخذَ في البكاء:

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: أراعي بلوغَ الشيب والشيب دائيا. انظر: ديوانه (٢/ ٥٩٠).

(٢) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدته: قضى دينٌ سعدى طيفها المتأوب. وهو البيت (١٣). انظر: ديوانه (١/ ٥٢).

(٣) مرَّ في الفصل الثاني.

(٤) إمام تابعي بصري معروف، توفي سنة ١١٠ هـ. صفة الصفوة (٣/ ٢٤١).



نهاري نهارُ الناسِ حتى إذا بدا لي الليلُ هزنتني إليك المضاجعُ
أقضي نهاري بالحديثِ وبالمنى ويجمعني والهَمُّ بالليلِ جامعٌ^(١)

كان أيوب السخيتاني^(٢) إذا وعظَ فَرَقَّ فَرَقَّ من الرياءِ، فيمسحُ وجهه
ويقول: ما أشدَّ الزُّكام!

أحبسُ دمعِي فيندُ شاردًا كأنني أضبطُ عبداً أبقا
ومنَ محاشاةِ الرقيبِ خلَّتني يومَ الرحيلِ في الهوى مُناقفا^(٣)

وكان أيوب يُحيي الليلَ كله، فإذا كان عند الصباح رفعَ صوتَه كأنه قامَ
تلك الساعة:

أكلَّفُ القلبَ أن يهوى وألزمهُ صَبْرًا وذلك جمعٌ بين أضدادِ
وأكتُمُ الركبَ أوطاري وأسألهُ حاجاتِ نَفْسِي لقد أتعبتُ رُوادي
هَل مُدْلِجٌ عنده من مُبكرِ خبرٍ وكيف يعلمُ حَالِ الرِّايحِ الغادي؟
وإن رويتُ أحاديثَ الذين نأوا فعن نسيمِ الصِّبَا والبرقِ إسنادي^(٤)

كَانَ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ^(٥) إِذَا قَرَأَ فِي الْمُصْحَفِ فَدَخَلَ دَاخِلَ غَطَّاهُ.

(١) للمجنون. انظر: مصارع العشاق (٢/ ٥٠)، ودُكر الغيره.

(٢) من حُفَاط الحديث في البصرة، توفي سنة ١٣١هـ. صفة الصفوة (٣/ ٢٩١).

(٣) لصردر من قصيدته: لأي مرمى تزجر الأيانقا. انظر: ديوانه ص ١٤٩.

(٤) لصردر من قصيدته: ماذا يعيب رجال الحي في النادي. انظر: ديوانه ص ١٠٥.

(٥) إمام معروف، من أهل الكوفة، توفي سنة ٩٥هـ. صفة الصفوة (٣/ ٨٦).



وَكَانَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى (١) إِذَا دَخَلَ أَحَدٌ وَهُوَ يُصَلِّي اضْطَجَعَ عَلَى فَرَاشِهِ:

أَفْدِي ظَبَاءَ فَلَاحٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا مَضَعُ الْكَلَامِ وَلَا صَبَغَ الْحَوَاجِبِ (٢)

مَرَضَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهْمَ، فَجَعَلَ عِنْدَ رَأْسِهِ مَا يَأْكُلُهُ الْأَصْحَاءُ لِئَلَّا

يَتَشَبَهَ بِالشَّاكِينِ:

قَدْ سَحَبَ النَّاسُ أَذْيَالَ الظُّنُونِ بِنَا وَفَرَّقَ النَّاسُ فِينَا قَوْلَهُمْ فِرْقَا

فَكَاذِبٌ قَدْ رَمَى بِالظَّنِّ غَيْرُكُمْ وَصَادِقٌ لَيْسَ يَدْرِي أَنَّهُ صَادِقٌ (٣)

اشْتَهَرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهْمَ فِي بَلَدِهِ، فَقِيلَ: هُوَ فِي البُسْتَانَ الْفُلَانِيَّ، فَدَخَلَ

النَّاسُ يَطُوفُونَ وَيَقُولُونَ: أَيَّنَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهْمَ؟ فَجَعَلَ يَطُوفُ مَعَهُمْ

وَيَقُولُ: أَيَّنَ ابْنُ أَدَهْمَ؟

ضَنَابًا بِأَنَّ يَعْلَمَ النَّاسُ الْهُوَى لِمَنْ وَهَبَتْ لِّلسَّرِّ فِيهِ لَذَّةَ الْعَلَنِ

عَرَضَ بِذِكْرِي (٤) وَدَعْنِي فِي ظُنُونِهِمْ إِنْ قِيلَ: مَنْ يَكُ تُخْفِي الْحَقَّ فِي الظَّنِّ (٥)

صَامَ دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ (٦) أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا عَلِمَ بِهِ أَحَدٌ:

(١) التابعي عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري. ترجمته في «تهذيب الكمال» (١٧/٣٧٢).

(٢) للمتنبي من قصيدته: من الجاذر في زي الأعراب. انظر: ديوانه ص ٤٨٢.

(٣) للعباس بن الأحنف. انظر: ديوانه ص ٢٢٤. وفيه: فجاهل قد رمى.

(٤) في الديوان: بغيري.

(٥) لمهيار الديلمي من قصيدة. وهما البيتان (١، ١١). انظر: ديوانه (٤/٢٧-٢٩). وفيه:

يُخْفِي. ولم ينقط أول الفعل في الأصل.

(٦) من الطبقة الرابعة من المصطفين من أهل البصرة، توفي سنة ١٣٩ هـ. صفة الصفوة

(٣/٣٠٠).



ومستخبرٍ عَنْ سرِّ لَيْلى رَدَدْتُهُ
فَأُصْبِحَ فِي لَيْلى بَغَيْرِ يَقِينِ
يَقُولُونَ: أَخْبَرْنَا فَأَنْتَ أَمِينُهَا
وَمَا أَنَا إِذْ أَخْبَرْتُهُمْ بِأَمِينِ^(١)
واشوقاه إلى تلك الأشباح.

سلامُ الله على تلك الأرواح:
نشدْتُكِ يَا بَانَةَ الأَجْرِعِ
مَتَى رَفَعَ الحَيِّ مِنْ لَعْلَعِ
أَدْرِ يَا نَدِيمِي كَأْسَ الحَدِيثِ
فكأسي بعدهم مدمعي^(٢)
رحل أولئك السادة.

وبقي قرناء الوسادة:
ذُمَّ المَنَازِلَ بعد منزلة اللوى
وَالعَيْشَ بعد أولئك الأَقْوَامِ^(٣)
أَسْمَعُ أصْوَاتًا بِلا أَنيسِ.

وَأرى خَشوعاً أَصْلَهُ مِنْ إبْلِيسِ:
تَشَبَهَتْ حُورُ الطَّبائِ بِهَمْ
أَنْ سَكَنْتُ فِيكَ وَلا مِثْلَ سَكْنِ
أَصَامَتْ بِنَاطِقٍ وَنَافِرٍ
بِأَنسٍ وَذُو خِلا بِذِي شَجْنِ؟

(١) لجابر الجرمي كما في «المدهش» (٢/٦٠٨). ونسبا إلى غيره.

(٢) لمهيار الديلمي من قصيدة. والبيتان هما (١، ١٦). انظر: ديوانه (٢/٢٤٢-٢٥٠). وفيه: كأس المدام.

(٣) لجرير من قصيدته: سرت الهموم فبتن غير نيام. انظر ديوانه ص ٥٥١.



مشتبهٌ أعرفهُ وَإِنَّمَا مغالطاً قلتُ لصحبي: دَارُ مَنْ؟
 قفْ باكياً فِيهَا وَإِنْ كُنْتَ أَخاً مواسياً فبِكَّهَا عَنْكَ وَعَنْ
 لَمْ يَبْقَ لِي يَوْمَ الْفِرَاقِ فَضْلَةٌ مِنْ دَمْعَةٍ أَبْكِي بِهَا عَلَى الدَّمَنِ^(١)



(١) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدته: يا دار لهوي بالنُّجِيلِ مِنْ قَطْنٍ. والأبيات المختارة هي (٣، ٢، ٥، ٧، ٨). انظر: ديوانه (٤/٤٧).



الفصل العشرون

يَا مُخْتَارَ الْقَدَرِ:

اعرفْ قَدْرَ قَدْرِكَ.

كُلُّ الْأَشْيَاءِ شَجَرَةٌ وَأَنْتَ الثَّمَرَةُ، وَصَدْفٌ وَأَنْتَ الدُّرُّ، وَمَمْخُضَةٌ
وَأَنْتَ الزُّبْدُ.

اختيارُنا لك مكتوبٌ بخطٍ واضحٍ، غيرَ أنَّ استخراجَكَ ضَعِيفٌ.

متى رُمتَ طلبي فاطلُبني عندك. «لا يسعني شيءٌ، ويسعني قلبُ عبدي

المؤمن»^(١):

سَاكِنٌ فِي الْقَلْبِ يَعمُرُهُ لَسْتُ أَنسَاهُ فَأذْكَرُهُ
وَهُوَ مَوْلَايَ رَضِيْتُ بِهِ وَنَصِيبِي مِنْهُ أَوْفَرُهُ
غَابَ عَن سَمْعِي وَعَن بَصَرِي فَسُوِيَدَا الْقَلْبِ يُبْصِرُهُ

يَا جَوْهَرَةً بِمَضِيعَةٍ، يَا لَقَطَةً تُدَاسُ:

(١) أثر إسرائيلي. ويُعني عنه قوله - صلى الله عليه وسلم - : «إن الله تعالى آتية من أهل الأرض، وآتية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه ألينها وأرقها» أخرجه الطبراني وغيره بسند حسن. انظر: فيض القدير (٢/٤٩٦).



إنما أبعَدنا إبليسَ لأنه لم يسجدْ لك، يا لعجبٍ كيف صالحتهُ وهجرتنا؟!
 رعى الله مَنْ نهوى وَإِنْ كَانَ مَا رعى حفظنا له الوَدَّ الْقَدِيمَ فضيعةً
 وواصلتَ قوماً كُنْتَ أَنهَآكَ عَنْهُمُ وحقَّكَ مَا أَبقيتَ لِلصُّلْحِ مَوْضِعَا

لي مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، واستقرضتُ مِنْكَ حَبَّةً.

خلقتُ سبعةَ أَبْحِرٍ، واستقرضتُ مِنْكَ دَمْعَةً:

المَاءُ عِنْدَكَ مَبذُولٌ لشارِبِهِ وَلَيْسَ يَرِيكَ إِلَّا مَدْمَعُ الْبَاكِي^(١)

كَانَتْ الْأَمْتَعَةُ الْمُثْمِنَةُ وَاللَّالِيُّ النَّفِيسَةُ تَبَاعُ بِمَضْرٍ فَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا
 يُوسُفُ، فَإِذَا جَاءَتْ أَحْمَالُ صُوفٍ مِنْ كِنَعَانَ لَمْ تُحَلَّ إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ: «لَا يُسْأَلُ
 عَنْ عِبَادِي غَيْرِي»^(٢).

لَآحٌ وَعَقْلٌ^(٣) اللَّيْلِ مَسْلُوبٌ بَرَقَ بِنَارِ الشُّوقِ مَشْبُوبٌ
 أَسْأَلُهُ عَنْكُمْ وَفِي لَمْعِهِ سَطَرَ مِنَ الْأَحْبَابِ^(٤) مَكْتُوبٌ^(٥)

(١) للشريف الرضي من قصيدته: يا ظبية البان. انظر: ديوانه (١٠٧/٢)، وفي الديوان: مدمعي.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٣٠٩)، وابن ماجه (١٣٦٧)، وابن حبان (٢١٢). وفي لفظ: «يسأل» اختلاف في الطبقات.

(٣) في الديوان: عقد.

(٤) في الديوان: الأخبار.

(٥) للخفاجي من قصيدة. انظر: ديوانه ص ١٢٤ و١٢٦، والمدهش (٥١٥/٢).



يا هذا:

بيننا عهدٌ من يوم ﴿أَلَسْتُ﴾^(١)، وما يليقُ بشرفِ قدركُ خيانةً، كيف
وأنتَ مطالبٌ بالأمانةِ في أضيقِ خناقٍ؟!

يا منكر ويا نكير:

انزلا إلى الخارجِ من بساتينِ الأرباحِ، فانظرا: هل استصحبَ وردةً من
اليقينِ، أو شوكةً من الشكِّ:

قفوا واسألوا بانَ العقيقِ هل الهوى على ما عهدنا فيه أم حال حاله؟

استنكها فمه الذي قال لي به: ﴿بلى﴾^(٢) يوم ﴿أَلَسْتُ﴾ هل غيرَ طبيه
طولُ رقادِ الغفلة:

ألا حبذا نجدُ وطيبُ ثرابه وأرواحه إن كان نجدُ على العهدِ
ألا ليت شعري عن عوارضتي قنا بطول الليالي هل تغيرتا بعدي؟
وعن علوياتِ الرياحِ إذا جرتْ بريحِ الخزامى هل تهبُّ على نجدٍ؟^(٣)

سببُ نسيانِ العهودِ تخليطُ في مطاعمِ الهوى عقدَ بخارٍ في

هام الفهم.

(١) من سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

(٢) من سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

(٣) لقيس المجنون. انظر: مصارع العشاق (٢/٨٦)، ومثير العزم الساكن (٢/٩٤).



قيل لذي النون^(١): أَيْنَ أَنْتِ مِنْ يَوْمِ ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ﴾؟

قَالَ: كَأَنَّهُ فِي أُذُنِي.

سَلْ أَبْرَقَ الْحَتَّانِ وَاجْبَسْ بِهِ أَيْنَ لِيَالِينَا عَلَى الْأَبْرَقِ؟
وَكَيْفَ بَانَاتُ بِسَقَطِ اللَّوَى مَا لَمْ يُجِدْهَا الدَّمْعُ لَمْ تُورِقِ؟
هَلْ حَمَلْتُ - لَا حَمَلْتُ - بَعْدَنَا عَنكَ الصَّبَا عَرَفَا لِمُسْتَشِيقِ؟
يَا سَائِقَ الْأَطْعَانِ رَفَقاً وَإِنْ لَمْ يُغْنِ قَوْلِي لِلْعُسُوفِ: ارْزُقِ
سَمِيَتْ لِي نَجِداً عَلَى بُعْدِهَا يَا وَلَةَ الْمُشِيمِ بِالْمُعْرِقِ^(٢)

يَا مَنْ كَانَ لَهُ حِظٌّ مِنْ وَقْتِ، وَسَهْمٌ مِنْ قَلْبِ، فَعَامَلْنَا مَدَّةً ثُمَّ قَطَعَ،
وَوَاصَلْنَا زَمَاناً ثُمَّ انْقَطَعَ: لِيَتَكَ بَعْتَنَا بِشَيْءٍ:

وَمَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ الْجَفَا فَمِمَّنْ تَرَى قَدْ تَعَلَّمْتُمْ؟^(٣)
يَا مُفَرِّطِينَ فِي بَضَائِعِ الْأَعْمَارِ:

تَعَالَوْا تُرْقِ دَمُوعَ الْأَسْفِ، عَلَى مَا قَدْ سَلَفَ:
عِنْدَ قَلْبِي عِلَاقَةٌ مَا تَقْضِي وَجَوِيَّ كَلَّمَا ذَوَى عَادَ غَضَا
وَبِكَاءٍ عَلَى الْمَنَازِلِ أَبْلَتْ هُنَّ أَيْدِي الْأَيَّامِ بَسْطاً وَقَبْضَا

(١) المصري، زاهد معروف، توفي سنة ٢٤٦هـ. صفة الصفوة (٤/٣١٥).

(٢) لمهيار الديلمي من قصيدة. انظر: ديوانه (٢/٣٣٧).

(٣) ذكر ابن الجوزي في ترجمة محمد بن طاهر المقدسي (ت: ٥٠٧هـ) أنه لما احتضر جعل يردد هذا البيت. انظر: المنتظم (٩/١٧٩). والبداية والنهاية (١٤/٢٢).



مَنْ مُعِيدُ أَيَّامِ ذِي الْأَثَلِ أَوْ مَا
سَاحِبًا بِالْقَلِيلِ مِنْ عَهْدِ نَجْدِ
مُهِدِيَّائِي مِنْ طَيْبِ أَرْوَاحِ نَجْدِ
قَلَّ مِنْهَا دَيْنًا عَلَيَّ وَقَرُضًا
رُبَّمَا أَقْنَعَ الْقَلِيلُ وَأَرْضِي
مَا يُدَاوِي نُكْسَ الْعَلِيلِ الْمُنْضَى^(١)

القلق القلق يا مطرود.

البكاء البكاء يا مردود.

الحنن الحزن على نقض العهود:

وَاهَا لَزَمَانَا الَّذِي كَانَ صَفَا
ذَابَتْ رُوحِي وَمَا أَرَى غَيْرَ جَفَا
أَبْكِي مَرَضِي وَلَيْسَ لِي مِنْهُ شِفَا
هَذَا رَمَقِي تَسَلَّمُوهُ بَوْفَا



(١) للشريف الرضي من قصيدة طويلة، والأبيات المختارة هي (١، ٢، ٤، ٥، ١٣). انظر: ديوانه (١/٥٧٦-٥٧٧).



الفصل الحادي والعشرون

إخواني:

إطلاقِ البصرِ ينقشُ في القلبِ صورةَ المنظورِ، والقلبُ كعبة
«وتسعني»^(١)، وما يرضى المعبودُ بمزاحمةِ الأصنامِ.

يا مَنْ عينُهُ تدورُ على المُحرَّماتِ كأنه قد ضاعَ منه شيءٌ.

يا مَنْ رواحِلُ همتهِ في الهوى ما يُحلُّ لها قَتَبٌ.

إنَّ قَهَرَ نَفْسِكَ حُبُّ الفاني، فذكرها حُسْنَ الباقي:

وإنَّ حَنَّتْ لِلحِمَى وَرَوْضِهِ فبالغضا ماءً وروضاتٍ أُخْر^(٢)

ويحك، لذاتِ الدنيا كسوداء، وقد غلبتُ عليك.

والحُورُ العَيْنُ يَعجَبْنَ مِنْ سُوءِ اختيارِكَ عليهنَّ.

غيرَ أنَّ زوبعةَ الهوى إذا ثارتْ سَفَتْ في عَيْنِ البصيرةِ، فخفيتِ الجادة.

خِطُّ الآنَ بصرَ باشِقِكِ إلى أنْ ينسى ما رأى.

واغسلِ باطنَ عينِكَ مِنْ عَيْنِ الدمعِ.

(١) كذا، والإشارة إلى «ويسعني قلب عبدي المؤمن».

(٢) لمهيار الديلمي من قصيدته: بالغور ما شاء المطايا والمطر. انظر ديوانه (٤١٢/٢).



وكلما تذكرت ما أبصر طرفك فاطرفه بدمعة، لعل قرظ البكاء يدبغ دبر
بصرك، فيصلح لرؤية حبيبك:

وكيف ترى ليلي بعين ترى بها
وتسمع منها لفظاً بعدما جرى
سليمي ولم تغسل بفيض المدامع؟
حديث سواها في خروق المسامع؟^(١)

قال الطيب لثابت البناني^(٢): أعالج عينك ولا تبكي. فقال: لا خير في
عين لا تبكي:

إذا لم أفز منكُم بوعدٍ ونظرة
متى غنت الورقاء كانت مدامتي
إليكم فما نفعي بسمعي وناظري؟
دموعي وزفراي حين مزاهري^(٣)

كان الشبلي ينشد:

أروح وقد ختمت على فؤادي
ولو أنني استطعت غضضت طرفي
بحبك أن يحن إلى سواكا
فلم أبصر به حتى أراكا^(٤)

تجلت الجنة للعباد فعشقوا.

وانكشف حجاب الحبيب للعارفين فقلقوا.

(١) ليزيد بن معاوية من أبيات. انظر: شعر الخلفاء في العصرين الراشدي والأموي ص ١١١. باختلاف ألفاظ.

(٢) إمام تابعي بصري، توفي في ولاية خالد بن عبدالله على العراق. صفة الصفة (٣/ ٢٦٠).

(٣) لصرد من قصيدته: وددت التصابي فيك إذ كان عاذري. انظر: ديوانه ص ٨٤-٨٥.

(٤) للمتنبى من قصيدته: فدى لك من يقصر عن مداكا. انظر: ديوانه ص ٦٢٠.

وفيه: خفضت.



وأنت مشغولٌ بالحيف:

طَهَّرَ خِلالَكَ مِنْ خِلِّ تُعَابٍ بِهِ^(١)

ويحك، ما يُساوي النصابُ حَجَلَ الفضيحةِ، فكيف بألمِ القطعِ؟!

مَا فِي هُوادجكم من مهجتي عوضٌ إِنَّ مَتَّ شَوْقاً وَلَا فِيهَا لَهَا ثَمْنٌ^(٢)

إخواني:

دعونا مِنْ ذَكَرِ البَطَّالين، وقوموا بنا عن مزبلةِ الهوى لندخلَ رياضَ

الرياضة، ولا يَصْحَبنا مزكومٌ:

يا صاحبي قَضَيْتُ البانِ رِيانُ والطلُّ في طُررِ الرِيحانِ حيرانُ

وللصِّبا عَثَرَاتٌ ما تُقالُ وفي سَجَعِ الحِمامِ تَرجيعُ وإرنانُ

فغالباً نَعسَتي بالذِكرِ واختلسا لَبِّي فَقَدْ نَفَحَ النَسرينُ والبانُ

وعرَّضا بهوى جِبي فلي ولهُ في موقِفِ الوجدِ إِنْ عَرَّضْتما شانُ^(٣)

المعرفةُ بساطٌ لا يَطوُّهُ إلا مَقَرَّبٌ.

والمحبةُ نَشيدٌ لا يَطربُ عليه إلا مَدَنفٌ.

(١) لمهيار مِنْ قصيدته: أَسْتَنجِدُ الصبرَ فيكم وهو مغلوبٌ. وعجزه: واسلم وحيداً فما في الناسِ مصحوبٌ. وهو البيت (١٦). انظر: ديوانه (٢٥/١).

(٢) للمتنبي مِنْ قصيدته: بم التعلل لا أهل ولا وطن. وثم اختلاف. انظر: ديوانه ص ٥٠٩.

(٣) لأبي القاسم عبد الصمد بن بابك، ضمن قصيدة، وثم اختلاف. انظر: يتيمة الدهر (٣/٣٨٣).



الحُبُّ غديرٌ في صحراء ليس عليه جادةٌ، فلهذا قلَّ وُرَّادُه.

فلا حُبَّ حتى يلصقَ الجسمُ بالحشا^(١)

المحبون يهربون إلى العزلة هربَ الحوتِ إلى الماء.

كان محمد بن النضر الحارثي^(٢) يقول: أشتهي سرداباً أخلو به فيه:

كتمتُ اسمَ الحبيبِ من العبادِ ورددتُ الصبابةَ في فؤادي

فيا شوقي إلى بلدٍ خليٍّ لعليّ باسمٍ من أهوى أنادي^(٣)

لو رأيتَ المُحِبِّينَ في الدُّجى تمرُّ عليهم زمرُ النجومِ مرَّ الوصائفِ،

إلى أن يُقبلَ هودجٌ: «هل من سائل»^(٤)، فينشرون عليه الأرواحِ نثرَ

الفراشِ على النارِ، فيدير عليهم كؤوسَ المخاطبةِ، فإذا القومُ صرعى من

سُلافِ الوجدِ:

عطرَ الأفقَ نسيمُ الخزامى فرمى الشوقُ فؤادي سهاما

يا شاملاً رَوَّحتُ أرضَ قلبي بلَّغني عنِّي جبي السَّلاما

(١) قال في «الوساطة» ص ٣٠٦: «لبعض العرب، ويُنسبُ إلى المجنون:

ولا شوق حتى يلصق الجلد بالحشى وتصمت حتى لا تجيب المناديا».

وانظر: خزانة الأدب (١/٤٢٤).

(٢) من الطبقة السادسة من المصطفين من أهل الكوفة. صفة الصفوة (٣/١٥٩).

(٣) لعليّة بنت المهدي. انظر: أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم للصولي ص ٦٥، وديوان عليّة

ص ٣٠.

(٤) صحيح مسلم (٧٥٨).



يا مَنْ باعَ^(١) المُنْجاةَ بِفَضْلِ لِقْمَةٍ فَنامَ:

لما قام القومُ إلى الخِدمةِ حَضَرَهُمُ المَخدومُ «ينزل إلى السماء الدنيا»^(٢)،
«ومَنْ أَتاني يمشي أتيته هرولة»^(٣).

النائمُ لا يعلمُ حضورَ الزائرِ، ولا يسمعُ «هل مِنْ سائلٍ».

مرَّ عليه الكرى لم يدرِ ما جرى:

يا مَنْ لحشا المَحَبَّ بالشُّوقِ حَشا ذا سِرِّ سُرَّاكِ في الدجى كيف فَشا
هذا المولى إلى الممالِكِ مشى لا كان عَشاءً يُورِثُ القلبَ عَشا

إذا تحرَّكَ نسيماً السَّحرِ عمَّ الرُّوحُ كُلَّ رُوحٍ:

وَحَصَّ باناتٍ على كاظمةٍ^(٤)

ورَدَّ أوطاراً بها ماضيةً^(٥)

يشتدُّ عليهم حرُّ الخوفِ فيُشرِّفون على التلف:

لولا نسيماً بذكراكم يُروِّحني لكنتُ مُحترقاً مِنْ حرِّ أنفاسي^(٦)

(١) كتبها المؤلف أولاً: بعث. ثم عدلها إلى: باع.

(٢) الحديث السابق.

(٣) صحيح البخاري (٦٩٧٠) و(٧٠٩٨)، وصحيح مسلم (٢٦٧٥).

(٤) لمهيار وتتمته: فزادها نضارةً ولينا. وسيأتي مع أبيات في الفصل (٢٤).

(٥) لمهيار مِنَ القصيدِ نفسها وتتمته: عليٍّ أو أحبةً باقينا. وسيأتي مع أبيات في الفصل (٢٤).

(٦) مرَّ في الفصل (١٨).



جاء في الحديث: تحت شجرة طُوبى مُستراحُ العابدين^(١).

إنها يطيّبُ مكانَ الاستراحةِ بعد التعب، وإنما يلدُّ الظلُّ الباردُ لمنْ
تأذى بحرُّ الهجير.

إخواني:

مثّلوا الاستراحةَ تحت «طُوبى» يهنُ عَلَيْكُمْ النَّصَبُ.

ادأبوا في السيرِ فقد لآحَ العَلَمُ:

لَمَّا وَرَدْنَا التَّغْلِبِيَّ	سِيَّةَ حَيْثُ جُمِعَ الرِّفَاقِ
وَشَمَمْتُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَا	ز نَسِيمِ أَرْوَاحِ الْعِرَاقِ
أَيَقْنَتُ لِي وَلَمَنْ أَحْبَبُ	بُ بِجَمْعِ شَمَلٍ وَاتِّفَاقِ
وَضَحِكْتُ مِنْ طَيْبِ الْوَصَا	لِ كَمَا بَكَيْتُ مِنَ الْفِرَاقِ
مَا بَيْنَنَا إِلَّا تَصْرُ	رُ هَذِهِ السَّبْعِ الْبَوَاقِي
حَتَّى يَطْوَلَ حَدِيثُنَا	بُصْنُوفٍ مَا كُنَّا نُلَاقِي ^(٢)



(١) لم أجده مرفوعاً.

(٢) لموسى بن عبدالملك. انظر: مثير العزم الساكن (١٩٦/٢).

وانظر: مصارع العشاق (١٨٦/١)، ونفح الطيب (٦٧/١).



الفصل الثاني والعشرون

كنوزُ الجواهرِ مُودعةٌ في مِصرِ الليل، فتتبعُ آثارَ الطلّبةِ لعلك تقعُ بكنز.

كان عمر بن المنكدر^(١) طويلاً السهر، فقالت له أمّه: يا بني أشتهي أراك نائماً بالليل.

فقال: يا أمّاه، إنّ الليلَ يردُّ عليّ، فيهلونني، فينقضي عني وما قضيتُ منه أربي:

لو أنهم عشقوا لما عدلوا لكنهم عدلوا وما عشقوا
عسفوا^(٢) عليّ بلومهم سفهاً لو جرّعوا كأس الهوى رفقوا
ليس الفؤادُ معي فأعلم ما قد نال منه الشوقُ والقلقُ^(٣)

ذُلوا له ليرضى، فإذا رأيتهم قلتَ مرضى:

مرضٌ بقلبٍ ما يُعادُ وقتيلٌ حُبِّ ما يُقَادُ
يا آخرَ العشاقِ ما أبصرتِ أولهم يُنادُ؟
يقضي المتيمُّ منهم نجباً، ولورّدوا لعادوا^(٤)

(١) من الطبقة الرابعة من عبّاد أهل المدينة. صفة الصفوة (٢/ ١٤٥).

(٢) في الديوان، ومصارع العشاق: عنفوا.

(٣) لعلي بن عبدالرحمن الصقلي من قصيدته: هذي العيون وهذه الحدق. انظر: ديوانه ص ٥٦-٥٧، ومصارع العشاق (٢/ ٧٤).

(٤) لصدر من قصيدة. انظر: ديوانه ص ١٥٨. وفيه: مرض بقلبك. لا يقاد.



يأنسون في الدجى بالظلام.

ويطربون بنوح الحمام.

مرضى الأبدان من طول الغرام.

أصحاء القلوب مع السقام.

إذا ذكر حبيهم رأيت المستهام قد هام:

دعوني ونعمان الأراك أرودهُ يُجاوبُ صوتي طيره المتناوحا

عسى سانح من دار مية يامن يُقيض لي عن شائم طار بارحا^(١)

لو رأيت رواحل الأبدان قد أنصاها طول السهر فأضناها، فلما هبت
نجدية السحر مدت أعناق الشوق، فزال كل الكلال:

تزاوذن عن أذرع يميننا نواشز ليس يطعن البرينا

كلفن بنجد كأن الرياض أخذن لنجد عليها يميننا

وأقسمن يحملن إلا نحيفا إليه ويبلغن إلا حزيننا

ولما استمعن زفير المشوق ونوح الحمام تركن الحيننا

إذا جئنا بانه الواديين فأرخوا النسوع وحلوا الوضينا

فثم علائق من أجلها ملاء الدجى والضحي قد طوينا

وقد أنبأتهم مياه الجفو ن أن بقلبك داء دفيننا^(٢)

(١) لمهيار الديلمي من قصيدته: أمرتكم أمري بنعمان ناصحا. والبيتان المختاران هما (١٩)،

(٢٠). انظر: الديوان (١/١٩٦).

(٢) لصرد من قصيدة. انظر: ديوانه ص ١٥-١٦.



إذا جزت بالغرور عرج يمينا
فقد أخذ الشوق منا يمينا^(١)
وسلم على بانه الوادين
فإن سمعت أو شكت أن تبينا^(٢)
ومل نحو غصن بأرض النقا
وما يشبه الأيك تلك الغصونا
وصح في مغانيهم: أين هم؟
وهيهات أموا طريقاً شطونا
أراك يشوقك وادي الأراك
أللدار تبكي أم الساكنينا؟
سقى الله مرتعنا بالحمي
وإن كان أورث داء دفيننا
وعاذلة فوق داء المحب
زويداً زويداً بنا قد بلينا
لمن تعذلين أما تعذرين؟
فلو قد نفعت دفعت الأنينا
إذا غلب الحب ضاع العتاب
تعبت وأتعبت لو تعلمينا^(٣)

كم بينك وبينهم؟

وهل تدري أين هم؟

(١) مزج المؤلف هذه القصيدة بقصيدة صردر. وكان قد أورد أبياتاً من قصيدة صردر في كتابه «مثير العزم الساكن» ثم قال (١/١٠٥): «ولي في أثناء قصيدة عارضت بها قصيدة ابن الفضل». وأورد هذه القصيدة: إذا جزت... وابن الفضل هو صردر نسبة إلى جدّه!

(٢) زاد في «مثير العزم الساكن» و«المدهش» بعده:

ورؤى ترى أرضهم بالدموع وخلّ الضلوع على ما طوينا

(٣) للمؤلف. انظر: مثير العزم الساكن (٢/١٠٥)، والمدهش (٢/٥٩٣).



يا طفلاً في حَجْرِ العَادَةِ محصوراً بقمَاطِ الهوى:

مَالِكٌ وَمزاحمة الرَّجَالِ؟

أين أنتَ والمحبة، أنتَ أسيرُ حَبَّة؟

تمسكتَ بالدنيا تَمسُكُ المَرَضِعَ بالطَّئِرِ.

وَالقَوْمُ مَا أعاروها الطَّرْفَ:

سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ المَعَاهِدِ إِنَّمَا شَرِيعَةٌ وَردي أَوْ مَهَبٌ شَمالي

ليالي لم نَحْذِرُ حُزُونَ قَطِيعَةٍ وَلَمْ نَمشِ إِلَّا فِي سَهولِ وَصالِ

فقد صرْتُ أَرْضِي مِنْ سواكِ أَهلها بِخُلْبِ بَرِقٍ أَوْ بِطيفِ خيالِ^(١)

يا غائِباً عَنَّا وهو حاضر:

أما لك ناظرٌ ناظرٌ؟

أما دموعُ الخائفين قد ملأتِ المحاجر؟

أفَّ لبدويٍّ لا يُطربُهُ ذَكَرُ حاجِر:

أَلَا يَا نَسيمَ الرِّيحِ مِنْ أَرْضِ بابلٍ تَحْمَلُ إِلَى أَهلِ الحِجازِ سَلامي

وكيفَ أَطيقُ الصَّبْرَ عَمَّنْ وَدادُهُ جَرى فِي عِظامي وَهي غَيْرُ عِظامِ

وَإِنِّي لِأهوى أَنْ أَكونَ بِأَرْضِهِمْ عَلَى أَنِّي مِنْها اسْتَفَدْتُ سَقامي^(٢)

(١) نُسِبَتْ إلى القَاضي عبد الوهاب خطأ، وَهي مِنْ شَعر أَهلِ الشَّامِ. انظُرْ لزاماً: ديوان

القَاضي عبد الوهاب البَغدادي المَلكي ص ٨١.

(٢) لِلشَّريفِ المَرتضى. وَقَد مرَّ الأَوَّلُ وَالثَّالثُ فِي الفِصلِ (١).



انظُرْ إِلَى التَّائِبِينَ وَحَرِّقِهِمْ.

والتفت إلى العارفين وقلقهم.

فأقلُّ أحوالِ الزَّمنِ أن يبكي إذا رأى المُشاة:

اسْمَعْ أَنِينَ الْعَاشِقِينَ سَنَ إِنِ اسْتَطَعْتَ لَهُ سَمَاعَا
رَاحَ الْحَبِيبُ فَشَيَّعَتْ هُ مَدَامَعٌ تَجْرِي سِرَاعَا
لَوْ كَلَّفَ الْجَبَلَ الْأَصْمُ مُ فِرَاقَ الْفِ مَّا اسْتَطَاعَا

انكشفَ اليومَ السُّرَّ، افتضحَ العاصي والعارف:

خَلِيلِيَّ قَدِ عَمَّ الْأَسَى وَتَقَاسَمْتُ فُنُونَ الْبَلَى عِشَاقُ لَيْلَى وَدَوْرُهَا
وَكَنتُ إِذَا مَا جِئْتُ لَيْلَى تَبَرَّقَعْتُ فَقَدِ رَابِنِي مِنْهَا الْغَدَاةُ سُفُورُهَا^(١)

وَقَعَ الْحَرِيقُ فِي زَوَايَا الْمَجْلِسِ، رُشُوا عَلَيْهِ مِنْ مَزَادِ الدَّمَعِ:

اسْقِنِي فَالِيَوْمِ نَشْوَانُ وَالرُّبَى صَادٍ وَرِيَانُ
وَنَدَامَى كَالنُّجُومِ سَطَّوَا بِالْمُنَى، وَالذَّهْرُ جَذْلَانُ
خَطَرُوا وَالسُّكْرُ يَنْفُضُهُمْ فَذِيُولِ الْقَوْمِ أَرْدَانُ^(٢)

(١) البيتان لتوبة بن الحمير، كما في «المدهش» (٢/ ٤٧٤). والثاني ضمن قصيدة في «الأمالي» للقيلي (١/ ١٣١). وفيه: إذا ما زرت.

(٢) للشريف الرضي من قصيدة. انظر: ديوانه (٢/ ٥٠٤-٥٠٥). وفيه: خطرُوا والخمر تنفضهم... وذيول...

ونسبت في «المدهش» (٢/ ٥٣٨) إلى ابن المعتز!



يَا كَثِيفَ الطَّبَعِ:

بِيضُ الْحَمَامِ يَمزُقُ مِنْ صَوْتِ الرَّعْدِ، وَلَا حَسَّ لَهُ!!

أَفَمَيْتُ أَنْتَ وَهَذِهِ الصَّوَاعِقُ حَوْلَكَ!؟

لَوْ تَرَى الْعَاشِقِينَ فِي مَأْتَمِ الذَّلِّ لِي وَقَدْ شُقِّقْتُ جُيُوبُ الْوِصَالِ

لَعَدَّرْتَ الَّذِي بُلِيَّ بِفِرَاقِ وَرَحْمَتِ الْمُحِبِّ فِي كُلِّ حَالِ

جَاءَتِ الْيَوْمَ نَسْمَةٌ مِنْ أَرْضِ كِنَعَانَ إِلَى مِصْرَ .

غَنَّتْ حَمَامَاتُ اللَّوَى فِي صَحْرَاءِ نَجْدِ .

تَنَفَّسَ الْمُشْتَاقُ فَانْقَشَعَ غَيْمُ الْهَجْرِ .

سَعَى سَمْسَارُ الْمَوَاعِظِ فِي الصَّلْحِ:

هَبَّتْ لَنَا وَبُرُودُ اللَّيْلِ أَسْمَالُ رِيحٌ لَهَا مِنْ جُيُوبِ الْوِصْلِ أَذْيَالُ

مَرَّتْ بِسَفْحِ اللَّوَى وَالشَّيْخُ مَتَشِّحٌ بُلُؤُؤُ الْطَلِّ وَالْجَرْبَاءُ مِعْطَالُ

مَرِيضَةٌ فِي حَوَاشِي مَرَطَهَا بَلَلُ يُهْدَى لِكُلِّ مَرِيضٍ مِنْهُ إِبْلَالُ

دَغْ جَهْرَةً لِسَوَادِ الْقَلْبِ مُحْرَقَةٌ يَا لِائِمِّي ثُمَّ قَلَّ لِي كَيْفَ أَحْتَالُ

حَدَّثَتْ عَنِّي مُنْحَنَى الْوَادِي وَسَاكِنِهِ كَرَّرُ حَدِيثِكَ لَا ضَاقَتْ بِكَ الْحَالُ

وَأَمْرَجُ بِمَاءِ الْمُنَى مَا قَلَّتْ مِنْ خَبْرِ فَإِنَّ أَخْبَارَ ذَلِكَ الْحَيِّ جَرِيَالُ^(١)



(١) للغزوي، من قصيدة. انظر: ديوانه ص ٤٢٤-٤٢٥. باختلاف يسير، ولعل مرد بعضه إلى النساخ.



الفصل الثالث والعشرون

انقسم الصالحون عند الموت:

فمنهم مَنْ أَخَذَهُ الْقَلْتُ كَعُمَر، كَانَ يَقُولُ: الْوَيْلُ لِعُمَرَ إِنْ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ.
ومنهم مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الرَّجَاءُ كِبِلَال، كَانَتْ زَوْجَتُهُ تَقُولُ: وَاحْرِبَاهُ.
وهو يَقُولُ: وَاطْرِبَاهُ، غَدَاً نَلْقَى الْأَحِبَّةَ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ.

عَلِمَ بِلَالٌ أَنَّ الْإِمَامَ لَا يَنْسَى الْمُؤَدَّنَ:

بَشَّرَهَا دَلِيلُهَا وَقَالَا: غَدَاً تَرِينَ الطَّلْحَ وَالْجِبَالَ^(١)

قَالَ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيُّ^(٢) لِابْنِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ: أَقْرَأَ عَلَيَّ أَحَادِيثَ الرَّخِصِ؛
لَأَلْقَى اللَّهَ وَأَنَا حَسَنُ الظَّنِّ بِهِ.

إِلَى مَتَى تَتَعَبُ الرَّوَاحِلُ؟ لَا بُدَّ مِنْ مَنَاخٍ:

رَفَقًا بِهَا يَا أَيُّهَا الزَّاجِرُ قَدْ لَاحَ سَلْعٌ وَبَدَا حَاجِرُ
فَخَلَّهَا تَخَلُّعُ أَرْسَانِهَا عَلَى الرَّبِيِّ لِأَرَاعِهَا ذَاعِرُ
وَإِذْ كُرَّ أَحَادِيثَ لِيَالِي مَنِي لَا عُدَمَ الْمَذْكُورُ وَالذَّاكِرُ

(١) مِنْ شَوَاهِدِ أَبِي عُبَيْدَةَ فِي «مَجَازِ الْقُرْآنِ» (٢/ ٢٥٠). وَابْنُ الْجُوزِيِّ فِي «زَادِ الْمَسِيرِ»
(٨/ ١٤٠) وَغَيْرَهُمَا، وَلَمْ يَنْسِبُوهُ، وَنَسَبَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي «الْجَامِعِ» (١٧/ ٢٠٨) إِلَى الْجَعْدِيِّ.
(٢) سُلَيْمَانُ بْنُ طَرْخَانَ، مِنَ الطَّبَقَةِ الرَّابِعَةِ مِنْ عِبَادِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، تُوْفِيَ سَنَةَ ١٤٣ هـ. صِفَةُ
الصَّفْوَةِ (٣/ ٢٩٦).



يا هذا:

اتعب اليوم تسترخ غداً.

اشتغل بباقي الحياة يكفك حالة الموت^(١):

تعال نُجدد عهد الرضا ونصفح في الحبّ عما مضى
ونجري على سنن الصادقين وأضمن عني وعنك الرضا^(٢)

يا هذا:

أنا أحدثك عن سيّدك بالنهار، فاسمع أنتَ منه بالليل.

لا بدّ من مقاساة الشدائد حتى تنال الراحة.

خرج المريد الصادق من ديار الهوى إلى بادية الطلب، فجنّ عليه ليل
التحير، فجنّ، فإذا نار القرى تلوح، إن حملت رجل الرجل:

قد أبصرت حقاً منهاها في الحمى وظنّها بحاجر يقينا
فبلغت أدعو لها وبلغت وخانني من لم يقل: آمينا^(٣)

إذا اعتكر الليل اعترك الهمُّ.

(١) لم تنقط الجملة، ويحتمل أن تقرأ: اشتغل بنا في الحياة نكفك... .

(٢) لسعيد بن حميد من خمسة أبيات. انظر: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص ٤٣٧.

(٣) لمهيار الديلمي، من قصيدته: جرت لها ببابل يمينا. والبيتان المختاران هما (٣، ١٠).

انظر: ديوانه (٩٣/٤-٩٧).



طال الدُّجى على الأبدان، وقصُر على القلوب:

شَكُونَا إِلَى أَحْبَابِنَا طَوَّلَ لَيْلِنَا
فَقَالُوا لَنَا: مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عِنْدَنَا! (١)

ثَوَّرَتْ فِي اللَّيْلِ الْحُدَاةُ.

وَعُكِمَتْ أَحْمَالُ الْأَعْمَالِ.

وَسَارَتْ رَفَقَةُ الْمُتَهَجِّدِينَ.

وَتَرْتَمُ كُلُّ ذِي صَوْتٍ بِشَجْوٍ.

وَأَنْتِ فِي الرُّقْدَةِ الْأُولَى بَعْدُ:

لَا تُخْلِ مَرْجَانَ دَمْعٍ مِنْ عَقِيْقِ دَمٍ
شَوْقٌ بِلَا عِبْرَةٍ سَاقٍ بِلَا قَدَمٍ

وَلَا تَمَنَّ دُنُو الدَّارِ نَازِحَةً
مُنَى الشَّبِيْبَةِ بَعْدَ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

فَكَمْ سَأَلْتَ كَرَى عَيْنِكَ زَخْرَفَةً
وَمَا أَرَاكَ أَرَاكَ الْحَيَّ فِي الْحُلْمِ (٢)

كَيْفَ تَطْبِقُ السَّهْرَ مَعَ الشَّيْعِ؟

كَيْفَ تَزَاحِمُ أَهْلَ الْعَزَائِمِ بِمَنَاكِبِ الْكَسَلِ؟

دَعِ الْهُوَى لِأَنَاسٍ يُعْرِفُونَ بِهِ
قَدْ مَارَسُوا الْحَبَّ حَتَّى لَانَ أَصْعَبُهُ

بَلَوْتَ نَفْسَكَ فِيهَا لَسْتَ تَخْبِرُهُ
وَالشَّيْءُ صَعْبٌ عَلَى مَنْ لَا يُجْرِبُهُ

(١) سمعه المغني إسماعيل بن جامع (المتوفى سنة ١٩٢ هـ) ضمن أبياتٍ، من جارية في المدينة.

انظر: مصارع العشاق (٢/ ٢٥٠)، والبداية والنهاية (١٠/ ٤٨٩).

(٢) للغزي، من قصيدة. انظر: ديوانه ص ٨١٤.



افن اصطباراً وَإِنْ لم تستطع جلدًا فَرُبَّ مُدْرِكٍ أَمْرٍ عَزَّ مَطْلِبُهُ
أحنو الضلوعَ على قلبٍ يحيرني في كلِّ يَوْمٍ وَيُعِينِي تَقْلِبُهُ
تناوحُ الرِّيحِ مِنْ نَجْدٍ يهيجهُ ولَا مِعُ الْبَرْقِ مِنْ نَعْمَانٍ يُطْرِبُهُ^(١)

مَا وَصَلَ الْقَوْمُ إِلَى الْمَنْزِلِ إِلَّا بَعْدَ طُولِ السُّرَى.

مَا ذَاقُوا حَلَاوَةَ الرَّاحَةِ إِلَّا بَعْدَ مَرَارَةِ التَّعَبِ:

مِنْ أَجْلِ هَوَاكُمُ هَوَيْتُ الْعَشِقَا قَلْبِي كَلِفٌ وَدَمْعَتِي مَا تَرَقَى
فِي حُبِّكُمْ يُونُ مَا قَدْ أَلْقَى مَا يَحْضُلُ بِالنَّعِيمِ مَنْ لَا يَشْقَى

مضى - والله - أربابُ المعاني، وتخلف أصحابُ الدعاوى:

هَاتِيكَ رِبْوَعَهُمْ وَفِيهَا كَانُوا بَانُوا عَنْهَا فَلَيْتَهُمْ مَا بَانُوا
نَادَيْتُ وَفِي حَشَاشَتِي نِيرَانُ: يَا قَوْمِ مَتَى تَحْوَلُ السُّكَّانُ؟

الدُّجَى بَيْدَاءُ الْمُرِيدِينَ، يَدُورُ بِهِمُ الْوَجْدُ فِي فُلُوتِ الْخُلُوتِ:

فَالْمَهْجُورُ يُنَادِي:

كَانَ لِي قَلْبٌ أَعِيشُ بِهِ^(٢).

(١) لعلبي بن أفلح العبسي. انظر: ديوانه ص ٣٤.

(٢) للعباس بن الأحنف من أبيات. وتمتته: فاصطلى بالنار فاحترقا. انظر: أشعار أولاد

الخلفاء وأخبارهم ص ٨١، وديوانه ص ٢١٧.



والمفْرَطُ يقولُ:

لم أقضِ منه لباناتٍ ظفرتُ بها^(١)

والمُتعبِدُّ يترنمُ:

ذكرُك لي مؤنَّسٌ يعارضني^(٢)

والساهرُ يزمرُ:

أسألُ عيني كيف طعمُ الكرى؟^(٣)

والحزِينُ يهتفُ:

سَقَيْتَنِي دَمْعِي وَمَا يُرَوِي بِهِ ظمئي، ولكن لا عدمتُ الساقِي^(٤)

والمُحِبُّ يصوِّتُ:

إذا اشتغلَ اللاهونُ عنك بشغلهم جعلتُ اشتغالي فيكَ يا مُنتهَى شُغلي

(١) للشريف الرضي من قصيدته: يا ليلة السفح ألا عدتِ ثانية. انظر: ديوانه (٢/٢٧٣).

وفيه: لم أقض منك...

(٢) من بيتين أنشدتهما أبو العباس بن عطاء. انظر: طبقات الصوفية ص ٢٧٠، وتاريخ بغداد (٢٩/٥).

(٣) لمهيار الديلمي من قصيدته: ما كنتُ لولا طمعي في الخيال. وتتمته: علالة وهو سؤال محال. انظر: ديوانه (٣/١٦٦).

(٤) لعاصم بن الحسن العاصمي (ت: ٤٨٢هـ) من أبيات. انظر: المنتظم (١٦/٢٨٧).



والعارفُ يتمثلُ:

وما بيّ البانُ بل مَنْ دارُهُ البانُ^(١)

والمُشتاقُ يستغيثُ:

وما تنقضي الأيامُ إلا بذكركم

يسأئلني قلبي بكم وأسأئلُهُ

لئن غبتَ عن عيني وشطتُ بك النوى

فأنتَ الكرى في القلبِ حطَّ رواجلُهُ^(٢)

والمُنْبَسِطُ يُخاطِرُ:

عزيزي سؤلي أن أرى منك خلوةً فأذكرُ ما بيّ من هواك وتسمعُ

فإذا رأى المَطْرُودُ حظوظَ القومِ - وهو مفلسٌ - قال في صعداءِ أنفاسِهِ:

بذا قضتِ الأيامُ ما بينَ أهلِها^(٣)



(١) للشريف الرضي من قصيدته: أسلُ بدمعك وادي الحَيِّ إن بانوا. صدره: يهفو إلى البان من قلبي نوازعُه. انظر: ديوانه (٢/٤٤٩).

(٢) لستُ على ثقة من قراءة هذا العجز.

(٣) للمتنبّي من قصيدته: عواذلُ ذات الخال في حواسدُ. وتمتمه: مصائبُ قومٍ عند قوم فوائدُ. انظر: ديوانه ص ٣٣٠.



الفصل الرابع والعشرون

يا هذا:

أكبر دليل لك علينا أنت.

كنت بدداً في ظهورِ الأصول، فنظمتَ بالقُدرة نظماً عجيباً خالياً عن
العبث، فما تنقُض إلا لأمرٍ أعجب منه.

مُدَّت أطنابُ العروق، وحُفرتْ خنادقُ الأعصاب، وضربتْ أوتادُ
المفاصل، وأقيمَ عمدُ الصُّلب، ثم مُدَّ السُّرادقُ، فنُصِبَ سريرُ القلبِ في
الباطن للملك، «ويسعني قلبُ عبدي المؤمن»:

إذا لم يجد صبُّ على النَّأيِ مُحْبِراً عَنِ الحَيِّ بَعْدَ البَيْنِ أَيْنَ أَقَامُوا
فَعِنْدَ النَسِيمِ الرَطْبِ أَحْبَابُ مَنْزِلِ بِهِ لِسُلَيْمِي بِالْعَقِيقِ خِيَامُ

يَا هَذَا:

إِنْ كُنْتَ مَحْبَباً فَحَبِيبِكَ مَعَكَ فِي كُلِّ حَالٍ، حَتَّى عِنْدَ المَوْتِ، وَفِي بَاطِنِ
اللَّحْدِ:

يَا حَبَّذا العرعرُ النَجديُّ والبَانُ وَدَارُ قَوْمِ بَأْكَنَافِ الحِمَى بَانُوا
وَأَطْيَبُ الأَرْضِ مَا لِلقَلْبِ فِيهِ هَوَى سَمُّ الخِيَاطِ مَعَ المَحْبُوبِ مِيدَانُ^(١)

(١) للغزي، انظر: ديوانه ص ٥٢٠. وفيه بيتٌ ثالث، هو فيه الثاني.



يا مَنْ كانت له معنا معاملة .
 وطالت بيننا وبينه المُواصلة .
 ثم اختارَ الهجرَ والمفاصلة .
 إن لم يكن جميلٌ فمجاملة .

اسكبْ دموعَ أسفك، واندبْ أطلالَ مألُفك:

تظنّ ليالينا عُودا	على العهدِ مِنْ بُرقتيْ تَهَمدا
ويا صاحبيْ أين وجهُ الصّباح	وأينَ غدٌّ؟ صِفْ لعينيْ غدا
وخلفَ الضُّلوعِ زفيرٌ أبى	وقد بردَ اللَّيلُ أنْ يبرُدا
خليليْ لي حاجةٌ ما أخفّ	برامةٌ لو حُمّلتْ مُسعدا
أريدُ لأكتُمَ ^(١) وابنُ الأرا	كُ يفضحُها كلِّها غرّدا
أحبُّ وإنْ أخصبَ الحاضرُون	بباديةِ الرَّمْلِ أنْ أخلّدا
أرى كيدي قُسمتْ شُعبتين	معَ الشُّوقِ غورَ أو أنجدا
تمنّاك عينيْ وقلبي يراك	بشوقي حاشاك أنْ تُفقدنا ^(٢)

إخواني:

تعالوا نندبْ أيامَ الوصال .

(١) في الديوان: لتكتُم .

(٢) لمهيار الديلمي من قصيدة. والأبيات المختارة هي (١، ٣، ٥، ٧، ١٠، ١٥، ٣٣). انظر:

ديوانه (١/٢٦٣-٢٦٤).



ونبكي على قطع الاتصال:

أشكو إليك مدامعاً تكفُ
 ما كان أسرعَ ما بنا زمنٌ
 بعد النوى وجوانحاً تجفُ
 لهفي على ذاك الزمان وهل
 وتكدرت من ودنا نطفُ
 يثني زماناً ماضياً لهفٌ؟^(١)

وأسفاً لمُنقطعِ دون الركب.

متأخراً عن لحاقِ الصَّحب.

يَعُدُّ الساعات في مُنى « لعلَّ ».

ويخلو بفكره في ظنِّ « عسى ».

وكانه به قد اختلس في عطفة أمل:

أعدَّ اللَّيالي لَيْلَةً بعد لَيْلَةٍ
 وأخرج من بين البيوت لعلني
 وقد عشتُ دهرًا لا أعدُّ الليالي
 إذا سرتُ أرضاً بالفضاء رأيتني
 أحَدْتُ عَنْكَ النَّفْسَ يا لَيْلَ خَالِيَا
 يَمِيناً إذا كانت يَمِيناً وإن تكن
 أصانعُ رجلي أن يميل^(٢) خيالِيَا
 شِمالاً يُنازِعُنِي الهوى من شِمالِيَا
 عليَّ الأسي لما تغنيئُها ليَا
 أبالي دموعَ العَيْنِ لو كنتُ خَالِيَا
 وبكيتُماني وَسَطَ صَحْبِي ولم أكنُ
 إذا عَلِمَ من آلِ لَيْلِي بدا ليَا
 خَلِيلِي لا والله ما أملكُ البُكا

(١) للشريف الرضي من قصيدة. انظر: ديوانه (٢١-٢٣).

(٢) كأنها في الأصل: تميل.



أرى حاجتي تُشْرَى وَلَا تُشْتَرَى لِيَا خَلِيلِيَّ مَا أَرْجُو مِنَ الْعَيْشِ بَعْدَمَا
وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّيْئَتَيْنِ بَعْدَمَا يَظُنُّانِ كُلَّ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا^(١)

يا صبيان التوبة:

ما لكم تَضَجُّونَ؟

يُزْعَجُكُمْ التَّخْوِيفُ فَتَعَجُّونَ.

وَيُطْمَعُكُمْ التَّشْوِيقُ فَتَرْجُونَ.

ابكوا على التفریطِ إِنْ كُنْتُمْ تَبْكُونَ.

حِنُّوا إِلَى زَمَانِ الصَّفَاءِ إِنْ كُنْتُمْ تَحِنُّونَ:

أَمِنْ خُفُوقِ الْبَرْقِ تُرْزَمِينَا حَنِّي فَمَا أَمْنَعُكَ الْحِينَا
سِيرِي يَمِينًا وَسِرَاكُ شَامَةً فَضَلَّةً مَا تَلَفْتِينَا
نَعَمْ تُشَاقِقِينَ وَنَشْتَاقُ لَهُ وَنُعْلِنُ الْوَجْدَ وَتَكْتُمِينَا
فَأَيْنَ مَنَا الْيَوْمَ أَوْ مِنْكَ الْهُوَى وَأَيْنَ نَجْدُ وَالْمُغَوَّرُونَ؟
سَقَى الْحَيَاءَ عَهْدَ الْحِمَى أَعَذَبَ مَا تَسْقِي السَّمَاوَاتُ بِهِ الْأَرْضِينَا
وَخَصَّ بَانَاتٍ عَلَى كَاظِمَةٍ فزَادَهَا نَضَارَةً وَلِينَا
وَوَاصَلَتْ مَا بَيْنَهَا رِيحُ الصَّبَا فَعَانَقَتْ غَصُوبَهَا الْغَصُونَا

(١) لقيس المجنون كما في «المدهش» (٢/٦٠٤)، و«ذم الهوى» ص ٤٠٣.



وردٌ أوطاراً بها ماضيةً عليّ أو أحيّةً باقيناً^(١)

أوادعُونَ أم مودّعونا؟ ضيقتُم بالأدمعِ الجفونا
شَرَقْتُمُ في الأَرْضِ أو غَرَبْتُمُ أنتم سوادَ القلبِ ساكنونا
حويتُمُ قلباً رعيتمُ فكرَهُ كُونُوا له بالرفقِ حافظينا
شجواً كشجوي يا حمائمُ ساعدي إنَّ الحزينَ يُسعدُ الحزينا^(٢)
كم مِنْ دموعٍ ردها صوبَ دمٍ تَحلُّجُ البرقِ على يبرينا

وأنتَ إنْ كُنْتَ رقيقاً فأعدْ ذكُرَ الحمى أطيّبُ^(٣) ما غُنينا
أعدْ فَمِنْ آيةِ سكانِ الحمى وذكُرِهِم أنْ يُطربَ الحزينا^(٤)

(١) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدة. والأبيات المختارة هي (١، ٢، ٦-١١). انظر: ديوانه (١٣٧/٤-١٣٨).

والأبيات الخمسة بعدها ليست منها، ولم أعرف قائلها. والبيتان بعدها لمهيار ولكن من قصيدة أخرى.

(٢) مرَّ هذا العجز في قصيدةٍ للحصكفي في الفصل (١٣). (٣) الضبط من المؤلف.

(٤) البيتان لمهيار الديلمي مِنْ قصيدته: جرت لها ببابل يمينا. وهما (١١، ١٢). انظر: ديوانه (٩٣/٤-٩٤).

وانظر كيف مزج المؤلف هذه القطع الثلاث!



الفصل الخامس والعشرون

إخواني:

أما ترون أهل القبور قد أوثقهم الأسر عن حركة في نجاة؟

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾^(١).

﴿وَإِنَّكُمْ لَنَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْآيَاتِ﴾^(٢):

ولقد مررتُ على ديارهمُ وطلوها بيدِ البلى نهبُ
فوقفتُ حتى عَجَّ مِنْ لَعَبٍ نضوي وضجَّ بعذلي الركبُ
وتلفّقتُ عيني فمُذْ خفيتُ عني الطلُولُ تلفّت القلبُ^(٣)

واعجباً لضاحكٍ ملء فيه، وهو يرى القبرَ ولا ينظرُ فيه.

أما يذكُرُ وداعَ أهله؟!

أيرضى أن يُؤخذَ على جهله؟!

يا لها مِنْ ساعةٍ ما أشدّها!

يتمنّى أن لو لم يكنْ عندها:

(١) مِنْ سورة سبأ، الآية ٥٤.

(٢) مِنْ سورة الصافات، الآية ١٣٧-١٣٨.

(٣) للشريف الرضي. انظر: ديوانه (١/ ١٨١)، وفيه: حتى ضج. ولج.



وَلَمْ أَنَسْ مَوْقِفَنَا لِلْوَدَاعِ وَقَدْ حَانَ مِمَّنْ أَحَبُّ الرَّحِيلِ
 وَلَمْ تَبَقْ لِي دَمْعَةٌ فِي الشَّوْنِ إِلَّا غَدَتُ فَوْقَ خَدِي تَسِيلُ
 فَقَالَ نَصِيحٌ مِنَ الْقَوْمِ لِي وَقَدْ كَادَ يَأْتِي عَلَيَّ الْغَلِيلُ:
 تَأَنَّ بَدْمِعِكَ لَا تُفْنِهِ فَيَبِينُ يَدَيْكَ بِكَاءٍ طَوِيلِ^(١)

يا صبيان الهوى:

إِنْ تُرِكَ الْحَرْوفُ فَلِلذَّبْحِ يُؤَخَّرُ.

وكم يُسَلِّبُ رَضِيعٌ؟

فَاقْضُوا مَا رَبَّكُمْ عَجَالاً، إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الْأَسْفَارِ
 وَتَرَكَضُوا خَيْلَ الشَّبَابِ، وَبَادَرُوا أَنْ تُسْتَرَدَّ، فَإِنَّهُنَّ عَوَارِي^(٢)

إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَظْهَرَتْ عُيُوبَهَا، وَكَشَفَتْ لِلْبَصَائِرِ غُيُوبَهَا.

إِنْ بَاعَتْ مَحَبَّهَا لَذَّةً مَا كَسَتْهُ، وَكَمْ عَرِي لَهَا وَلَدٌ مَا كَسَتْهُ:

هِيَ الدُّنْيَا تُقَوِّلُ بِمَلءِ فِيهَا: حَذَارِ حَذَارٍ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي
 فَلَا يَغْرُرْكُمْ حَسَنُ ابْتِسَامِي فَقُولِي مُضْحِكٌ وَالْفَعْلُ مَبْكِي

(١) لسليمان بن أبي جعفر المنصور. انظر: أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ص ١٤-١٥

باختلاف ألفاظ، والكشكول (١/١١٣).

(٢) لأبي الحسن التهامي من قصيدته: حكمُ المنية في البرية جاري. انظر: ديوانه ص ٣٠٩.

وقد مرَّ البيت الأول في الفصل (١٠).



هي الدنيا أشبَّهها بشهدِ يُسْمُ، وجيفةً طليتُ بمسكِ
دعي يا نفسُ فكرَكَ في أناسِ مضوا بل لانقراضك ويك فابكي
ألا يا قومنا انتبهوا فإننا نُحاسبُ في القيامة غير شك^(١)

يا مُنحرفاً عن الجادة:

﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ﴾^(٢).

لا أنتَ مع أربابِ الدنيا في لذاتها، ولا مع أهلِ الآخرة في عبادتها.

ما وقعَ بيدك من النبيذ إلا البنج^(٣).

يا مَنْ كلَّما عاهدَ غدرَ:

وأسفاً على وفاةِ الوفاء:

تقضى زمانُ العُمُرِ والريحُ حُسرانُ وولى زمانى وانقضى الحينُ والآنُ
وها قد بدا صُبْحُ المشيبِ بعارضي وما حصلَ التقوى ولا صلحَ الشانُ
وقد زادني دهري فراقَ أحبتي فبانوا وبانَ العيشَ عنِّي إذ بانوا
أيا راكباً تهوي به مشمعةً عزافرةً علباءً وجنأً مدعانُ

(١) لأبي الفرج الساوي. انظر: يتيمة الدهر (٣/ ٣٩٦-٣٩٧).

(٢) من سورة هود، الآية ١١٢.

(٣) هذه الكلمة: (النبيذ) لم تنطق في الأصل. وقد استغرقت قراءتها زمناً.



إذا ما بدتْ أعلامٌ سلعٍ وحاجرٍ ولاحَ عقيقُ الجزعِ واستطلعَ البانُ
 فسلمٌ وإن كان السلامُ تحيةً على مَنْ هُمُ في أرضِ قلبي قُطانُ
 وقلْ لهم: إنْ أعوزَ المزنُ أرضكم وقلَّ بها نوؤٌ من الغيثِ تهتانُ
 ردوا أجفَر الوادي فإني تركتها غداة افرقنا وهَي بالدمعِ غدرانُ

أسكَّانَ نَعمانِ الأراكِ تيقنوا بأنكمُ في ربعِ قلبي سُكَّانُ
 ودُوموا على حفظِ الودادِ فإنني بُليتُ بأقوامِ إذا اسْتُحْفِظوا^(١) خانوا
 سلوا الليلَ عني مذ تناءتْ دياركمُ: هل اكتحلتُ بالغمضِ لي فيه أجفانُ؟
 وهل جَرَدتْ أسيافَ برقٍ^(٢) دياركمُ فكان لها إلا جفوني أجفانُ؟^(٣)

هذا القَبولُ يُنادي صبيانَ الهوى: الشابُّ التائبُ حبيبُ الله^(٤).

ويصيحُ بكهولِ الخطأ: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٥).

(١) في ديوان ابن حيوس: حفظوا. وفي «الوفيات»: استؤمنوا.

(٢) ذهبت الكلمة في التصوير واستدركتها من «وفيات الأعيان».

(٣) لابن حيوس (ت: ٤٧٣هـ). انظر: ديوانه (٢/ ٦٤٥) وفيه بيتٌ آخر، ومثير العزم الساكن (٢/ ٩٦).

ونسبت أيضاً إلى ابن الصائغ الأندلسي (ت: ٥٣٣هـ)، انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٤٣٠).

(٤) روى ابن أبي الدنيا في «التوبة» وأبو الشيخ في كتاب «الثواب» من حديث أنس بسند ضعيف: إن الله يحب الشاب التائب. المغني للعراقي (٤/ ٥).

(٥) من سورة الزمر، الآية ٥٣.



ويهتفُ بالشيوخ: «أنا عند المُنكسرة قلوبهم»^(١).

أين المتنبه:

عسى يلينُ عودُ عسا:

لعل زمانَ ذي سلمٍ يعودُ وأياماً تَضُنُّ بكم تجودُ

يا مُنفقاً بضاعةَ العُمُر في مخالفةِ المُنعم:

ليس في أعدائك أكثرُ أذىً لك منك.

أما تعبتِ الرواحلُ في سفرِ الجهلِ؟!

أما أخذَ الفراقُ حظَّهُ من يعقوبِ؟!

أأبقى السَّقَامُ موضعاً في أيوبِ؟!

أدُلِّك على ما ينفَعُك إن قبلتَ:

إذا جنَّ الليلُ فعلقَ على قطارِ المُتهجِّدين.

وزاحمُ زُمرَةَ المُستغفرين.

وتلفَّعَ بمرطِ الذلِّ.

(١) أثر إسرائيلي. انظر: حلية الأولياء (٢/ ٣٦٤) و(٤/ ٣٢).



ونكس رأس الانكسار.

وغطّ وجه الحياء، فأنجح السؤال المُغطّي الوجه.

وارفع قصة غصّة عنوائها:

أبثُّهمُ وجدِي وهُمُ بي أعلمُ

وليكن مضمونها:

ما ترى في وامقٍ مكتتبٍ دمعهُ وقفُّ على مقلتهِ؟

واقفٌ بالباب يشكو ما بهِ فعسى يُنظرُ في قصتهِ^(١)

فإن قالوا: أطلت الغيبة عنا، فقل:

ما كنتُ أعرفُ ما مقدارُ وصلكمُ حتى هجرتمُ وبعضُ الهجرِ تأديبُ^(٢)

ثم راسلُ مُنشدَ البكاء، فسَمِعُ القبولِ يَسْتطِيبُ تلكَ النعمة، وليكن في

«بسيط» الغناء:

فعندي زفيرٌ ما ترقى إلى الحشا وعندي دموعٌ ما طلعن المآقيا^(٣)

(١) لابن سكرة الهاشمي: محمد بن عبدالله. انظر: يتيمة الدهر (٣/٧-٨).

(٢) لمهيار الديلمي من قصيدته: أستنجد الصبر فيكم وهو مغلوبٌ. وهو الثالث منها. انظر: ديوانه (١/٢٤).

(٣) للشريف الرضي من قصيدته: أراعي بلوغ الشيب والشيب دائيا. انظر: ديوانه (٢/٥٨٦). وفيه: ما ترقى من الحشا.



واجعلُ في «الثقيل»:

فليتكَ تحلو والحياةُ مريرةً
وليتَ الذي بيني وبينك عامرٌ
وليتكَ ترضى والأنامُ غضابُ
وبيني وبينَ العالمينَ خرابٌ^(١)

وقلُ في «النشيد»:

مضى زمنٌ والناسُ يستشفعونَ بي
فهل لي إلى ليلَى الغداةِ شفيعٌ؟^(٢)

وقلُ في «الرَّمَلُ»:

تلدُّ عيني وقلبي منك في ألمٍ^(٣)

فإن لم ترَ للقبولِ أثراً فصَحَّ في الوادي:

يا ربُّعُ إن وصلُوا وإن صرُّموا
فهُمُ الألى ملكوا الفؤادَ هُمُ^(٤)



(١) لأبي فراس الحمداني من قصيدته: أما لجميلٍ عندك ثوابٌ. انظر: المنتظم (٧١/٧) ط دار صادر، والديوان ص ٢٧.

(٢) لأحد القيسيين: قيس لبنى أو قيس ليلي. من قصيدة أولها: سأصرم لبنى حبل وصلك مجماً. انظر: أمالي القاضي (١٣٦/١)، وفيه: فهل لي إلى لبنى. والأغاني (٩/٢٤٧).

(٣) للشريف الرضي من قصيدته: خذي حديثك من نفسي عن النفس، وتتمته: فالقلبُ في مآتم والعينُ في عُرْس. انظر: ديوانه (١/٥٥٧).

(٤) بعده في «المدهش» (٢/٥٤١):

شغلوا بحسنهم نواظرنا
وعلى القلوب بحبهم ختموا
أتبعتهم نظراً فعاد جوى
ومن الشفاء لذي الهوى سقمٌ
تحو دموعي وسم إبلهم
وزفير أنفاسي لها يسم



الفصل السادس والعشرون

يا قرة العيون:

أين الناظرون إليك؟

يا راحة القلوب:

أين المُستأنسون بك؟

يا سرَّ الأسرار:

أين المُخبرون عنك؟

صاحَّ أحمد بن أبي الحواري^(١) بزوجه رابعة^(٢) فلم تُجبه ساعةً، ثم أجابته وقالت: كنتُ مشغولةً بالله تعالى فاعذرني.

دخل بعض المُحبين البادية فتداخله شيءٌ من القرب، فمكث مكانه ثلاثة عشر يوماً كالمبهور:

سَقَّنِي قَبْلَ تَبَارِيحِ الْعَطَشِ! إِنَّ يَوْمِي يَوْمٌ طَشَّ بَعْدَ رَشِّ
حُبِّ مَنْ أَهْوَاهُ قَدْ أَدهَشَنِي لَا خَلَوْتُ الدَّهْرَ مِنْ ذَاكَ الدَّهْشِ^(٣)

(١) من الطبقة الثامنة من المصطفين من عبّاد أهل الشام، توفي سنة ٢٣٠هـ. صفة الصفوة (٤/٢٣٧).

(٢) رابعة بنت إسماعيل، ترجمتها في صفة الصفوة (٤/٣٠٠).

(٣) ذُكِرَ فِي خَبَرٍ فِي «مِصْرَاعِ الْعِشَاقِ» (١/٢٥) وَ(١/٢٨٢).



من المُحِبِّينَ مَنْ يَكَابِدُ الْكُتْمَانَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَلَعَ الْعِذَارَ:
 لِي حَبِيبٌ لَسْتُ أَذْكَرُهُ قَلْقِي فِي الْحَبِّ يَظْهَرُهُ
 نَضَبُ عَيْنِي دَائِمًا أَبَدًا وَسُوِيْدَا الْقَلْبِ يَبْصُرُهُ
 قَلْتُ لِلْعِذَالِ إِذْ أَمَرُوا بَسْلُوْا عَزَّ أَيْسَرُهُ:
 مَالِكِي فِي الْقَلْبِ مَسْكَنُهُ فَسَلُوِيْ أَيْنَ أَضْمَرُهُ؟^(١)

لو رأيتموهم لقلتكم مجانين:

إِنْ كَانَ حُبُّكَ عَارِي فَقَدْ رَضِيْتُ بَعَارِي
 يَا مَنْ إِذَا صَدَّ عَنِّي حَشَا الْحَشَا بِالنَّارِ
 يَا جَتِّي حِينَ تَرْضَى وَإِنْ غَضِبْتَ فَنَارِي

حُشِيْتُ قُلُوبُ الْقَوْمِ بِالْغُمُومِ، حَشَوَ الْوَرْدِ فِي قَوَارِيرِ الزُّورِ، فَكَلَّمَا
 التَّهْبَتُ نَارُ الْحَذَرِ جَرَتْ عَيُونُ الدَّمْعِ فِي جِدَاوِلِ الْعَيُونِ، فَرَشَّتْ عَلَى الْوَجُوهِ
 مَاءً مَا مَاءُ الْوَرْدِ عِنْدَهُ بِطَيِّبٍ:

أَسَرَ الْقَلْبَ فَأَمَسَى لَدَيْهِ فَهُوَ يَشْكُوهُ وَيَشْكُو إِلَيْهِ
 عَذَّبَ الْأَحْبَابَ بِالْهَجْرِ حِينًا فَهُمْ يَبْكُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ^(٢)

(١) لأبي منصور المبارك بن سلامة المخلطي. انظر خريدة القصر - قسم مصر (٢/٢١٨)،
 وإخبار الملوك ص ٣٠٠.

(٢) البيتان في «المدحش» (٢/٦٣٤) لابن المعتز، والأول في «ديوانه» ضمن أبيات ص ٤٦٢.
 ط دار صادر، و(١/٤٣٧) ط دار المعارف بمصر.



قيل لعابِدٍ كانَ يَتَحَبُّ في المَسْجِدِ: إِنَّكَ تُفْسِدُ على المُصَلِّينَ صَلَاتَهُمْ!

فقال: إِنَّ حُزْنَ القِيَامَةِ أورثني دموعاً غزاراً:

مهلا عذولُ صَلَّيتَ حرَّ جِوانِحِي وغرقتَ في تيارِ دَمْعِي المُسْبِلِ
هذي حشايَ لَدَيْكَ فَانظُرْ هَلْ تَرى قلباً؟ فَإِنَّ صادفتَ قلباً فاعذُلِ

غايةُ العاذِلِينَ إيصالُ اللومِ إلى الأَسْماعِ، فأما القلوبُ فلا سبيلَ إليها:

سَيِّانِ إِنْ لاموا وَإِنْ عذروا مَالي عَنِ الأَحبابِ مُصْطَبِرُ
لَا بُدَّ لي مِنْهُم وَإِنْ تركُوا قلبِي بِنارِ الهَجْرِ يَسْتَعِرُّ
وَعَلِيَّ أَنْ أرْضى بِمَما صَنَعُوا وأطيعَهُمْ في كُلِّ ما أَمروا^(١)

كان عطاء السَّليمي قد انقطع لشدة الخوف، فجيءَ بِشربةٍ مِنْ سويقٍ، فلم يقدرْ على شربها، فعاتبه صالح المري^(٢)، فقال: إني كلِّما هممتُ بِشربها ذكرتُ قوله تعالى: ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾^(٣)، فقال له: أنتَ في وادٍ وأنا في وادٍ:

أطلتَ وَعَدَّبتني يا عذولُ بليتَ فَدَعَنِي حَدِيثِي يَطولُ
أبيتُ أراقِبُ نجمَ الدُّجى إلى الصُّبْحِ وحدي ودمعي يسيلُ^(٤)

(١) لأبي غالب ابن بشران الواسطي (ت: ٤٦٢ هـ). انظر: المنتظم (١٦/ ١٢٠-١٢١).

(٢) من الطبقة الخامسة من عبّاد أهل البصرة، توفي سنة ١٧٦ هـ. صفة الصفة (٣/ ٣٥٠).

(٣) مِنْ سورة المزل، الآية ١٣.

(٤) لابن المعتز من ستة أبيات. انظر: ديوانه (١/ ٤١٠)، ط دار المعارف.



دخلوا على عطاء^(١) وحواله بلل، فظنوه قد توضعاً، فقالت عجوز في داره: هذا أثر دموعه:

قد رويت منه رؤسوم الربيع	ردوا غديراً من غزير دمي
نوحاً بتغريد ولا بسجع	ما هتفت ورقاء تبكي شجوها
أحزان قلبي وأسالت دمي	على فروع البان إلا هيجت
على زمان فاتني بسلع	أبكي على ما قد مضى بحسرة

عوتب عطاء في كثرة بكائه، فقال: إني أمثل نفسي مغلولاً في النار، فكيف لا يبكي المغلول؟!!

لا تزدني فوق ما أله	سقاء حسبي والجوى
خلني أضنى بشجوي	عيل صبري في الهوى

بكى عطاء في غرفة له فجرى الدمع في الميزاب، فمر رجل فقال: يا أهل الدار: أماؤكم طاهر؟ فقالوا: نعم. فصاح عطاء: اغسله، فإنه دمع من عصي الله:

الدمع يخون كل كاتم	والحُبُّ يحلل العزائم
والوجد يُغالبُ المقاوي	والسالمُ فيه من يُسلم
القلبُ بحبكم لديغ	واقلقي من الأراقم
هَذَا وَيُعِينُ فِي هَوَاكُم	سَلَّمْتُ لَكُمْ فَمَا أَخَاصِمُ

(١) السليمي.



سَأَلْتُ بِكُمْ دَمَوْعُ عَيْنِي
 أَبْكِي أَثْرَ الْحَبِيبِ عِنْدِي
 يَا مَانَعَ مَقْلَتِي كَرَاهَا
 قَدْ صَمْتُ عَنِ الْهُوَى لِأَحْظَى
 هَلْ يُبْذَلُ وَدُكْمٌ ^(١) لظَامٍ
 نَاحَتْ فَرَجْرُهَا حَمَامٌ
 تَرْقِينَ إِلَى ذُرَى عُصُونٍ
 تَبْكِينَ وَمَا شَجَاكِ شَوْقٌ
 إِنْ كُنْتَ صَدَقْتَ فَأَسْعِدِينِي
 طَارَتْ وَبَقِيَتْ فِي ضَمَانِي
 وَالدَّمْعُ لِمَقْلَتِي يَزَاحِمُ
 وَالْحَزَنُ تُثِيرُهُ الْمَعَالِمُ
 مَرَّ اللَّيْلُ وَلَسْتُ نَائِمٌ
 مِنْ حِكْمِ بَأَجْرِ صَائِمٍ
 حِيرَانَ عَلَى الْوُرُودِ حَائِمٌ
 مَا لِي تُزَعِجُنِي الْحَمَائِمُ؟
 أَنَّى تَحْمَلُكَ الْقَوَادِمُ؟
 شَكَاكِ إِذْنِ مَنْ الْعِظَائِمُ
 لَا نَسْمَعُ لَوْمَةَ اللِّوَائِمِ
 لَا أَبْرَحُ وَالزَّعِيمُ غَارِمٌ ^(٢)



(١) في «المدهش» (٢/٦١٠): وردكم.

(٢) من مجزوء الدوبيت. وانظر ما قاله الأستاذ كامل مصطفى الشبيبي عنها في كتابه «ديوان

الدوبيت في الشعر العربي في عشرة قرون» ص ٢٠٠-٢٠١.



الفصل السابع والعشرون

سَفَرُ اللَّيْلِ لَا يُطِيقُهُ إِلَّا مُضَمَّرُ الْمَجَاعَةِ.

النَّجَائِبُ فِي الْأَوَّلِ، وَحَامِلَاتُ الزَّادِ فِي الْأَخِيرِ.

لَوْ قُمْتَ فِي السَّحْرِ رَأَيْتَ طَرِيقَ الْعُبَادِ قَدْ غُصَّ بِالزَّحَامِ.

لَوْ وَرَدَتْ مَاءَ مَدِينٍ وَجَدْتَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ:

بَانُوا وَخُلِّفَتْ أَبْكَي فِي دِيَارِهِمْ قَلٌّ لِلدِّيَارِ: سَقَاكِ الرَّائِحُ الْغَادِي

وَقَلٌّ لِأَطْعَانِهِمْ: حَيَّتِ مِنْ ظُعْنٍ وَقَلٌّ لَوَادِيهِمْ: حَيَّتِ مِنْ وَادِي

يَا دِيَارَ الْمُحِبِّينَ:

أَيْنَ السُّكَّانُ؟

يَا مَنَازِلَ الْعَارِفِينَ:

أَيْنَ الْقُطَّانُ؟

يَا أَطْلَالَ الْوَاجِدِينَ:

أَيْنَ الْبُنْيَانُ؟

تَعَاهَدْتِكِ الْعَهَادُ يَا طَلُّ خَبَّرَ عَنِ الظَّاعِنِينَ مَا فَعَلُوا

فَقَالَ: أَلَا اتَّبَعْتَهُمْ أَبَدًا إِنَّ نَزَلُوا مَنْزِلًا وَإِنْ رَحَلُوا



تركت أيدي النوى تقودهم وجئتني عن حديثهم تسأل^(١)

أترى أي طريق سلكوا؟

نحن هلكنا، وهم ملكوا:

يا صاحبِ رَحلي قفا فسائلا لي الدمنا
وأمطرا دمعكما ذاك الكئيب الأيمنا
ما الدار عندي سكن إذا عدت السكنا

كان فؤادي وهم وظعنوا فظعنا
منى لعيني أن ترى تلك الثلاث من منى
ويوم سلع لم يكن يومي بسلع هينا
ويوم ذي البان تبا يعنا فحزت الغبنا
كان الغرام المشتري وكان قلبي الثمنا

وبارق أشيمه كالطرف أغضى ورننا
ذكرني الأحباب والذ كرى تهيج الحزنا

(١) لابن المعتز. انظر: ديوانه ص ٣٥٦ باختلاف يسير.



مِنْ بطنِ مَرٍّ والشَّرَى تَأْمُّ عُسْفَانَ بِنَا
وبالعراقِ وطري يا بَعْدَ مَا لَاحَ لَنَا^(١)

أصْفُهُمْ لِمَنْ؟

أذَكَرُهُمْ عِنْدَ مَنْ؟

كانوا يكمنون بالنهار في بيت الوحدة، فإذا نامت العيون ساقوا، فإذا
كَلَّتِ الرواحلُ قامَ حادي الشَّوقِ يترنمُ:

أَلَا غَيَانِي بِالذِّيارِ فَإِنِّي أَحِبُّ زَرُوداً مَا أَقَامَ نَراها
وَبَيْنَ النَّقاِ وَالأنْعَمِينَ حَلَّةً حَبِيبُ لِقَلْبِي قاعُها ورُبَّهاها
وَنَعْمَانُ يَا سَقِيًّا لِنَعْمَانَ مَا جَرَتْ عَلَيهِ النُّعامى بَعَدْنَا وصَبَّهاها
وللقلبِ عِنْدَ المأزَمِينَ وَجَمَعِها دُيُونَ وَمَقْضَى حَيفِها وَمِناها^(٢)

فحينئذٍ تعودُ أرواحُ نوقِ الأبدانِ إليها، فتستأنفُ السيرَ:

بدا لها مِنْ بَعْدِ ما بدا لها روضُ الحِمى أَنْ تُشْتَكِي كَلاها
فخلَّها تَمَرُحُ في زَمامِها فإنها قد سَمَّتْ عِقالها

(١) الأبيات الثلاثة الأولى والأربعة الأخيرة للشريف الرضي من قصيدته: أعاد لي عيد
الضنى . انظر: ديوانه (٢/ ٤٨٠-٤٨٢).

والأبيات الخمسة بينها لمهيار الديلمي من قصيدته: أين طباء المنحنى . انظر: ديوانه
(٤/ ١٤٢-١٤٣).

وقد مزج بين الأبيات هنا وفي «المدحش» (٢/ ٦٢٩-٦٣٠) وكُتِبَ هناك في أول
الأبيات: (للشريف الرضي ولمهيار).

(٢) للشريف الرضي من قصيدته: إلى أي مرمى قصدها وسراها . انظر: ديوانه (٢/ ٥٦١).



أذكرها مَرَّ النسيمِ سَحْرًا مراتعاً تَفِيَّاتٌ ظِلَالها
رَنَّحها الشَّوْقُ المُمضُّ والسُّرى فسحبتُ مِنْ وجدها جِلالها
تحسبُها سَكْرى وما ذاكَ بها وإنما شوقُ الحِمى أَمالها^(١)

دَعها لك الخَيْرُ وما بدا لها من الحنينِ ناشِطاً عقالها^(٢)
ولا تعقها عن عقيقِ رامَةٍ فإنها ذاكرةٌ أفالها
وعللوها بحديثِ حاجِرٍ ولتصنعِ الفلاةُ ما بدا لها^(٣)
نشدتكَ اللهُ إذا جئتَ الرُّبى فردُّ أضاها واستظلَّ ضالها
ونواحِ الورقِ بشجوىِ ناكلٍ أطفى لها ريبُ الردى أطفالها^(٤)

رحل أهل العزائم القويّة، وامتلات بالأبرار البريّة.

ليس لي في الدنيا أنسٌ إلا بأخبارهم، وزيارة قبورهم وآثارهم^(٥):

-
- (١) نُسيبتُ في «المدهش» (٦٣٩/٢) إلى الشريف الرضي. وليست في ديوانه.
(٢) مزج المؤلفُ هذه الأبيات بما قبلها، وهي لشاعرٍ آخر. وأورد فيها بيتاً ليس منها!
(٣) هذا البيت ليس من أبيات علي بن أفلاح، بل هو لأبي القاسم المغربي من قصيدة أوردها المؤلف له في كتابه «مثير العزم الساكن» (١٤٨/١). وقد اختلف فيه ضمير المخاطب.
(٤) لعلي بن أفلاح العبسي كما في «المدهش» (٥٥٩/٢)، و«مثير العزم الساكن» (١٤٩/١).
(٥) قال الحافظ ابن رجب في ترجمة الشيخ المؤلف في «الذيل على طبقات الحنابلة» (٤٨٦/٢):
«ذكر ابنُ القادسي في «تاريخه»: أن الشيخ كان يقوم الليل، ويصوم النهار، وله معاملاتٌ،
ويزور الصالحين إذا جنَّ الليل، ولا يكاد يفترُّ عن ذكرِ الله».



يَا صَاحِبِي إِنْ كُنْتَ لِي أَوْ مَعِي فَعُدْ إِلَيَّ رَوْضِ الْحِمَى نَرْتَعِ
وَسَلِّ عَنِ الْوَادِي وَأَرْبَابِهِ وَانْشُدْ فُؤَادِي فِي رُبَى الْمَجْمَعِ

حَيِّ كَثِيبَ الرَّمْلِ رَمَلِ النَّقَا وَقِفْ وَسَلِّمْ لِي عَلَى لَعَلَعِ
وَاسْمِعْ حَدِيثًا قَدْ رَوْتَهُ الصَّبَا تُسْنِدُهُ عَن بَانَةِ الْأَجْرَعِ
وَإِبْكِ فَمَا فِي الْعَيْنِ مِنْ فَضْلَةٍ وَنُبِّ فَدَتُكَ النَّفْسُ عَن مَدْمَعِي

وَأَنْزِلْ عَلَى الشَّيْخِ بُوَادِيهِمْ وَاشْمَمْ عَشِيْبَ الْبَلَدِ الْبَلْقَعِ
بَلِّغْ تَحِيَاتِي إِلَى رُبْعِهِمْ وَقُلْ: دِيَارَ الظَّاعِنِينَ اسْمَعِي
رَفَقًا بِنَضْوٍ قَدْ بَرَاهُ الْأَسَى يَا عَاذِلِي لَوْ كَانَ قَلْبِي مَعِي
لَهْفِي عَلَى طَيْبِ لَيْالٍ خَلْتُ عَوْدِي تَعُودِي مُدْنَفًا قَدْ نَعِي
إِذَا تَذَكَّرْتُ زَمَانًا مَضَى فَوَيْحَ أَجْفَانِي مِنْ أَدْمَعِي
أَرَا جُعُّ لِي وَصَلُّهُمْ بَعْدَهَا؟ يَا نَفْسُ إِنْ لَمْ يَصْلُوا وَدَّعِي
يَا نَفْسُ كَمْ أَتْلُو حَدِيثَ الْمُئْنَى ضَاعَ زَمَانِي بِالْمُنَى فَاقْطَعِي
يَا قَلْبُ لَا تَسْكُنْ عَلَى بُعْدِهِمْ وَأَنْتِ يَا عَيْنِي فَلَا تَهْجَعِي^(١)

* * *

(١) هذه القصيدة العينية للمؤلف، نسبها إلى نفسه في كتابه «مثير العزم الساكن» (١٠٨/٢ -

١٠٩). ووردت الأبيات (٣، ٤، ٥) في ديوان العباس بن الأحنف ص ١٨٣!



الفصل الثامن والعشرون

كلما زادت المعرفة قوي الخوف:

كان يُسمَعُ لصدر الخليل أزيزٌ من بعيدٍ من شدة خوفه.

وكذلك كان نبينا عليه السلام يصليّ وجوفه أزيزٌ كأزيز المِرْجَلِ
من البكاء^(١).

وكان إذا نزل الوحي عليه وهو على ناقته أثر فيها، فربما وتدّت يديها في
الأرض، وربما بركت لثقل الوحي^(٢):

أحسّت بنارٍ في ضلوعي فأصبحتُ يُحِبُّ بها حرّ الغرام ويُوضَعُ
تحنّينٍ إلا أنّ بي لا بك الهوى ولي لالك الإلف الخليطُ المودّعُ
وباتت تشكى تحت رحلي ضمانةً كلانا إذن يا ناق نضو مفجع^(٣)

كان الحسن^(٤) يبكي ليلاً ونهاراً ويقول: ما يؤمنني أن يكون أطلع على
بعض ذنوبي فقال: اذهب لا غفرتُ لك.

(١) قال الإمام النووي في «الرياض»: «رواه أبو داود [٩٠٤] والترمذي في «الشمال» [٣٢٣] بإسناد صحيح».

(٢) انظر: الطبقات الكبرى (١/١٩٧).

(٣) للشريف الرضي من قصيدته: أقول وما حنّت بذي الأثل ناقتي. والأبيات المختارة هي (٤، ٢، ٣). انظر: ديوانه (١/٦٥٣).

(٤) البصري، الإمام الكبير المعروف، توفي سنة ١١٠ هـ. صفة الصفوة (٣/٢٣٣).



وبكى مرة وقال: أخاف أن يطرحني في النار ولا يُبالي.

وكيف لا يقع القلقُ وقد قال قبلَ وجودِ الأعمالِ: «هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي»^(١).

ما زال الخوفُ يُفَتِّتُ أكبادَ العارفين حتى رماهم على فرش الضنى.

كان سفيان الثوري من شدة خوفه يبولُ الدم، فحُمِلَ مأوّه إلى الطبيب فقال: هذا ماء الرهبان، هذا رجلٌ قد فتَّتَ الحزنُ كبدهُ.

وحُمِلَ ماء سري السَّقْطِي إلى الطبيبِ، فلما نظرَ إليه قال: هذا بولُ عاشق. قال حاملُه: فصُعِقْتُ وغُشِيَ عليّ، ثم رجعتُ إلى سريِّ وأخبرتُه فقال: قاتله الله ما أبصره!

إذا أنا واجهتُ الصِّبا عاد برُدِّها
وَمِنْ حَرِّ أَنْفاسِي عَلَيْهِ لِهَيْبُ
وقد أكثرتُ في الأَطِّباءِ قَوْلَهُمْ
وما لي إلا أن أراكَ طبيبُ
البكاءُ دأبُّهم، والدمعُ شرايهم.

فلو رأيتهُم وعدَّاهم، ما لهم وما لهم؟

سلمتِ ممّا عاني فاستهنتِ به
لا يعرفُ الشجورَ إلا كلُّ ذي شجنٍ
شَتانَ بينَ خَلِيٍّ مُطَلِّقٍ وشَجٍ
في ربقَةِ الحَبِّ كالمصْفُودِ في قَرْنٍ
أَمْسِيَتْ يَشْهَدُ بِادٍ مِنْ ضَنِي جَسَدِي
بداخِلٍ مِنْ جَوِيٍّ فِي القَلْبِ مَكْتَمِينَ

(١) رواه أحمد في المسند (٢٩/٢٠٦).



عَلِّمْتِ بِالْهَجْرِ جَنبِي هَجَرَ مَضْجَعِهِ
وَبِالْفِرَاقِ فَوَادِي صُحْبَةِ الْحَزَنِ
يَا هَمَّ نَفْسِي فِي قُرْبٍ وَفِي بُعْدٍ
وَضَمِنَ قَلْبِي فِي حَلٍّ وَفِي ظَعْنٍ
إِنْ كَانَ يَوْجِبُ ضُرِّي رَحْمَتِي فَرَضِي
بُسُوءِ حَالِي، وَحِلُّ لِلضَّنَى بَدَنِي
مَنْحُتِكَ الْقَلْبَ لَا أَبْغِي بِهِ ثَمَنًا
إِلَّا رِضَاكَ وَوَأْفَقِرِي إِلَى الثَّمَنِ^(١)

قَوِيَ عَلَى الْقَوْمِ حَصْرُ الْخَوْفِ، فَإِذَا هَبَّ نَسِيمٌ مِنَ الرَّجَاءِ وَلَوَا
وَجَوْهَهُمْ شَطْرَهُ:

يَا طَرِبًا لِنَفْحَةِ نَجْدِيَّةٍ
أَعْدَلُ حَرَّ الْقَلْبِ بِاسْتَبْرَادِهَا
وَمَا الصَّبَا رِيحِي لَوْلَا أَنَّهَا
إِذَا جَرَّتْ مَرَّتْ عَلَى بِلَادِهَا^(٢)

الْمُحِبُّ مَحْصُورٌ بَيْنَ جِبَلِي الْخَوْفِ وَالشُّوقِ، فَهُوَ يَسْتَعِيثُ:

أَيَا جِبَلِي نَعْمَانَ بِاللَّهِ خَلِيَا
نَسِيمَ الصَّبَا يَخْلُصُ إِلَيَّ نَسِيمُهَا^(٣)
فَإِذَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ رَوْحٌ صَاحَ بِالرِّيْحِ:

نَسِيمَ الصَّبَا إِنْ زَرْتِ أَرْضَ أَحْبَبْتِي
فَخَصَّهْمُ عَنِّي بِكُلِّ سَلَامٍ
وَبَلَّغَهُمْ أَنِّي رَهِينُ صَبَابَةٍ
وَأَنَّ غَرَامِي فَوْقَ كُلِّ غَرَامٍ

(١) للحسين بن محمد البغدادي المعروف بالبارع، وأول الأبيات:

رَدِّي عَلَيَّ الْكُرَى ثُمَّ أَهْجُرِي سَكْنِي فَقَدْ قَنَعْتُ بِطَيْفٍ مِنْكَ فِي الْوَسَنِ

انظر: المنتظم (١٧/٢٥٩-٢٦٠).

(٢) لمهيار الديلمي من قصيدته: أمكنت العاذل من قيادها. انظر: ديوانه (١/٣١٦).

(٣) لقيس بن الملوح. انظر: الحماسة البصرية (٣/٩٩٤). وفيه: طريق الصبا يخلص.



وَإِنِّي لِكَفِينِي طُرُوقُ خِيَالِهِمْ لَوْ أَنَّ جَفُونِي مُتَّعَتْ بِمَنَامِ
 وَلَسْتُ أُبَالِي بِالْجَنَانِ وَبِاللِّظَى إِذَا كَانَ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ مُقَامِي
 وَقَدْ صُمْتُ عَنْ لَذَاتِ دَهْرِي كُلِّهَا وَيَوْمَ لِقَاكُمْ ذَاكَ فِطْرُ صِيَامِي

رسائل الأحابِ يحملُها في الليل بريدُ الرياح:

يَا نَفْحَاتِ الرِّيحِ مُرِّي سَحْرًا فَبَلْبِلِي طُرَّةَ أَرْضِ بَابِلِ
 صَفِي لِأَهْلِ بَابِلِ بَلَابِلِي وَبَلِّغِيهِمْ فِي الْهَوَى رَسَائِلِي
 كَمْ مِنْ دَمٍ طَاحَ بِغَيْرِ نَائِرٍ وَكَمْ قَتِيلٍ كَلَفَ بِالْقَاتِلِ!

يَا رَبَاعَ الْأَحْبَابِ:

أَيْنَ سَكَانُكَ؟

يَا مَوَاطِنَ أَوْلِي الْأَلْبَابِ:

أَيْنَ قَطَّانُكَ؟

يَا جَوَاهِرَ الْأَدَابِ:

أَيْنَ خُرَّانُكَ؟

يُطْرِبُنِي لِلْمَنَازِلِ الْيَوْمَ مَا أَسْأَرَ عِنْدِي أَيَّامَهَا الْقُدُمُ
 وَيَطْبِينِي عَلَى فَصَاحَةِ شِكْ وَآيَ إِلَيْهَا رُبُوعَهَا الْعُجْمُ
 عَلَيَّ يَا دَارَ جُهْدِ عَيْنِي وَمَا عَلَيَّ عَارٌ أَنْ تَبْخَلَ الدَّيْمُ



لَكَ الرِّضَا مِنْ جِمَامٍ أَدْمَعِهَا وَدَمَهَا إِنْ سَقَى ثَرَاكَ دُمُ
 أَمَا وَعَهْدِ الْغَادِينَ عَنْكَ وَأَشْجَا نِ بَوَاقٍ لِي فِيكَ بَعْدَهُمْ
 وَمَا أَطَالَ الْمُنَى وَأَعْرَضَ مِنْ عَيْشٍ كَأَنَّ اخْتِلَاسَهُ حُلْمُ
 هَلْ هُوَ إِلَّا أَنْ قِيلَ: جُنَّ بِهِمْ نَعَمْ عَلَى كُلِّ مَا جَنَّتْ نَعَمْ^(١)



(١) لمهيار الديلمي من قصيدته: انظر معي فهي نظرة أمم. والأبيات المختارة هي (٣-٨،
 ١١). انظر: ديوانه (٢٥٨/٣).



الفصل التاسع والعشرون

إخواني:

ماتَ أهلُ العزائم، وخلتِ الديار.

ذهبَ المحبُّون، ومُحيتِ الآثار.

ما بقيَ غيرُ قبورِ القومِ تُزار:

طلولٌ إذا دمعي شكى البَيْنَ بَيْنَهَا شكى غيرُ ذي نطقٍ إلى غيرِ ذي فَهَمٍ^(١)

واعجباً من أحياءٍ تموتُ برؤيتهم القلوبُ.

ومن قبورِ أمواتٍ تحيا بزيارتها النفوسُ!

يا صاحبيِّ سلا الأطلالَ والدِّمنا متى يعودُ إلى عُسفانَ مَنْ ظَعنا

أستودعُ اللهَ قوماً ما ذكرتهمُ إلا تحدَّرَ مِن عينيَّ ما خُزنا^(٢)

أشتاقهمُ إشتياقَ الأرضِ وإبلها والأُمَّ واحدها والغائبِ الوطن^(٣)

(١) للغزي، من قصيدته: أعافية والدار عافية الرسم، وهو آخرها. انظر: ديوانه ص ٨٠٦.

(٢) للصوري من أربعة أبيات. انظر: تاريخ بغداد (١٠-٣٦٧).

(٣) لقاضي القضاة عبيدالله بن أحمد بن معروف (ت: ٣٨١هـ) ومعه آخر له. انظر: تاريخ

بغداد (١٠/٣٦٦-٣٦٧). وفيه: أشتاقكم.

والبيتان ليسا من أبيات الصوري السابقة.



واشوقاهُ إلى تلك الوجوه.

واطرباهُ عند تلك القبور:

الله أحبابٌ نأتُ بهم أيدي النوى ففراقهم جَلُّ
القلبُ موطنهم ومسكنهم مني ومذ سكنوه ما انتقلوا
عاهدتهم لا اعتضتُ بعدهم بدلاً، وأنى منهمُ البدلُ؟^(١)

كانوا حِرْزاً لأهلِ الأرضِ يحفظونهم^(٢).

ونجوماً لأهلِ السماءِ يعرفونهم:

فقد الضياءُ بفقدهم فالصبحُ مذ رحلوا ظلامُ
واعتلَّ بعدهمُ الزما نُ فصحةُ الدنيا سقامُ
واطولَ ليلِ الصبِّ إن رحلَ الحبيبُ وإن أقام^(٣)

كانت مقاساةُ النهارِ عندهم كحصاةٍ بين خفٍّ وقدم.

(١) لعلي بن أفلح العسبي. انظر: ديوانه ص ٥٢. وثمَّ أربعة أبيات منها الأول هنا فقط.
(٢) أي يُحفظ أهل الأرض بهم، وهذا من باب حديث: «مهلاً عن الله مهلاً، فإنه لولا شيوخُ رُكَّعٌ، وشبابٌ خُشَّعٌ، وأطفالٌ رُضَّعٌ، وبهائمٌ رُزَّعٌ، لصبَّ عليكم العذاب صباً» رواه أبو يعلى في «مسنده» (٥١١ / ١١)، وقال محققه حسين سليم أسد: «إسناده ضعيف».
وانظر: رسالة السيوطي «الخبر الدال» ضمن «الحاوي للفتاوي» (٤١٧ / ٢ - ٤٣٧).
(٣) لابن المعلّم الهُرثي الواسطي من قصيدته: ما ناح في البان الحمام. انظر: ديوانه (نسخة مكة ص ٣٤١). وعجز البيت الثالث هو فيه:

واطولَ ليلِ الصبِّ إن ظعنَ الفريقِ وإن أقاموا
والقافية مضمومة، ولكنَّ الشيخ المؤلف تصرَّفَ بها أوجبَ التسكين.



وملاقاة الليل لهم قميص يوسف في أجفان يعقوب.

ينقضي الليل عنهم وما قضي لهم وطر، فإذا جمع الدجى رحله للرحيل

صاحوا به:

حسباً ولو ساعة تُروى بها مُقَلٌّ^(١)

أين الذين أصفهم.

بل أين من يعرفهم؟

خرجوا عن الدنيا ورحلوا.

وفي القلوب قبل القبور نزلوا:

ليت المطايا للنوى ما خلقت ولا حدا من الحداة أحد

على الجفون رحلوا، وفي الحشا تقيلوا، وماء عيني وردوا^(٢)

كان أكثر نفقة القوم في ظلام الدجى من كيس الدموع.

كانت عابدة من أحسن النساء عينين، فدامت على البكاء، فقيل لها:

تذهب عيناك، فقالت: إن كان لي عند الله خيرٌ فسيبدلني خيراً منها، وإن لم

يكن فوالله لا أحزن عليها:

(١) لمهيار الديلمي من قصيدته: هل في الشُّموس التي تحدى بها العيرُ. وتتمته: هيمٌ وأنت

عليها الدهر مشكورٌ. وهو البيت العاشر. انظر: ديوانه (١٠٤/٢).

(٢) للحصكفي. انظر: المنتظم (١٢٩/١٨).



قد عَلَّمَ البَيْنُ منا البَيْنَ أَجفانا
تَدْمَى وَالْأَفَّ فِي ذَا القَلْبِ أَحزانا
قد كُنْتُ أَشْفَقُ مِنْ دَمْعِي على بَصْرِي
فاليوم كُلُّ عَزِيْزٍ بعدكم هانا
تُهْدِي البوارقُ أَخلافَ المِيَاهِ لكم
وللمُحِبِّ مِنَ التذْكارِ نيرانا^(١)

استعمل القومُ الأدبَ، فصلحوا للحضور بالحضرة، فغابوا في لذة
المُنَاجاةِ عن الدنيا وأهلِها.

انهدمتُ ناحيةً من المسجدِ ومسلمٌ بنُ يسارٍ في الصلاةِ فما التفتَ:
إذا اشْتَغَلَ اللاهونَ عَنكَ بشغْلهم
جعلتُ اشْتَغالي فيكَ يا مُنتَهَى شغلي
فَمَنْ لي بِأَنَّ أَلْقَاكَ فِي سَاعَةِ الرِّضَا
وَمَنْ لي بِأَنَّ أَلْقَاكَ وَالْكَلُّ لي مَنْ لي؟
لو أَحْبَبْتَ المَخْدومَ حَضَرَ قَلْبُكَ في الخُدْمَةِ.

ويحك، هَذَا الحَدِيدُ يعشِقُ المغناطيسَ، فكيفَ التفتَ التفتَ.

إِنْ كُنْتَ ما رَأَيْتَ هَذَا الحَجَرَ، فَانظُرْ إلى الخُبْزِ الذي يُواجهُ الشَّمْسَ، فكيفَ
مَالَتْ مالٌ:

وَإِنِّي إذا اصْطَكْتُ رِقَابُ مطيِّكم
وِثورَ حادٍ بالرفاقِ عَجولُ
أُخالفُ بَيْنَ الراحِتينِ على الحشا
وَأَنْظُرُ أَنِّي ملتَمٌ فأميلُ^(٢)

(١) للمتنبى من قصيدة، والأبيات المختارة هي (١، ٧، ٨). انظر: ديوانه ص ١٨٥-١٨٦.

(٢) للشريف الرضي من قصيدته: خليلي هل لي لو ظفرت بنية. انظر: ديوانه (٢/ ٢٢١).



إذا كانت مشاهدة مخلوقٍ أثرت: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾^(١)، فكيف بألبابِ

على البابِ؟

لَهَا بِوَجْهِكَ نَوْراً تَسْتَضِيءُ بِهِ وَمَنْ نَوَالِكَ فِي أَعْقَابِهَا حَادِي
لَهَا أَحَادِيثٌ مِنْ ذَكَرِكَ تَشْغَلُهَا عَنِ الشَّرَابِ^(٢) وَتُلْهِمُهَا عَنِ الزَّادِ^(٣)

امتلاَّتْ أَسْمَاعُ الْقَوْمِ مِنْ عِتَابِ «كَذَبَ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّتِي، فَإِذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ
نَامَ عَنِّي»، فَحَلَفْتُ أَجْفَانَهُمْ عَلَى جَفَاءِ النُّومِ:

إِنْ كَانَ رِضَاكُمْ فِي سَهْرِي فَسَلَامُ اللَّهِ عَلَيَّ وَسَنِي^(٤)

كان بشر^(٥) لا ينام الليل يقول: أخاف أن يأتي أمر الله وأنا نائم:

رَقَدَ السَّمَارُ وَأَرْقَهُ هَمٌّ لِلْبَيْنِ يُرَدِّدُهُ
فَبَكَاهُ النَّجْمُ وَحَقَّ لَهُ مَمَّا يَرَعَاهُ وَيُرْصِدُهُ
وَعَدَاً يَقْضِي أَوْ بَعْدَ عَدٍ هَلْ مِنْ نَظَرٍ يَتَزَوَّدُهُ
يَهْوَى الْمَشْتَاقُ لِقَاءَكُمْ وَضُرُوفُ الدَّهْرِ تُقَيِّدُهُ^(٦)

(١) من سورة يوسف، الآية ٣١.

(٢) في الأصل: الطعام. سهو من المؤلف.

(٣) لابن أبي حفصة. انظر: ديوان المعاني (٦٣/١) باختلاف ألفاظ.

(٤) لعبد الغافر السروستاني (كان حياً سنة ٥٤٦ هـ) من أبيات. انظر: المستفاد ص ٣٠١.

(٥) بشر بن الحارث الحافي، إمام معروف كبير الشأن، توفي ببغداد سنة ٢٢٧ هـ. صفة الصفوة (٣٢٥/٢).

(٦) لعلي بن عبد الغني الفهري الضير (ت: ٤٨٨ هـ). انظر: الكشكول (١/٢١١)، ومقدمة زكي مبارك لـ: «زهر الآداب» (١/٦-٧)، و«الأعلام» (٤/٣٠٠).



يَا مَخْنَثَ الْعَزْمِ:

أَيْنَ أَنْتَ وَالْقَوْمُ؟!

سَبِيلُ نَصَبٍ فِيهِ آدَمُ.

وَنَاحٍ لِأَجْلِهِ نُوحُ.

وَرُؤْمِي فِي النَّارِ الْخَلِيلُ.

وَأُضْجِعَ لِلذَّبْحِ إِسْحَاقَ^(١).

وَبِعَ يُوْسُفُ بِدَرَاهِمِ.

وَذَهَبْتُ مِنَ الْبِكَاءِ عَيْنُ يَعْقُوبَ.

وَنُشِرَ بِالْمِشْأَرِ زَكَرِيَّا.

وَذُبِحَ الْحِصُورُ يَحْيَى.

وَضُنِّي بِالْبَلَاءِ أَيُّوبَ.

وَزَادَ عَلَى الْمَقْدَارِ بِكَاءُ دَاوُدَ.

(١) القول بأن إسحاق هو الذبيح قاله ابن عقيل الحنبلي من قبل. انظر: المنتظم (١٧ / ٣٠)، وأعمار الأعيان ص ١٢، والذيل على طبقات الحنابلة (١ / ١٦٥) ط الفقي. ونسبه المؤلف إلى أصحابهم. انظر: زاد المسير (٧ / ٧٢).
والراجع أنه إسماعيل. والمؤلفات في ذلك كثيرة، وراجع الملحق.



وَتَنَعَّصَ فِي الْمَلِكِ عَيْشُ سُلَيْمَانَ.

وَتَحْيِيرَ بَرْدٍ ﴿لَنْ﴾^(١) مُوسَى.

وَهَامَ مَعَ الْوَحُوشِ عَيْسَى.

وَعَالَجَ الْفَقْرَ مُحَمَّدٌ:

فِيَا دَارَهُمْ بِالْحَزَنِ إِنَّ مَزَارَهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالٌ^(٢)

هَذِهِ الْجَادَةُ فَأَيْنَ السَّالِكُ؟

هَذَا قَمِيصُ يُوسُفَ فَأَيْنَ يَعْقُوبُ؟

هَذَا طُورُ سَيْنَا فَأَيْنَ مُوسَى؟

يَا جُنَيْدُ احْضُرْ.

يَا شَبْلِي اسْمَعْ:

بِدَمِ الْمُحِبِّ يُبَاعُ وَصَلُهُمْ فَمَنْ الَّذِي يَبْتَاعُ بِالسَّعْرِ؟



(١) من سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

(٢) لأبي العلاء المعري من قصيدته: مغاني اللوى من شخصك اليوم أطلال. انظر: سقط

الزند ص ٤٩٩، وفيه: فيا دارها.



الفصل الثلاثون

إخواني:

إذا ذكرنا ذنوبنا يُسنا.

وإذا تفكّرنا في عفوهِ أنسنا:

إني لأذكركم فتذهبُ عليّ عني وأذكرُ صدّكم فتعودُ

والله لا علقَ الفؤادُ بغيركم ما دام في الشجرِ المورّقِ عودُ^(١)

كان القومُ إذا غلبَ عليهم الخوفُ تمّنوا عدمَ الوجودِ، وإذا قويَ الرجاءُ انبسطَ اللسانُ.

قال يحيى بنُ معاذ^(٢): لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك.

ما زالوا يصابرون حرَّ الخوفِ حتى انقلبَ الهواءُ في الجوِّ، على أن الرجاءَ تقوية^(٣) لنفسِ المريض، وإلا فجمهورٌ أحوالهم مخافةٌ.

إخواني:

العروسُ تلبسُ عند العرضِ تحتَ الثيابِ شعارَ الخوفِ من الردِّ، وفوقَ الثيابِ حلةَ الانكسارِ، وحمرةُ الخجلِ تُغنيها عن حمرةٍ لأنها لا تدري على ماذا تقدّم، فكيف يسكنُ مَنْ لا يعلمُ العواقبَ؟

(١) للزبير بن بكار. انظر: معجم ابن المقرئ، الرقم (١٢٤٢).

(٢) عابد زاهد من أهل الري، توفي سنة ٢٥٨هـ. صفة الصفوة (٤/ ٩٠).

(٣) لم تنقط في الأصل، فلعلها كذلك.



لا حيلة سوى التضرع.

لا ملجأ غير القلق:

قلت للحبِّ في مناجاة ليل: يا حبيبي ألقيني كُلِّ ملقى
ثم عندي على هواك شهودٌ أدمعٌ مستهلةٌ ليس ترقا
ثم سل عن أضعالي زفاتٍ ما تُلاقي من حرهنَّ وألقى
أنت أتلقتَ جلَّ قلبي بالهجر رِ فُصنُ بالوصال ما قد تبقى^(١)

لأبدٍ من أنينٍ مُبتلى، وتنفسٍ مخنوق:

يا حبيباً ليس لي منه هـ سوى هجري ويا سي
كم أقاسي منك ما يُمرضُ قلبي كم أقاسي؟
والذي تحكمُّ محمولٌ على عيني وراسي

لما أعيت القومَ الحيلَ استراحوا إلى البكاء.

قيل لبعض العباد: كم تبكي؟ فقال: إذا لم أبك فما أصنع؟!!

مَا كَانَ يَقْرَأُ وَأَشِ سَطَرَ كَتَمَانِي لَوْ أَنَّ دَمْعِي لَمْ يَنْطِقْ بِتَبْيَانِ
مَاءٌ وَلَكِنَّهُ ذَوْبُ الهمومِ وَهَلْ مَاءٌ تُوَلِّدُهُ نِيرَانُ أَحْزَانِ؟
لَيْتَ النوى^(٢) إِذْ سَقْتَنِي سَمَّ أَسْوَدِهَا سَدَّتْ سَبِيلَ امْرِئٍ فِي الْحَبِّ يَلْحَانِي

(١) للسراج باختلاف ألفاظ كثيرة. انظر: مصارع العشاق (٢/ ٨١)، وشعر السراج البغدادي ص ٨٩-٩٠.

(٢) في الأصل: الهوى. وهو سهو من المؤلف. وقد جاء على الصواب في كتابه: «التبصرة» (١/ ٣٩١)، و«المدحش» (٢/ ٦٨٣).



قد قلتُ بالجزع لما أنكروا جزعي: ما أبعَدَ الصَّبْرَ مِنَّ شَوْقُهُ دَانَ؟!
عُجْنَا عَلَى الرَّبِيعِ نَسْتَسْقِي لَهُ مَطْرًا وِفَاضَ دَمْعِي فَأَرَوَاهُ وَأَظْهَانِي
العَارِفُ غَائِبٌ عِنْدَ ذِكْرِ الدُّنْيَا.
وَحَاضِرٌ عِنْدَ ذِكْرِ الْجَنَّةِ.

وطائشٌ عندَ ذِكْرِ الحَبِيبِ:
وَعَدُوهُ اللِّقَاءِ يَوْمَ النَّفْرِ أَيُّ يُسْرِ قَدَ بَرَقَعُوهُ بَعْسِرِ؟
فَتَّشَوَالِي قَلْبًا فَقَدْ ضَاعَ قَلْبِي وَأُرُونِي صَبْرًا فَقَدْ عَيْلَ صَبْرِي
هَلْ حَيَاةٌ لَدَيْكُمْ لِأَسِيرِ الـ حَبِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ فَكَأَكُ الْأَسْرِ؟
أَهْ مِنْ رَامَةٍ وَمَا يُجْلِبُ التَّأ وَيَهْ لِلْمُسْتَهَامِ غَيْرِ الذِّكْرِ^(١)
المَحْبُ يُحْضِرُ المَجْلِسَ مُوثِقًا بِقَيْودِ الهمم^(٢)، فَإِذَا ذُكِرَ الحَبِيبُ قَطَّعَ السَّلَاسِلَ.

إِنَّ مَدَارَةَ قَيْسٍ^(٣) تَمَكَّنُ، وَلَكِنْ لَا مَعَ ذِكْرِ لَيْلِي:
رَمَتْ بِالْحِمَى أَبْصَارَهَا مَطْمَئِنَّةً فَلَمَّا بَدَتْ نَجْدٌ وَهَبَّتْ جُنُوبُهَا
بَخِلْنَا عَلَيْهَا بِالْبُرَى فَتَقَطَّعَتْ وَقَلَّ لِنَجْدٍ لَوْ تَفَرَّتْ قَلُوبُهَا^(٤)

(١) لابن المعلّم الهُرثي الواسطي مِنْ قصيدة. والأبيات المختارة هي (١، ٣، ٧، ١٦). انظر: ديوانه (نسخة مكة ص ٥٩-٦٠).

(٢) كأنها كذلك.

(٣) قيس بن الملوّح الشاعر المتيّم المشهور. انظر: ترجمته في الأعلام (٥/٢٠٨)، وقد أُرِخ وفاته بسنة ٦٨ هـ.

(٤) للخفاجي. انظر: ديوانه ص ٤٠٣، والمدهش (٢/٦٨٤).



مَنْ سَمِعَ ذَكَرَ الْحَبِيبِ وَلَمْ يَنْزُ قَلْبُهُ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ فَهُوَ مُدَّعٍ:
 إِذَا ذُكِرَ الْمَحْبُوبُ عِنْدَ مَحَبِّهِ^(١) تَرْنَحُ نَشْوَانٌ وَحَنَّ طَرُوبٌ
 إِذَا قِيلَ مَيِّ لَمْ يَسْعِنِي لِذِكْرِهَا حِيبَاءٌ وَلَمْ يَجْبَسْ بُكَايَ رَقِيبُ^(٢)
 تَمَكَّنَ الْحُبُّ مِنْ حَبَّاتِ قُلُوبِهِمْ، فَأَخْرَجَهُمْ إِلَى الْوَلِهِ، فَلَوْ رَأَيْتُمُوهُمْ
 لَقُلْتُمْ مَجَانِينَ:

قَدْ لَجَّ بِي الْغَرَامُ حَتَّى قَالُوا: قَدْ جُنَّ بِهِمْ وَهَكَذَا الْبَلْبَالُ
 الْمَوْتُ إِذَا رَضِيتَهُ سَلْسَالُ فِي مِثْلِ هَوَاكَ تَرْخُصُ الْأَجَالُ
 كَانَتْ رَابِعَةٌ تَقُولُ: لَقَدْ طَالَتْ عَلَيَّ الْأَيَّامُ بِالشُّوقِ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى:
 أُمِرْتُ عَنْكَ بِصَبْرٍ وَلَيْسَ لِي عَنْكَ صَبْرُ
 يَا أَمْرِي بِالتَّسْلِي مَا لِي مَعَ الشُّوقِ أَمْرُ^(٣)

كَمْ بِالْغَوَا فِي كِتْمِ الْحَالِ؟! وَسَتْرُ الْحُبِّ مُحَالُ:
 ذَكَرْتَكُمْ عِنْدَ الزُّلَالِ عَلَى الظَّمَا فَلَمْ أَنْتَفِعْ مِنْ وَرْدِهِ بِبِلَالِ
 وَحَدَّثْتُ نَفْسِي بِالْأَمَانِيِّ عَنْكُمْ وَلَيْسَ حَدِيثُ النَّفْسِ غَيْرُ ضَلَالِ

(١) الصدر في الديوان (٤٣/١): وغناك أقوام بوصف مناقبي.

(٢) لمهيار الديلمي من قصيدته: هوى لي وأهواء النفوس ضر وب. انظر: ديوانه (٤١/١)،
 والمدهش (٦٨٥/٢).
 ونص البيت فيهما:

إذا قيل: مي لم يرعني بحلمه حياء....

(٣) لمحمد بن الحسن الأقساسي العلوي (ت: ٤١٥ هـ) من أربعة أبيات في غلام. انظر:
 المنتظم (١٦٨/١٥).



يقرُّ بعيني الركبُ من نحوِ أرضكم يُزجّون عيساً قيّدتُ بكلالِ
أسائلُ عمَّن لا أريدُ وإنَّما أريدكمُ من بينهم بسؤالِ
ويعثرُ ما بين الكلامِ ورجعه لساني بكم حتّى ينمَّ بحالي
وأطوي على ما تعلمونَ جوانحي وأظهرُ للعذالِ أنِّي سالي^(١)

كلّما جاء كلامي صعد.

كلّما زدتُ في الوقودِ، فاحت ریحُ العود.

أفيكم مستنشقٌ، أو كلّكم مزكومٌ؟!

«إني لأجدُ نفسَ الرّحمنِ من قبَلِ اليمنِ»^(٢):

ألا يا نسيمَ الرّيحِ مالِكُ كلِّما تجاوزتَ ميلاً زادَ نشركَ طيباً؟
أظنُّ سُليمي حُبرّتُ بسقامينا فأعطتك رياها فجئتَ طيباً



(١) للحسين بن علي الطغرائي. انظر: ديوانه ص ٣١٧-٣١٨، والمستفاد ص ٢٢٦، ومعجم

الأدباء، ترجمة علي بن نصر الفندروجي (٥ / ١٩٨٥). وثمَّ اختلافٌ في لفظين.

(٢) قال العراقي: أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة في حديث قال فيه: «وأجد نفس ربيكم

من قبل اليمن» ورجاله ثقات. انظر: حاشية «المصنوع» للقراري لزماماً ص ٦٩-٧٠.



الفصل الحادي والثلاثون

يا أصحاب الأنفة من الرذائل:

الدنيا مزبلة، وإيثارُ المزبلة به.

ويحكم، مَنْ تعلق قلبه بالجنة لم يصلح للمحبة، فكيف بمن يهوى

الدنيا؟!!

ما السليم من الخطايا كالمجروح.

قال وهب^(١): أوحى الله تعالى إلى داود: ارفع رأسك، فقد غفرت لك

غير أنه ليس عندي ذلك الود الذي كان:

أردناكم صرْفاً فلما مزجتُم بعدتُم بمقدار التفاتكم عنَّا

وقلنا لكم: لا تُسكنوا القلب غيرنا فأسكنتم الأغيار ما أنتم منَّا

يا هذا:

صلاَّتكَ صورة.

وتوبتكَ على طرفِ اللسان.

وبناؤك على رملٍ.

(١) ابن منبه الصنعاني، تابعي، توفي سنة ١١٠هـ. صفة الصفوة (٢/ ٢٩١).



إنما ينبغي أن تضع الأساس على أرض العزم الحرة.

ويحك، أحكم شدّ الزقاقِ تحت «الكلك»، واحمل عليه حجارةً:

وعهودهم بالرَّمْلِ قد نُقِضَتْ وكذلك ما يُبْنَى على الرَّمْلِ^(١)

كم تعبتِ الخُطَا في الخُطَا؟

كم ضيعتَ الزَّمنَ بما أوجبَ الزَّمنَ:

ما ضاعَ من أيامنا هل يُغرَمُ؟ هيهات والأزمانُ كيف تُقوّمُ؟
يَوْمٌ بأرواحٍ يُباعُ ويُشترى وأخوه لیس يسامُ فيه دَرهمُ
لي وَقْفَةٌ في الدَّارِ لا رجعتُ بها أهوى ولا يَأسي عليها يُقدِّمُ
وَكفَّاكَ أَنِّي للنوائبِ عاتبٌ ولصمَّ أحجارِ الدِّيارِ مُكَلِّمُ
وَإِذا البليغُ شكَا إِلَيْها بثُّه عَبَثاً فَمَا بَالُ المطايا تُرزمُ؟
كلُّ كنى عَن شوقه بلُغاته ولربَّما أبكى الفصيحَ الأعجمُ
ترجُو سُلوكَ في رسومِ بَيْنها الـ أغصانُ سَكْرَى والحمامُ مُتيمُ
هذي تَميلُ إِذا تنسَمَتِ الصَّبَا والورقُ تذكُرُ شجوها فترنمُ^(٢)

(١) لصردر من قصيدته: شدوا على ظهر الصبار حلي. انظر: ديوانه ص ١٥٥. وفيه:
وعهودكم. من يبنني.

وقد مرّت أبياتٌ من هذه القصيدة في الفصل (١٧).

(٢) لصردر من قصيدة. انظر: ديوانه ص ٣٤-٣٥. وفيه: والورق تذكر إلها فترنم.



يا أصحاب الذنوب:

أَبَقَتِ اللَّذَاتُ، وَأَبَقَتِ الْحَسَرَاتِ.

لِقَمَّةٍ وَاحِدَةٍ تَنَاوَلَ آدَمُ أَخْرَجَتْهُ فَأَخْرَجَتْهُ.

مَدَّ يَدَهُ إِلَى بَعْضِ الْعَنَاقِيدِ وَإِذَا بِهِ فِي الْعَنَاقِيدِ، فَكَلَّمَا شَامَ بَرَقَ الْمَلَائِكَةُ

مِنْ دِيَارِ الْحَبِيبِ قَطَعَ نَفْسُهُ الْحِيَازِمَ:

آهٍ لِبَرَقٍ لَمَعَا ماذا بقلبي صنعا؟

أَيَقْظُ مَنِي لِلْغَرَا مِ مُسْتَهَامًا مُوجَعَا

فَبَتُّ مِنْ إِيْمَاضِهِ أَسْكُبُ دَمْعِي دُفْعَا

يَا بَرَقُ إِمَّا تَرِينُ نِي لِلصَّنِيعِ مَوْضِعَا

فَحِيَّ عَنِّي أَرْبُعَا أَكْرِمُ بِهِنَّ أَرْبُعَا

يَا نَاطِرًا أَفْسَمَ مِنْ بَعْدِ النَّوَى: لَا هَجَعَا

كَبَّرَ مَنْذُ فَرَقَهُمْ عَلَى الرَّقَادِ أَرْبُعَا

يَا كَبِدًا قَطَعَهَا يَبِينُ الْحَبِيبِ قِطْعَا

حَمَلٌ وَجَدِي جَلْدِي أَكْثَرَ مِمَّا وَسِعَا^(١)

(١) للحسين بن محمد البغدادي المعروف بالبارع من قصيدة. والأبيات المختارة هي (١، ٣، ٤، ٧، ٨، ١٣، ١٤، ٢٠، ٣٣). انظر: خريدة القصر - القسم العراقي (ج ٣ مج ١ ص ٧٨ -

٨٠). وشم تصرّف في موضعين.



وشى العدو بين الحبيب والمحبوب، فأثمرت الحال البعد:
 يامن يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم
 إن كان سرركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم أم^(١)
 قيل له: يا آدم ما أكثر هذا البكاء؟

فأجاب بلسان حاله:

عودوني الوصال والوصل عذب ورموني بالصد، والصد صعب^(٢)
 ما كان سبب سكون آدم إلا أنه قال: يا رب إن تبت وأصلحت أراجعي
 أنت إلى الجنة؟ فليل له: نعم^(٣):

وإنا لنرضى أن تصدوا وتقربوا فردوا لنا ذاك الوصال كما كانا
 هو الوجد أرضانا بأدنى نوالكم وأقصى منانا أن تقارب أرضانا
 إذا ما ادعينا سلوة عن هواكم جرى الدمع منهلاً فكذب دعوانا
 فليت الوشاة حين رقت حديثنا إليها دموع العين رقت لبلوانا
 وكنا نغطي وهو دان غرامنا ونستر ما نلقى فقد بان مذ باننا
 فليت نسيم الريح حمل عرفهم فأداه أحياناً إلينا فأحياناً^(٤)

(١) للمتنبى من قصيدته: واحر قلباه من قلبه شيم. والبيتان المختاران هما (٢٥، ٢٧). انظر: ديوانه ص ٣٤٤.

(٢) للشبلي. انظر: ديوانه ص ٨٥.

(٣) انظر: البداية والنهاية (١/١٢٦-١٢٧).

(٤) لابن حيوس من قصيدته: عداكم هوى مذ شفنا ما تعدانا. انظر: ديوانه (٢/٦٦٣).



لو وُزِنَ بكاءُ آدمَ ببكاءِ أولاده لرجحَ.

وكيف لا يبكي طائرُ الفهمِ على طيبِ العُشِّ، وحلاوةِ العيشِ؟!

إنما محنةُ آدمَ أنه لم يكن له مُساعدٌ على الحزنِ:

هلُ مجابٌ يدْعُو مُبَدِّدَ أوطا ري بِجَمْعِ يَرُدُّ أَيَّامَ جَمْعِ؟
 أو أَمِينُ القُوَى أَحْمَلُهُ هُمُ ماً ثَقِيلاً يُحِطُّهُ دُونَ سَلْعِ؟
 فافْرَجَا لي عَن نَفْحَةٍ مِنْ صَبَاهُ طَالَ مَدْيِ لَهَا الصَّلِيفِ^(١) وَرَفْعِي
 إِنَّ ذَاكَ النِّسِيمَ يَجْرِي عَلَى أَرِ ضِ نِراها في الرِّيحِ رُقِيَةً لَسْعِي
 كم زفيرٍ علِّمْتُ مِنْهُ حَمَامَ الدِّ سَبانٍ ما كانَ مِنْ حَنِينٍ وَسَجْعِ^(٢)

كان إذا تذكَّرَ الرَّبْعَ حَنَّ.

وإذا تفكَّرَ في البُعْدِ أَنْ.

وإذا جنَّ عليه الليلُ أظهرَ ما أجنَّ.

قُطِعَ عليه رضاعُ الوصالِ فلم يتهنَّ:

وبجرعاءِ الحِمَى قَلْبِي فَعُجْ بِالْحِمَى واقْرَأْ على قَلْبِي السَّلَاما
 وترجَّلْ فتحدَّثْ عَجَباً أَنْ قَلباً سارَ عَن جِسمِ أَقاما

(١) صفحة العنق.

(٢) لمهيار الديلمي من قصيدته: ملٌ معي لا عليك ضرِّي ونفعي. والأبيات المختارة هي

(٦، ٧، ٩، ١٠، ١٩). انظر: ديوانه (٢/ ٢٣٣). وفي الديوان: وزفير، لأن الذي قبله:

كم بنجدٍ ولو وفي أهل نجد لفؤادي من شعبة أو صدع



طِيبِ عَيْشٍ بِالْغُضَا لَوْ كَانَ دَامَا قَلْ لَجِيرَانَ الْغُضَا: آهٍ عَلَى
 قَبْلَ أَنْ تَحْمَلَ شَيْحًا وَثَمَامَا حَمَلُوا رِيحَ الصَّبَا نَشْرُكُمُ
 إِنْ أَدْنَتْكُمْ لِحُفُونِي أَنْ تَنَامَا^(١) وَابْعَثُوا أَشْبَاحَكُمْ لِي فِي الْكُرَى

يا آدمُ إلى كم هذه الاستغاثة؟

قال بلسانِ حاله:

عَلَى بُعْدِكَ لَا يَصِبُ رُمْ مِنْ عَادَتِهِ الْقُرْبُ
 وَلَا يَقْوَى عَلَى حَجْبِ كَ مَنْ تَيَّمَهُ الْحَبُّ
 فَمَهْلًا أَيُّهَا السَّاقِي فَقَدْ أُسْكِرَنِي الشُّرْبُ
 فَإِنْ لَمْ تَرَكَ الْعَيْنُ فَقَدْ يَشْهَدُكَ الْقَلْبُ^(٢)



(١) لمهيار الديلمي من قصيدته: بكر العارض تحدوه النعامي. والأبيات المختارة هي (١٧) -

١٩، ٢١، ٢٢). انظر: ديوانه (٣/٣٢٧).

(٢) انظر: مصارع العشاق (١/١٨٩-١٩٠) وليس فيه البيت الثالث.



الفصل الثاني والثلاثون

أيها المُقَصِّرُ عن طلبِ المراد:

كيف تدركُ المعاليَ بغيرِ اجتهاد؟

أين أهلُ السَّهرِ من أهلِ الرُّقاد؟

أين الراغبون في الدنيا من الزُّهاد؟

يا قلبُ ما أنتَ من نَجْدٍ وساكنه
أهفو إلى الركبِ تعلو لي ركائبُهُمْ
تفوحُ أزواحُ نَجْدٍ من ثيابِهِمْ
يا راكبانِ قفايَ فاقضيا وطري
هل رَوَّضتُ قاعةَ الوعساءِ أم مُطِرتُ
أم هل أبيتُ ودَارَ عِنْدَ كاظمةٍ
فلم يَزالا إلى أنْ نمَّ بي نَفْسِي
من طلبِ المعالي سهرَ الليالي.

من أحبَّ العافيةَ لم يُخلَطْ.

لولا صبرُ المُصمِّرِ على قلةِ العلفِ ما سُمِّيَ سبَّاقاً:

(١) للشريف الرضي من قصيدة. انظر: ديوانه (١/٥١٧).



سَقَمِي فِي الْحُبِّ عَافِيَتِي وَوَجُودِي فِي الْهَوَى عَدَمِي
وَعَرَامٌ تَرْتَضُونَ بِهِ فِي فَمِي أَحْلَى مِنَ النَّعْمِ^(١)

لَمَّا كَانَ الْجُوعُ سَبَبَ السَّهْرِ [...] [٢].

لَمَّا كَانَ اللَّيْلُ زَمَانَ الْمُنَاجَاةِ أَحْبُّوهُ.

ثُمَّ تَعَدَّتْ مَحَبَّتُهُمْ إِلَى أَمَاكِنِ الْخُلُوتِ فَاشْتَاقَتْ الْأَمَاكِنُ إِلَيْهِمْ:
« اسْكُنْ حِرَاءً »^(٣):

أَحْسِبَا الرِّكْبَ بُوَادِي سَلَمٍ فَبِذَاكَ الْمُنْحَى طُلَّ دَمِي
وَأَنْشُدَا قَلْبِي فِي سَكَّانِهِ فَمِنَ السُّكَّانِ أَشْكُو أَلْمِي
أَخْذُوا الْقَلْبَ وَأَبْقُوا جَسَدِي فَوْجُودِي بَعْدَهُ كَالْعَدَمِ
صِلْ مَحَبًّا جَفْنُهُ لَمْ يَنِم وَابْلَائِي إِنَّ خَضَمِي حَكَمِي

وَاعْجَبًا لِلْمَحَبِّ يَسْتُرُ ذَكَرَ الْحَبِيبِ بِذِكْرِ الْمُنَازِلِ، وَمَا يَخْفَى عَلَى السَّمَاعِ
مَقْصُودُهُ: « أَحَدٌ جَبَلٌ يَجْبِنَا وَنُحِبُّهُ »^(٤):

أَلَا سَقَمِي كَاسَاتِ دَمْعِي وَغَنَمِي بِذِكْرِ سُلَيْمِي وَالرَّبَابِ وَتَكْتَمِ^(٥)
وَإِيَّاكَ وَاسْمَ الْعَامِرِيَّةِ إِنَّنِي أَعَارُ عَلَيْهَا مِنْ فَمِ الْمُتَكَلِّمِ

(١) يُنْسَبَانِ إِلَى الْحَلَاجِ. انظُرْ: نَفْحُ الطَّيْبِ (٥/٥٩٨).

(٢) كَلِمَةٌ مَسْحُوحَةٌ، وَيُصَحَّحُ أَنْ نَقُولَ: أَلْفُوهَ.

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٤١٧).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٤١١)، وَمُسْلِمٌ (١٣٩٢).

(٥) فِي «الْمَدْهَشِ» (٢/٥١٠): تَنَعَمُ. اسْمُ بَصِيغَةِ الْفَعْلِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقْرَأَ: تُكْتَمُ.



كَانَ قَيْسٌ إِذَا رَحَلَتْ لَيْلَى يَتَعَلَّلُ بِالْآثَارِ، وَيَسْتَشْفِي بِالدَّمَنِ، وَيَسْتَنْشِقُ
الصَّبَا، وَيَشِيمُ بَرَقَ دِيَارِهَا:

أَقْتُلْ أَدْوَاءَ الرَّجَالِ الْوَجْدُ تَوَقَّ نَجْدًا فَالْغَرَامُ نَجْدُ
إِنَّ الصَّبَا إِذَا جَرَتْ قَادِحَةً نَارَ الْغَرَامِ فَفَوَادِي الزَّنْدِ
تُعْدِي الْمُحِينَ الصَّبَا^(١) كَاتِمًا هَا عَلَى أَهْلِ الْغَرَامِ حِقْدُ
لَا تَتَلَقَّ نَفْحَةً نَجْدِيَّةً هَزَلًا فَهَزُلُ النَّفْحَاتِ جِدُّ
كَيْفَ بَرِّي وَالطَّيِّبُ مُرْضِي يَصُدُّ وَالذَّاءُ الْعُضَالُ الصَّدُّ؟^(٢)
أَشَدُّ مَا يُزْعَجُ الْمَهْجُورَ النِّيَاحَةُ.

وَأَطِيبُ لُغَاتِ النَّوَاحِ عِنْدَ الْقَوْمِ صَوْتُ الْحَمَامِ:

كَادَ يَبْكِي أَوْ بَكَى جَزَعًا مِنْ حَمَامَاتٍ بَكِينَ مَعَا
ذَكَرْتُهُ عَيْشَةً سَلَفَتْ قَطَعْتُ أَنْفَاسَهُ قِطْعًا^(٣)

وَاعْجَبًا لِلْمُحَبِّ يُقْلِقُهُ صَوْتُ الْحَمَامِ، وَهُوَ يُجِبُّهُ!

الْحَمَامُ جَلِيسٌ مُسْعِدٌ، لَكِنَّهُ يُفْشِي سِرَّ الْمُشْتَاقِ:

لِي بِذَاتِ الْبَانِ أَشْجَانُ حَبْدًا مِنْ أَجْلِهَا الْبَانُ
حَبْدًا وَرُقُ الْحَمَامِ إِذَا رَنَّحَتْهَا مِنْهُ أَغْصَانُ

(١) فِي الْأَصْلِ: الضَّنَا، وَفِي «مِرَاةِ الزَّمَانِ»: الصَّبَا. وَاللَّفْظَةُ كَذَلِكَ فِي «كَشْفِ الْحَقَائِقِ»
(الْوَرَقَةُ ١٠٧).

(٢) لِابْنِ الْمَعْلَمِ الْهَرَثِيِّ الْوَاسِطِيِّ. انظُرْ: دِيَوَانَهُ (نَسْخَةُ مَكَّةَ). وَقَدْ نَسَبَهَا سَبْطُ ابْنِ الْجَوْزِيِّ
فِي «مِرَاةِ الزَّمَانِ» (١١١/٢٢) إِلَى جَدِّهِ. وَهَذَا خَطَأٌ، وَكَأَنَّهُ سَمِعَهُ يَتِمَثَّلُ بِهَا فُظِّنَهَا لَهُ.

(٣) أَنْشَدَهُمَا ابْنُ دَرِيدٍ. انظُرْ: أَمْالِي الْقَالِي (١/١٣٣).



داعياتٌ بالهديلِ لها
 أعجمياتٌ إذا نطقتُ
 كلما غنّيني هزجاً
 مآل بي ميلَ الغصونِ بها
 يآحمامِ البانِ يجمعنا
 بُحنَ بالشكوى إليّ فما
 يتشاكى الواجدونَ جوىً
 أنا مخلصُ القرينِ وأند
 وبعيدُ الدارِ عنِ وطني
 كان لي صبرٌ أدلُّ به
 أنا من حَرِّ الغرامِ إلى
 جنبِ الناديِ فإنَّ به
 وأنزلِ الواديِ بأيمنه
 وارمِ بالطرفِ العقيقِ فلي
 فيه أسجاعٌ وألحانُ
 لئسَ إلا الشوقَ تبيانُ
 هاجني للذكرِ أحزانُ
 طربي فالكلُّ نشوانُ
 وجدنا إذ نحنُ جيرانُ
 بين أهلِ العشقِ كتانُ
 واحداً والوجدُ ألوانُ
 تُن أزواجٍ وأقرانُ
 ولكنَّ البانُ أوطانُ^(١)
 بانَ ذاكِ الصبرِ مذ بانوا
 برِّدِ ذاكِ الوصلِ صديانُ
 تقنصُ الآسادَ غزلانُ
 إنه بالدمعِ ملانُ^(٢)
 ثمَّ أوطارٌ وأشجانُ

(١) من الأول إلى هنا، ثم بزيادة البيتين الأخيرين ذكرها المؤلف في «المدهش»، الفصل (٤٧)،
 (٢/٤٩١-٤٩٢)، و«اللفظ»، الفصل (٤)، وفيها هناك بعد البيت الأول:

حَبْدًا رِيَّاهُ يوقِظُهُ
 مِنْ نَسِيمِ الفَجْرِ رِيَّعَانُ

(٢) من هنا إلى الأخير - عدا: آه من داء - ذكرها المؤلف في «المدهش»، الفصل (٣)،
 (١/٢٦٠).



وَأَنْشِدِ الْقَلْبَ الْمَشُوقَ عَسَى
 وَإِرْجِعُ الْمَفْقُودَ نُشْدَانُ
 وَأَبِكْ عَنِّي مَا اسْتَطَعْتَ إِذَا
 مَا بَدَا لِلطَّرْفِ نَعْمَانُ
 أَقْرِهِ عَنِّي السَّلَامَ فَسُكِّ
 أَنْ قَلْبِي فِيهِ سُكَّانُ
 آهٍ مِنْ دَاءٍ أُكَاتِمُهُ
 وَالْهَوَى سِرٌّ وَإِعْلَانُ
 لَا تَزِدْنِي يَا عَذُولُ جَوَى
 أَنَا بِالْأَشْوَاقِ سَكْرَانُ



الفصل الثالث والثلاثون

يا مَنْ كَانَ لَهُ مَعَنَا وَقْتُ فَتَكَدَّرَ.

وَكَانَ يَخْدُمُنَا بِقَلْبٍ فَتَغَيَّرَ:

مَا كَانَ أَطِيبَ زَمَنَ الْوَصَالِ.

مَا أَسْرَعَ مَا اسْتَحَالَ الْحَالُ!؟

كِرَائِمَ الْمَالِ مِنْ خَيْلٍ وَمِنْ نَعَمٍ
 مَاضٍ مِنَ الْعَيْشِ لَوْ يُفَدَى بِذَلَّتْ لَهُ
 فَهَلْ لِي الْيَوْمَ إِلَّا زَفْرَةُ النَّدَمِ؟
 لَمْ أَقْضِ مِنْهُ لِبَانَاتٍ ظَفِرْتُ بِهَا
 لَمْ أَنْسَهُنَّ وَمَا بِالْعَهْدِ مِنْ قَدَمٍ
 رُدُّوا عَلَيَّ لِيَايِيَّ الَّتِي سَلَفَتْ
 ذِقِ الْهَوَى وَإِنْ اسْطَعْتَ الْمَلَامَ لَمْ
 أَقُولُ لِلْأَتَمِ الْمُهْدِي مَلَامَتَهُ:
 إِلَّا بَكَيْتُ لِيَالِينَا بِذِي سَلَمٍ
 مَا سَاعَفْتَنِي اللَّيَالِي بَعْدَ عَهْدِهِمْ
 إِلَّا ذَكَرْتُ هَوَى أَيَامِنَا الْقُدَمِ
 وَلَا اسْتَجَدَّ فُؤَادِي فِي الزَّمَانِ هَوَى
 لَا تَطْلُبَنَّ لِي الْأَبْدَالَ بَعْدَهُمْ
 فَإِنَّ قَلْبِي لَا يَرْضَى بغيرِهِمْ^(١)

أَشَدُّ الْبِكَاةِ بِكَاءِ زَمَنِ الْأَلْفَةِ.

وَأَعْظَمُ الْحَسْرَاتِ ذِكْرُ أَيَامِ الصُّحْبَةِ:

(١) للشريف الرضي من قصيدته: يا ليلة السفح أأعدت ثانية. انظر: ديوانه (٢/٢٧٣-٢٧٥). وفيه: لم أقض منك لبانات...



لا يُذَكِّرُ الرَّمْلُ إِلَّا حَنَّ مَغْتَرِبُ له بذي الرَّمْلِ أوطارٌ وأوطانُ
تهفو إلى البانِ مِنْ قَلْبِي نوازِعُهُ وما بي البانُ بلْ مَنْ دارُهُ البانُ
أَسَدُّ سَمْعِي إِذَا غَنَى الحَمَامُ بِهِ أَنْ لا يُهَيِّجَ سَرَّ الوَجْدِ إِعْلانُ
وَرُبَّ دارٍ أُولِيها مُجانبَةٌ ولي إلى الدارِ أطرابٌ وأشجانُ
إِذا تَلَفْتُ في أَطْلالِها ابْتَدَرْتُ للعَيْنِ والقَلْبِ أَمْواهُ ونيرانُ
كَلِمٌ بِقَلْبِي أَداويهِ وَيَقْرِفُهُ طوْلُ اذْكارِي لَمَنْ لِي مِنْهُ نسيانُ^(١)

إن لم يكن لك مرْكوبٌ تعبِّدِ وقتَ السَّحْرِ، فاجلسْ على دَكَّةٍ استغفاري،

فإذا مرَّتْ بكِ جنائِبُ الأَحبابِ فصِحِّ بها:

أَقولُ لِرُكْبٍ رائِحِينَ: لَعَلَّكُمْ تحلون مِنْ بعدي العقيقَ اليبانيا
خُذُوا نَظْرَةً مِنِّي فَلَاقُوا بِها الحِمَى ونَجِداً وَكُثبانَ اللُّوى والمطالبا
وَمُرُّوا على أبياتِ حَيِّ برامَةٍ فقولوا: لَدَيْغٍ يبتغي اليَوْمَ راقيا
وقولوا لِحيرانِي على الحَيْفِ مِنْ مَنِي: تُراكم مَنِ اسْتَبَدَلْتُمْ بجواريا؟
وَمَنْ وَرَدَ المِاءَ الَّذِي كُنْتُ وارِداً بِهِ ورعى العُشْبَ الَّذِي كُنْتُ راعيا؟
فوالهفتي كم لِي على الحَيْفِ شَهْقَةٌ تَذوبُ عليها قِطْعَةٌ مِنْ فؤاديا؟!
صفا العيشُ مِنْ بعدي لِحِيٍّ على النقا حلفتُ لَهُم لا أَشْرَبُ المِاءَ صافيا
تَرَحَّلْتُ عَنْكُمْ، لِي أَمامِي نَظْرَةٌ وَعِشْرٌ وَعِشْرٌ بَعْدَكُمْ مِنْ ورائيا^(٢)

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: أَسَلْ بِدَمْعِكَ وادي الحَيِّ إن بانوا. انظر: ديوانه (٢/٤٤٩).

(٢) للشريف الرضي مِنْ قصيدة. انظر: ديوانه (٢/٥٧٠-٥٧١).



يُحَقُّ لِمَنْ رَأَى الرَّاحِلِينَ إِلَى الْحَبِيبِ - وَهُوَ قَاعِدٌ - أَنْ يَبْكِي .

وَلِمَنْ سَمِعَ أَخْبَارَ الْوَاصِلِينَ - وَهُوَ مُتَبَاعِدٌ - أَنْ يَقْلَقَ :

أَبْصَرَ الرَّكْبَ عَلَى الْجِزَعِ ضُحَى
يا خَلِيلِيَّ بِجَرَعَاءِ الْحِمَى
فَتَوَالِي دَمْعُهُ مُنْسَفِحَا
وَحُذَا عَنِّي أَحَادِيثَ الْغُضَا
سَائِلًا: مَنْ حَلَّ ذَاكَ الْأَبْطَحَا؟
وَاسْتَمَلَّاهَا بِدَمْعِي وَاكْتَبَا
بَخِلَ الرَّأْوِي بِهَا أَوْ سَمَحَا
وَإِذَا هَبَّ الصَّبَا قَوْلًا لَهُ:
عَنْ أَخِي الشُّوقِ جَوَى مَا شَرَحَا
عُدُّ فَقَدْ هَيَّبَتْ قَلْبًا مَا صَحَا
يَا أَهْيَلِ الْحَيِّ مِنْ كَاطِمَةٍ
عَادَ مَسْتُورُ الْهُوَى مُفْتَضِحَا
أَتَدْرُونَ مَا أَزْعَجَ هَذَا التَّائِبَ .

وَأَيَّ عِتَابٍ أَقْدَمَ هَذَا الْغَائِبَ؟
صَبَا لِنَسِيمِ الصَّبَا إِذْ نَفَخَ
فَحَنَّنَ إِلَى السَّفْحِ سَفْحِ الْعَقِيقِ
وَكَانَ كَثُومًا لَسْرَ الْهُوَى
فَدَعَاهُ يُنَادِي طُلُوعَ الْحِمَى

وَأَرْقَهُ لَمْعَ بَرْقِ سَنَخِ
فَسَاحَ لَهُ دَمْعُهُ وَانْسَفَحَ
وَلَكِنْ جَرَى دَمْعُهُ فَافْتَضَحَ
وَيَسْأَلُ رَامَةً عَمَّنْ نَزَحَ

أَنْتُمْ لَا تَعْذِرُونَهُ؛ لِأَنَّهُ فِي حَالٍ لَا تَعْلَمُونَهُ:

وَلَمَّتْ فِي الْبَرْقِ زَفْرَاتِي فَلَوْ عَلِمْتَ عَيْنَاكَ مِنْ أَيْنَ ذَاكَ الْبَارِقُ السَّارِي! (١)

(١) لمهيار الديلمي من قصيدته: لو كنت تبلو غداة السفح أخباري. وهو البيت (٤). انظر:

ديوانه (٢/٥٠).



دعوه يبكي على زمانٍ فات.

ويُنَادِي بِلِسَانِ الْحَسْرَاتِ:

مَنْ مُعِيدٌ أَيَّامَ ذِي الْأَثَلِ أَوْ مَا

قَلَّ مِنْهَا دَيْنًا عَلَيَّ وَقَرْضًا^(١)

مَا عِنْدَهُ مِنَ الْحَاضِرِينَ خَبَرٍ.

وَلَا لَهُ إِلَى النَّاطِرِينَ نَظْرٌ:

ظَنَّ الْأَرَكَ لَدَى وَايِهِ أَطْعَانَا

فَمَا اسْتَطَاعَ لِمَا أَخْفَاهُ كِتْمَانَا

فَبَانَ لِلرَّكَبِ مَا قَدْ كَانَ يَسْتَرُهُ

عَنْ كُلِّ مُسْتَخْبِرٍ مِنْ حُبِّ مَنْ بَانَ^(٢)

لَوْ قِيلَ لَهُ: صِفْ لَنَا حَالَكَ لِقَالَ:

صَوْنٌ دَمْعِي هَتَكْتُهُ

وَدَمِي قَدْ سَفَكْتُهُ

لَحِيْبٌ أَحْبَبْتُهُ

فَجَفَانِي فَخِفْتُهُ

غَابَ عَنِ مَقْلَتِي وَفِي

سِرِّ قَلْبِي وَجَدْتُهُ

وَحَيَاةَ الْهُوَى وَحُرُ

مَةِ لَيْلٍ سَهَرْتُهُ

لَا تَغَيَّرْتُ فِي هَوَا

كَ الَّذِي لَا عَدَمْتُهُ



(١) للشريف الرضي من قصيدته: عِنْدَ قَلْبِي عِلَاقَةٌ مَا تَقْضَى. وهو البيت الرابع، انظر: ديوانه (٥٧٦/١). وقد مرَّ في الفصل (٢٠).

(٢) لابن حيوس من قصيدة طويلة. انظر: ديوانه (٦٥٣/٢)، وفيه: فلم يطق لرسيس الشوق. و: فبان الركب شجو كان.



الفصل الرابع والثلاثون

شرابُ المحبةِ دائمُ السُّكرِ لا يصحو متناولُهُ.

كان الربيع بن أبي راشد^(١) كأنه مخمَّرٌ من غيرِ شرابٍ:

يُرْنَحِنِي إِلَيْكَ الشُّوقُ حَتَّى أَمِيلَ مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الشَّمَالِ
كَمَا مَالَ الْمُعَاقِرُ عَاوِدَتَهُ حُمِيًّا الْكَأْسِ حَالًا بَعْدَ حَالِ
وَيَأْخُذُنِي لِذِكْرِكُمْ ارْتِيَا حُ كَمَا نَشِطَ الْأَسِيرُ مِنَ الْعِقَالِ
وَأَيْسُرُ مَا الْأَقْيَ أَنْ هَمًّا يُغْصِّصُنِي بِذَا الْمَاءِ الزُّلَالِ^(٢)

كان أبو عبيدة يستغيثُ: واشوقاه إلى مَنْ يراني ولا أراهُ:

هَلِ الطَّرْفُ يُعْطَى نَظْرَةً مِنْ حَبِيبِهِ أَمْ الْقَلْبُ يَلْقَى رَوْحَةً مِنْ وَجِيبِهِ؟
وَهَلِ لِلْيَائِي عَظْفَةٌ بَعْدَ نَفْرَةٍ تَعُودُ فُتْلَهِي نَاطِرًا عَن غُرُوبِهِ؟
أَحِنُّ إِلَى نَوْرِ اللَّوَى فِي بَطَاحِهِ وَأُظْمَى إِلَى رِيَا اللَّوَى فِي هُبُوبِهِ
وَذَاكَ الْحِمَى يَغْدُو عَلِيلًا نَسِيمُهُ وَيُمْسِي صَحِيحًا مَأْوُهُ فِي قَلْبِهِ
هُوَ الشُّوقُ مَدْلُولًا عَلَى مَقْتَلِ الْفَتَى إِذَا لَمْ يَعُدْ قَلْبًا بَلْقِيَا حَبِيبِهِ^(٣)

رحل أصحابُ المعاني، وبقيَ أربابُ الدعاوي.

يا ديارَ الأحبابِ عندكِ خُبْرٌ؟^(٤)

(١) من الطبقة الثالثة من المصطفين من عبّاد أهل الكوفة. انظر: صفة الصفوة (٣/ ١٠٩).

(٢) للشريف الرضي من قصيدته: لمن دمن بذي سلم وضال. انظر: ديوانه (٢/ ١٧٥).

(٣) للشريف الرضي من قصيدة: انظر: ديوانه (١/ ١٣٢).

(٤) تتمته في كتاب «اللفظ» الفصل (٣٨)، ص ٧٢: أين ساروا وهل هم مُستقرُّ؟



راحة المريدين زيارة قبور الأولياء ومحادثتها^(١).

كان عمرو بن عتبة^(٢) يخرج بالليل إلى القبور، فيسلم عليهم، ويصف قدميه يُصلي إلى الصبح^(٣):

هَآئِمَّهَا مَنَازِلٌ تَعَوَّدْتُ مَنِّي إِذَا شَارَفْتُهَا التَّسْلِيَا
وَقَفْتُ فِيهَا سَالِمًا رَأْدَ الضُّحَى وَرُحْتُ مِنْ وَجِدِهَا سَلِيَا
وَلِلْهُوَى سَرِيرَةٌ يَعْرِفُهَا مَنْ حَالَفَ الْأَحْزَانَ وَالْهُمُومَا
قَدْ وَكَلَّتْنِي أَنْشُدُ الْبُرُوقَ عَنْ أَهْلِ الْحِمَى وَأَسْأَلُ الرَّسُومَا
يَا نَفْحَةَ الشَّمَالِ مِنْ تَلْقَائِهَا رُدِّي عَلَيَّ ذَلِكَ النِّسِيَا

(١) وهذا كقول المؤلف في كتابه «موافق المرافق» ص ٥٦ :

«مَنْ وَقَفَ عَلَى قَبْرِ بَشْرٍ وَمَعْرُوفٍ تَذَكَّرَ مَا كَانَا فِيهِ مِنْ مَعْرُوفٍ، مَنْ تَصَوَّرَ حَالَتِهَا أَثَرَ فِي صُورَتِهِ، مَنْ تَذَكَّرَ أَعْمَالَهَا بِكَيْ مِنْ غَفْلَتِهِ».

وكقوله فيه: «وَقَفْتُ عَلَى بَعْضِ قُبُورِ الصَّالِحِينَ فَقُلْتُ: يَا فُلَانِ بَاذًا نَلْتَ تَرُدُّدُ الْأَقْدَامِ إِلَيْكَ؟ فَقَالَ لِي [فِي «الْمَدْهَشِ» ١/ ٣٦٢]: فَقَالَ لِي هَاتِفٌ: أَقَدَمْتُ عَلَى تَرْكِ الْهُوَى بَلَا تَرُدُّدًا، فَتَرَدَّدْتُ إِلَيَّ الْأَقْدَامِ، كَانَ عَطْرٌ إِخْلَاصِي خَالِصًا، فَعَبِقَ نَشْرُهُ بِالْأَرْوَاحِ فَاسْتَنْشَقَهُ الْمُرِيدُونَ».

وكقوله ص ١٣٠: «فَرِغْتَ مِنَ الْقَوْمِ الْمَنَازِلِ، وَرَحَلْتَ إِلَى الْقُبُورِ النَّازِلِ، نَزَلَ الْمُرِيدُ تَلْكَ الدِّيَارِ، وَتَلَمَّحَ بَعِينَ الْبَصَائِرِ تَلْكَ الْأَثَارِ. إِذَا خَرَجْتَ إِلَى الْمَقَابِرِ فَتَأَمَّلْ قَبْرَ أَحْمَدَ وَبِشْرَ وَمَنْ جَانَسَهَا، تَرَاهُمَا عَمْرَانًا وَالْبَاقِي بَلَقَ».

(٢) تابعي كوفي جليل. ذكره ابن الجوزي في وفيات سنة ٢٥. انظر: المنتظم (٤/ ٣٤٩)، وصفة الصفة (٣/ ٦٨).

(٣) قال المؤلف في كتابه «موافق المرافق» ص ٥٥: «كَانَ عَمْرُو بْنُ عَتْبَةَ يَخْرُجُ عَلَى فَرَسِهِ لَيْلًا فَيَقِفُ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْقُبُورِ قَدْ طَوَيْتَ الصَّحْفَ وَرَفَعْتَ الْأَقْلَامَ. ثُمَّ يَبْكِي وَيَصِفُ قَدَمَيْهِ حَتَّى يَصْبَحَ، ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَشْهَدُ صَلَاةَ الصُّبْحِ».



نَمَّتْ عَلَيْكَ نَفْحَةٌ نَجْدِيَّةٌ حَمَلَتْ مِنْ عَرَارِهَا شَمِيمًا
 زَرَتْ وَلَمْ تُمْتِعْ وَذَنْبٌ مَقْلَتِي أَنْ الْكُرَى يَعْتَادُهَا تَهْوِيًا^(١)
 قَدْ أَلْبَسْتُ قُبُورَ الْقَوْمِ هَيْبَةً مَمْزُوجَةً بِأَنْسٍ فَالْقُلُوبُ تُعْظَمُّهَا، وَالْأَرْوَاحُ
 تَحْنُ إِلَيْهَا.

قال إبراهيم الحربي^(٢): قَبْرٌ مَعْرُوفٌ التَّرْيَاقُ الْمَجْرَبُ^(٣).

ما أحلى ذَكَرَ الْأَحْبَابِ.

(١) لأبي الحسن بن طاهر الحبار (أو الخباز). انظر: مثير العزم الساكن (٢/١٠٣-١٠٤).

(٢) بغدادى، من الأئمة المعروفين، توفي سنة ٢٨٥هـ. صفة الصفوة (٢/٤٠٤).

(٣) يقصد أن الدعاء عنده مظنة الإجابة.

وقد روى المؤلف هذا القول عن إبراهيم الحربي بالسند. انظر: كتابه «مناقب معروف الكرخي»، الباب (٢٧) ص ١٩٩-٢٠٠، وقال: «قد ذكرنا في الباب الذي قبله عن بشر [الحافي] أنه قال في المنام مثل قول الحربي».

وانظر: الطيوريات ص ٥٩٥.

وجاء في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة الشيخ الإمام الفقيه المحدث ابن لال: أحمد بن علي الهمداني (ت: ٣٩٨هـ)، (١٧/٧٦):

«قال شيرويه: كان ثقة، أوحد زمانه، مفتي البلد، وله مصنفات في علوم الحديث، غير أنه كان مشهوراً بالفقه».

قال: ورأيت له كتاب «السُّنن»، و«معجم الصحابة»، ما رأيت أحسن منه، والدعاء عند قبره مُستجابٌ...».

وهنا قال الإمام الذهبي (١٧/٧٧): «الدعاء مستجابٌ عند قبور الأنبياء والأولياء، وفي سائر البقاع، لكن سبب الإجابة حضور الداعي، وخشوعه وابتهاله، وبلا ريب في البقعة المباركة، وفي المسجد، وفي السَّحَر، ونحو ذلك، يتحصل ذلك للداعي كثيراً، وكلُّ مضطرٍّ فدعاؤه مجابٌ».

وانظر لزماماً: سير أعلام النبلاء أيضاً (٩/٣٤٣)، و(١٠/١٠٧)، و(١٦/٥١٩).



ما أطيّبَ حديثَ أولي الألباب!
 إليه أَحاديثُ نَعْمَانٍ وساكنه
 أَفْتَسُ الرِّيحَ عَنْكُمْ كُلِّمًا نَفَحَتْ
 مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ نِكْبَاءَ مِعْطَارٍ^(١)
 إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْأَحْبَابِ أَسْمَارُ

تَأْسُ النُّفُوسُ بِقُبُورِهِمْ حَتَّى بِاللَّيْلِ، وَتَنْفَرُ مِنْ قُبُورِ غَيْرِهِمْ بِالنَّهَارِ.

فَدَيْتُ تِلْكَ الْأَصْدَافَ وَمَا تَحْوِي مِنَ الدُّرِّ:

حَيِّ بِالْأَجْرِعِ تِلْكَ الْخِيَامَا واقرا عني من بهن السّلاما
 وانشد القلب الذي ضاع لما لعب البئير به وترامى
 ذكر الوصل الذي قد تقضى فاستهلت مقلته سجاما
 كلما ناع عليه بشجو علم النوح بذاك الحمّاما
 كيف لا يشكو ضناه إليكم حين سلطتم عليه الغراما
 عللوا قلبي منكم بوعدٍ ربّما بلع وعد مراما

رحل الصالحون وفاتوا.

ونحن متنا، وهم ما ماتوا^(٢):

(١) لصردر من قصيدته: لا أعذر المرء يصبو وهو مختار. انظر: ديوانه ص ٢٧-٢٨. والمنتظم (١٥٠/١٦).

(٢) هذا كقول محمد بن محمد العكبري (ت: ٤٧٢هـ):

أطيل تفكّري في أي ناسٍ مضوا قدماً وفيمن خلفونا
 هم الأحياء بعد الموت ذكراً ونحن من الخمول الميتونا
 انظر: البداية والنهاية (٢٠٦/١٣).

وقول أبي عبدالله ابن الدواليبي الأزجي (ت: ٧٢٨):

ماتوا فأحياهم إحياء ليلهم ومن سواهم أناس بالكرى ماتوا

انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٢٠١/٩).



خَلَّ طَرْفِي وَالْبُكَاءُ إِن كُنْتَ خَلِّي
 وَالْحُ مَنْ لَمْ يَدْرِ مَا طَعَمُ الْأَسَى
 لَمْ يَدْعُ وَقَرُّ النَّوَى فِي مَسْمَعِي
 هَذِهِ مِنْ بَعْدِهِمْ آثَارُهُمْ
 مَا وَقُوفِي فِي مَحَلِّ سَاكِنٍ
 يَتَمَنَّى طَيْفَكُمْ صَبِّ بَكْمِ
 وَالَّذِي يَسْتَجَلِبُ الطَّيْفَ الْكُرَى
 بَعَثْتُ حَلْمِي طَائِعاً لَا كَارِهاً
 وَاَنْقَضَى أَكْثَرَ عُمْرِي فِي الْقَلْبِ
 حَمَلُونِي الْخَفَّ مِنْ هَجْرِكُمْ
 عَجَباً لِي وَلِقَلْبِ ضَائِعِ
 حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى الْبَانِ الصَّبَا
 مَا عَلَى السَّائِقِ لَوْ حَلَّ النِّقَا
 فَعَسَى تُدْنِي الْمُنَى مِنِّْي مِنِّْي



الفصل الخامس والثلاثون

انقسم العبادُ ثلاثة أقسام:

فمنهم مَنْ لاحظَ الحصادَ فزادَ في البذرِ.

ومنهم مَنْ رأى حقَّ المخدومِ فقامَ بأدائه.

ومنهم مَنْ خَدَمَ محبةً فتلذذَ بالخدمةِ.

وهذه الخدمة لا ثقلَ لها؛ لأنَّ محرَّكها الحُبُّ، وغيرها ثقيلٌ على البدنِ.

تُوقُّ أبدانُ المحبين لا تحسُّ بالنَّصبِ؛ أسماؤها مشغولةٌ بصوتِ الحادي، وقلوبها معلقةٌ بالمنزلِ.

مَنْ عبدهُ خوفاً آمنهُ.

وَمَنْ عبدهُ رجاءً أعطاهُ أملهُ.

وَمَنْ عبدهُ حُبًّا فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخفيَ له.

كان ابنُ سمعون^(١) ينشدُ:

حاشاكِ مِنْ أَنْ تراني مَمَّنْ يُحِبُّكَ خوفاً

لم يبقَ مني وفاءً إلا وما منك أوفى

أفنيّني عَنْ جميعي فصرتُ أهواكَ ظرفاً

(١) زاهد عابد صالح، كبير الشأن، بغدادي، توفي سنة ٣٨٧هـ. صفة الصفوة (٢/ ٤٧١).



الشَّوقُ يُبكي عيونَ المشتاقين.

ويُقلِّقُ قلوبَ المحبين.

ورسائلُ القومِ يحملُها الأئين:

وأشتاقُ الديارَ لساكنيها
كما يشتاؤُ صحتهُ العليلُ
بكيْتُ لهجرِهِمُ حيناً وحيناً
لبعدهمُ وقد أزفَ الرحيلُ
فلم تَدْرِ النَّوى والهجرُ دمعاً
تُجادُّ بهِ المعالمُ والطلولُ
ومأ شَفَنِي وجدُّ عزيزُ
يُحاولُ قهرَهُ صبرٌ ذليلُ
جزى الريحَ الدَّبورَ اللهُ خيراً
فلي منها إذا هبَّتْ رُسولُ
أحمَلُهُ إلى جِبي^(١) سلاماً
تردُّ جوابهُ الريحُ القبولُ^(٢)

واعجباً للمحبةِ لا لذةَ فوقها، ولا عذابَ أشدَّ منها، لكنَّ عذابها

مُستعذب:

شغلتُ قلبي وسمعي في مودَّتكم
لا خلصَ اللهُ قلبي من محبتكم
ها قد غضبتُ على رُوحِي لأجلكم
حتى جفوتُ حياتي بعدَ جفوتكم
إذا تلَهَّبَ جمرُ الشَّوقِ في كبدي
أطفأهُ ماءُ التلاقي يومَ رؤيتكم^(٣)

(١) في الديوان: سلمى.

(٢) لابن حيوس من قصيدته: أرى سفهاً ولو جاء العذول. انظر: ديوانه (٢/٥١٥-٥١٦).

(٣) للوأء الدمشقي. انظر: ديوانه ص ٦٦ وفيه بيت آخر. والثاني هنا هو الثالث هناك.



أبكاهم الخوفُ دمعاً، ثم أبكاهمُ الشَّقْ دماً:
 قولوا لسُكَّانِ الحِمَى تحوّل الدمعُ دماً
 وكُلُّ حُلُوٍ بعدكم قد صار مُرّاً علقماً

كان عمرُ بن عبدالعزیز وفتح الموصلي بيكيانِ الدم:

أجارتنا بالغورِ والرَّكْبُ مُنْهِمٌ أيعلمُ خَالٍ كَيْفَ بَاتَ المُتَيْمُ؟
 رحلتُم وعُمُرُ الليلِ فينا وفيكمُ سواءٌ ولكن ساهرون ونومُ
 بنا أنتم^(١) مِنْ ظاعنينَ وخلفوا قلوباً أبْت أن تعرف الصَّبْرَ عنهمُ
 ولما جلى التوديعُ عَمَّا حذرتهُ ولم يبقَ إِلَّا نظرةٌ تُتغَنَّمُ
 بكيتُ على الوادي فَحَرَمْتُ ماءهُ وكيف يحلُّ الماءُ أَكْثَرُهُ دم؟^(٢)

الخوفُ يحرِّقُ.

والشَّقْ يُقلِّقُ.

إلا أن نسيمَ الأسحارِ يُروِّحُ القلبَ، ورجاءُ اللقاءِ يُعدِّلُ الحرارةَ:
 سقى دارَهُم^(٣) بالرقمتين وحيّاهما مُلِثٌ يُحِيلُ الترابَ في الدارِ أموأها
 وما بيَ إلا نَفْحَةٌ حاجرِيَّةٌ تُؤدِّي صباها ما تقولُ خُزامها
 وكيف بوصلِ الحبلِ مَن أحبُّه^(٤) وبين بلادينا زُرُودٌ وحَبْلاها؟

(١) ويحتمل: تنأيتم. فالمؤلف يثبت المدَّ ألفاً.

(٢) لمهيار الديلمي من قصيدة. انظر: ديوانه (٣/ ٣٤٤).

(٣) في الديوان: دارها.

(٤) في الديوان: وكيف بوصلِ الحبلِ يا أم مالك.



يراهما بعينِ الشَّوقِ قلبي على النَّوى
 دعوهُ ونجداً إنها شأنُ نفسه
 وهبكم منعمٌ أن يراها بعينه
 أزعجتموني بقلقكم يا تائبين.

أقلقتموني بحرقكم يا خائفين:
 يا صبا نجدٍ ويا بانَ الغضا
 لا يكنْ آخرَ عهدي بكم
 يا صبيانَ التوبة:

تقومون بمقالي.
 وتقومون على حرِّ المقالي.
 ويخرجُ عاطلُ البطالة وهو حالي.

وأنا لا أدري ما حالي.

﴿إِثْمًا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنَِي إِلَى اللَّهِ﴾^(٣).

(١) لمهيار الديلمي من قصيدة. انظر: ديوانه (٤/ ١٨٣-١٨٤).

(٢) لمهيار. انظر: مثير العزم الساكن (١/ ٩٧-٩٨).

(٣) من سورة يوسف، الآية ٨٦.



إِنْ وَصَلْتُمْ فَادْكُرُونِي.

إِنْ حَصَلْتُمْ فَأَسْهَمُونِي:

يَا غَادِيَا نَحْوِ هَضَابِ الْحِمَى بَلِّغْ رِسُومَ الدَّارِ مَا عِنْدِي

كَمْ لِي بِتِلْكَ الدَّارِ مِنْ وَقْفَةٍ أَشْكُو مِنْ الهَجْرَانِ وَالصَّدِّ

كَلَّمَا رَأَيْتُ التَّائِبِينَ تَقْلَقَلْ قَلْبِي.

وَإِذَا تَلَمَّحْتُ أَصْفَرَارَهُمْ تَبَلَّبَلْ لُبِّي.

وَإِذَا سَمِعْتُ حَنِينَهُمْ تَبَدَّدَ مَا أُعْبِي:

مَا نَاحَ فِي الْبَانِ الْحَمَامُ إِلَّا وَرَنَّحَنِي الْغَرَامُ

فَكَأَنِّي ثَمَلٌ تَمَشُّ شَتُّ فِي مَفَاصِلِهِ الْمُدَامُ

مَا لِي وَبَانَاتِ الْحِمَى لَوْلَا الصَّبَابَةُ وَالْهَيَامُ؟^(١)



(١) لابن المعلّم الهُرثي الواسطي مِنْ قصيدة. انظر: ديوانه (نسخة مكة ص ٣٤٠). وقد مرّت منها أبياتٌ في الفصل (٢٩).



الفصل السادس والثلاثون

قيل لرابعة: أما تشتاقي إلى الله؟

قالت: هو معي:

إِنْ كُنْتَ لَسْتَ مَعِيَ فَالذِّكْرُ مِنْكَ مَعِيَ يِرَاكَ قَلْبِي وَإِنْ غُيِّبْتَ عَن بَصْرِي
العَيْنُ تَفْقَدُ مَا تَهْوَى وَتَبْصُرُهُ وَبَاصِرِ الْقَلْبِ لَا يَخْلُو مِنَ النَّظْرِ^(١)

هذا المرادُ بقولِ القائلِ: ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيتُ اللهَ فيه:

لَبَّيْكَ يَا عَالِماً سَرِّي وَنَجَوَائِي لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ يَا قَصْدِي وَمَعْنَائِي
لَبَّيْكَ يَا كُلَّ كُلِّي يَا مَدَى أَمَلِي يَا مَنْطِقِي وَعِبَارَاتِي وَأَنْبَائِي
إِنْ كُنْتُ بِالْغَيْبِ عَنْ عَيْنِي مُحْتَجِباً فَالْقَلْبُ يِرْعَاكَ فِي الْإِبْعَادِ وَالنَّائِي^(٢)

قال الخواص^(٣): قال لي محمد بن الفضل^(٤): منذ أربعين سنة ما نظرتُ

إلى شيءٍ استحسنته حياءً من الله عزَّ وجلَّ:

إِنْ كَانَتْ الْعَيْنُ مُدُّ فَارِقَتَهَا نَظَرْتُ إِلَى سِوَاكَ فَخَانَتْهَا آمَاقِهَا

(١) للخليل بن أحمد، أو للخريمي، أو للحمدي. ينظر عشرة شعراء مقلون ص ٢٣٩-٢٤٠.

(٢) الأول للحلاج. انظر: الكشكول (١/ ١٨٥). وينظر الديوان ص ٢٣ (في المنسوب إليه).

(٣) هو إبراهيم بن أحمد الخواص، من أقران الجنيد، أصله من سر من رأى، لكنه أقام بالري، ومات بها سنة ٢٩١هـ. صفة الصفوة (٤/ ٢٩١).

(٤) من رجال الصفوة، توفي بسمرقند سنة ٣١٩هـ. صفة الصفوة (٤/ ١٦٥).



أو كانت النفس بعد البُعدِ آلفَةً حباً سواك فلا نالت أمانها
ما إن تنفّستُ إلا كنتَ في نَفْسِي تجري بك الروحُ مني في مجاريها^(١)

دخلوا على معروف^(٢) وهو يدورُ حولَ ساريةِ المسجدِ ويقول: يا حبيبي
يا حبيبي. فقالوا له: علمنا المحبة.

فقال: هذا لا يجيءُ بالتعليم.

مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ الْمَحَبَّةَ فَلْيَنْظُرْ إِلَى قَيْسٍ:

أنتَ على البُعدِ هُمومي إذا غبتَ، وأشجاني على القُرْبِ
لا أتبعُ القلبَ إلى غيركُم عيني لكم عينٌ على قلبي
لما تمكنتُ نيرانَ المحبّةِ من قلوبِ القومِ صيرتُ لحومَ الأبدانِ سَلِيًّا،
وفتحتُ سكرَ الدموعِ، فما قدروا على سدِّه.

كان مالكُ بنُ دينارٍ يبكي حتى يقعَ صريعاً فيحْمَلُ إلى أهله.

وكان عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ^(٣) يبكي حتى يُغشى عليه:

عرجوا بالرفاقِ نحو الركبِ وقفوا وقفةً لأنشدَ قلبي
وخذوا لي من النقيبِ لهماظاً أو ردّوا بي إلى العديبِ وحسبي

(١) للحلاج. وقد مرّت في الفصل التاسع.

(٢) الكرخي.

(٣) من الطبقة الرابعة من المصطفين من عبّاد أهل البصرة. صفة الصفة (٣/٣٢١).



فُهُبُوبُ الرِّيحِ مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ قُوتُ رُوحِي وَجَبْدًا مِنْ مَهَبِّ
يَا نَسِيمَ الصَّبَا تَرنَّمْ عَلَى الدَّو حِ بَصَوْتِ يُشْجِي وَإِنْ طَار لُبِّي
يَا غَصُونَ النَّقَا سَأَسْتَقِيكَ دَمْعِي وَكَفُّ عَيْنِي يَكْفِي عِيُونَ الشُّحْبِ
مَنْ مُعِيدٌ أَيَّامَنَا بِلَوَى الْجَزْ ع وَهِيهَاتَ أَيَّنَ مَنِّي صَحْبِي؟^(١)

أين الذين كانوا كالأعلام على جواد الهدى؟

ما بقي في الديار ديّار.

كان أويس إذا أمسى يقول: هذه ليلة الركوع، فيركع حتى يُصبح.

ويقول في الليلة الأخرى: هذه ليلة السجود، فيسجد حتى يُصبح.

وكان عبدة بن هلال^(٢) يقول: لله عليّ أن لا يشهد عليّ ليل بنوم ولا

شمس بأكل:

وَدَعْتُ قَلْبِي حِينَ وَدَعْتُهُمْ وَقَلْتُ: يَا قَلْبُ عَلَيْكَ السَّلَامُ

وَصَحْتُ بِالنَّوْمِ: أَنْصَرَفُ رَاشِدًا فَإِنَّ عَيْنِي بَعْدَهُمْ لَا تَنَامُ

بكى أسيد الضبي^(٣) حتى ذهب بصره، فعوتب على كثرة بكائه فقال:

(١) للمؤلف. انظر: مثير العزم الساكن (١٠٥/٢-١٠٦).

(٢) ثقفى زاهد، لا تُعرف أخباره. انظر: المؤلف والمختلف للدارقطني (١١٤/٢) والإكمال

لابن ماكولا (٣١/٦). وفي ضبط الاسم خلاف، وقد تابعت ضبط المخطوط.

(٣) من الطبقة السادسة من المصطفين من عبّاد أهل الكوفة. صفة الصفوة (١٦٣/٣).



كَيْفَ أَسْكُنُ وَأَنَا أَمُوتُ غَدًا؟! وَاللَّهِ لَا بُكَيْنَ، فَإِنْ أَدْرَكْتُ خَيْرًا فَيَمُنُّ اللَّهُ عَلَيَّ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَمَا بُكَائِي فِي جَنْبِ مَا أَلْقَى!؟

لا تُكْثِرَنَّ مَلَامَةَ الْعُشَّاقِ	فَكفاهم بالوجد والأشواق
أَتَلُومُهُمْ لِلنَّفْعِ أَمْ لِتَزِيدَهُمْ	باللوم إقلاقاً على إقلاقٍ؟
فَدَعِ الْمَحَبَّ مِنَ الْمَلَامَةِ إِنَّهَا	بَسَّ الدَّوَاءَ لِمُوجِعِ مَقْلَاقِ
لَا تُطْفِئَنَّ جَوَى بِلُومٍ إِنَّهُ	كَالرِّيحِ تُغْرِئِي النَّارَ بِالْإِحْرَاقِ
وَأَرَى رُقَى الْعُدَّالِ غَيْرَ نَوَافِعِ	لَا سِيَّامًا لِمُتَمِّمِ مَشْتَاقِ
مَا لِلْمَحَبِّ إِذَا تَفَاقَمَ دَاوُهُ	غَيْرُ الْحَبِيبِ يُزَوِّرُهُ مِنْ رَاقِ ^(١)

القوم مع الحبيب حاضرُونَ.

وعن الخلقِ غائبُونَ.

فَالْعُدَّالُ لِمَنْ يُحَدِّثُونَ؟

كَثَرَ فِيكَ اللَّوْمُ	وَأَيْنَ سَمِعِي وَهُمْ؟
قَلْبِي وَاللَّوْمُ عَلَيَّ	كَمْ مُنْجِدٌ وَمُتْهِمٌ
قَالُوا: سَهَرْتَ وَالْعِيو	نُ الْمُسْهَرَاتُ نَوْمٌ
وَلَيْسَ مِنْ ^(٢) جَسْمِكَ إِلَّا	لَا جِلْدَةٌ وَأَعْظَمُ

(١) لابن الرومي من قصيدة طويلة تبلغ (١٠٢) بيت، والأبيات المختارة هي فيها (١)، ٣،

١٦ - ١٩). انظر: ديوانه (٤/ ١٦٦٢ - ١٦٦٣)

(٢) في الديوان: في.



وما عَلَيْهِمْ سَهْرِي^(١) ولا رُقَادِي لَهُمْ
 وَهَلْ سَمَاتُ الْحَبِّ إِذْ لا سَهَرٌ وَسَقَمٌ
 خُذْ أَنْتَ فِي شَأْنِكَ يَا دَمْعِي وَخَلِّ عَنْهُمْ^(٢)

لو رأيتَ المحبَّ يهربُ من العُدالِ إلى فِلواتِ الخلواتِ، فإذا ناولَهُ الوجدُ
 كأسَ الدُموعِ اقترحَ عليه غناءَ الحمام:

ذَكَرَ الْأَحْبَابَ وَالْوَطَنَا وَالصَّبَا وَالْإِلْفَ وَالسَّكْنَا
 فَبَكَى شَجْوًا وَحَقًّا لَهُ مُدْنَفٌ بِالشَّقِّ حِلْفُ ضَنِي
 مَنْ لِمَشْتاقٍ تُمِيلُهُ ذَاتُ سَجْعٍ مِيَلَتْ فَنَّا؟
 لَمْ تُعَرِّضْ فِي الْحَنِينِ بِمَنْ لِكَ يَا وَرَقَاءُ أَسْوَةَ مَنْ
 بِكَ أَنْسِي مِثْلَ أَنْسُكَ بِي لَمْ تُذِيقِي طَرْفَةَ الْوَسْنَا
 نَتَشَاكِي مَا نَجِنَ إِذَا فَتَعَالَى بُدِّ مَا كَمْنَا
 أَنَا لَا أَنْتِ الْبَعِيدُ هَوَى أَنَا لَا أَنْتِ الْغَرِيبُ هُنَا
 أَنَا فَرْدٌ يَا حَمَامُ وَهَذَا أَنْتِ وَالْإِلْفُ الْقَرِينُ ثُنَا
 اسرِحَا رَأْدَ النَّهَارِ مَعًا وَاسْكُنَا جُنْحَ الدُّجَى غُصْنَا

(١) في الديوان: أرقى.

(٢) لمهيار الديلمي من قصيدة. والأبيات المختارة هي (١، ٢، ٥-٩). انظر: ديوانه

(٣/ ٣٢٢). وفيه: دمعِي خُذْ ودعهم.



وابكيا يا جارتِي لما لعبتْ أيدي الفِرَاقِ بنا
 أين قلبي ما صنعتِ بهِ ما أرى صَدْرِي لَهُ سَكنا
 حانَ يَوْمُ النَّفْرِ وَهُوَ معي فأبى أَنْ يَصْحَبَ البَدنا^(١)



(١) للحسين بن محمد البغدادي المعروف بالبارع. ولها تمة. انظر: المنتظم (١٧/ ٢٦٠ -
 ٢٦١)، وخريدة القصر - القسم العراقي (ج ٣ مج ١ ص ٨٣-٨٧)، وإخبار الملوك
 ص ٢٧٦-٢٧٧.



الفصل السابع والثلاثون

روى أبو ذر قال: سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ صلاةِ الليلِ أفضلُ؟

فقال: « نصف الليل، وقليلُ فاعلهُ »^(١).

ونقلَ أن داودَ عليه السلام قال: يا ربِّ، أيُّ ساعة أقومُ لك؟

فأوحى إليه: قم في شطرِ الليل حين تخلو بي وأخلو معك، فارفعِ إليَّ حوائجَكَ.

وقال داود: يا جبريلُ، أيُّ الليلِ أفضلُ؟

فقال: ما أدري إلا أنَّ العرشَ يهتزُّ مِنَ السَّحَرِ:

عثرتُ برمحكمُ الصِّبا سحرًا	فارتاحَ قلبي المُدنفُ الحرصُ
ما لي أراكِ سقيمةً بهم	يا ريحُ عندي لا بكِ المرصُ
أُتبعُها نفساً أشيعُها	فإذا جروحُ القلبِ تنتقضُ
قفُ صاحبي إن كنت تُسعدي	عند الكئيبِ فثمَّ لي غرصُ
وانشُدْ فؤادي عند كاظمةٍ	في كل ركبٍ راحٍ يعرَّصُ
أشكو ومنِّي أشتكى أَلَمي	عيني رمّت وفؤادي الغرَّصُ

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤٣٩/٣٥)، وغيره.



فَرَضُوا عَلَى الْعُشَّاقِ أَنْ لَا تَلْتَقِيَ أَجْفَانُهُمْ فِي هَجْرِهِمْ فَرَضُوا^(١)
 كَيْفَ اضْطَبَّارِي بَعْدَ فِرْقَتِهِمْ؟ وَأَشَدُّهُ مَا عَنْهُمْ عَوْضُ^(٢)
 رِيَا حِ الْأَسْحَارِ بَرِيدُ الْأَخْبَارِ:
 يَا نَسِيمَ الصَّبَا الْوَلْوَعِ بُوْجْدِي حَبَّذَا أَنْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِنَجْدِ
 أَجْرٍ ذَكَرِي - نَعِمْتَ - وَانْعَتُ غَرَامِي بِالْحِمَى وَلِتَكُنْ يَدًا لَكَ عِنْدِي^(٣)

يَا خَلِيلِي خَلِيَانِي وَهَمِّي أَنَا أَوْلَاكُمَا بَغِيْبِي وَرُشْدِي
 لَوْ أَمَنْتُ الْمَلَامَ وَالِدَمْعَ مَا اخْتَرْتُ وَقُوفِي عَلَى الْمَنَازِلِ وَحْدِي^(٤)

لَوْ سَمِعْتَ مَنَاجَاةَ الْقَوْمِ فِي الْأَسْحَارِ لَعَثَّتْ عَلَيْكَ عَيْشَ الدُّنْيَا:

فَالطَّوِيلُ السَّهْرِ يَقُولُ:

مَا كُنْتُ لَوْلَا طَمْعِي فِي الْخِيَالِ أَنْشُدُ نَوْمِي فِي طَوَالِ اللَّيَالِ
 أَسْأَلُ عَيْنِي كَيْفَ طَعْمَ الْكُرَى؟^(٥) عُلَالَةً وَهُوَ سَوَّالٌ مُحَالٌ

(١) نصه في «مثير العزم الساكن»:

فَرَضُوا عَلَى الْأَجْفَانِ إِذْ ظَعَنُوا لَا تَلْتَقِيَ فَاصِبْرٌ لِمَا فَرَضُوا
 وَهُوَ الصَّحِيحُ وَزْنَاً.

(٢) للمؤلف. انظر: مثير العزم الساكن (١٠٦/٢).

(٣) لابن الخياط الدمشقي من قصيدة طويلة. انظر: ديوانه ص ١٠٤.

(٤) ليس هذان البيتان في قصيدة ابن الخياط، لذلك فصلتها.

(٥) مرّ في الفصل (٢٣).



وكيف بالنوم على الهجر لي

والنوم من شرط ليالي الوصال؟^(١)

والمهجورُ يصيحُ:

ودّعوا يَوْمَ النَّوَى واستقلّوا

لَيْتَ شعري بعدها أَيْنَ حَلّوا

يَا نَسِيمَ الرِّيحِ بَلِّغْ إِلَيْهِمْ

أَنَّ عَقْدِي مَعَهُمْ مَا يُحِلُّ

لِي مِنَ الرِّيحِ الشَّهَالَ انتَهَالَ

فَإِذَا هَبَّتْ سُحَيْرًا فَعَلُّ

عَرَضُوا قَلْبِي لِسُقْمٍ طَوِيلِ

بَاطِنٍ يَظْهَرُ مِنْهُ الْأَقْلُّ

لَوْ بَكَتْ عَيْنِي عَلَى قَدْرِ وَجْدِي

صَارَ وَاوْدِيهِمْ دَمًا لَا يَحِلُّ^(٢)

والمُنْكَسِرُ ينادي:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الحَبَّ قَدُمَدَّ جَسْرُهُ

وَنُودِيَّ بالعشاق: قوموا بنا واسرّوا

خَرَجْتُ مَعَ الْأَحْبَابِ حَتَّى أَجُوزَهُ

فصَادَفَنِي الحَرْمَانُ وَأَنْقَطَعَ الجِسْرُ

وَمَالَتْ بِنَا الْأَمْوَاجُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

وَنَادَى مُنَادِي الحَبِّ: قَدْ غَرِقَ الصَّبْرُ

وَالخَائِفُ يَسْتغِيثُ:

يَا بُرَيْقَ الحَيِّ حَرَمَتِ المَنَامَا

فَانقَضَى ليلي قُعوداً وقياماً

أَتَرَى مَا قَدْ أَرَى يَا صَاحِبِي

كَيْفَ والشَّوْقُ بِرُوحِي يَتَرَامِي؟

يَا سَقَى اللهُ جِماهِم مَزْنَةً

حَلَبْتُ أَشْطَرُهَا أَيَدِي التُّعَامِي

(١) لمهيار الديلمي من قصيدة. انظر: ديوانه (١٦٦/٣).

(٢) للمؤلف. انظر: مثير العزم الساكن (١٠٦/٢-١٠٧).



يا نسيمَ الرِّيحِ بَلِّغْ وَأَعِدْ
 آهَ لَوْ عَادَ زَمَانِي بِهِمْ
 يا ليالينا على الأثلِ ارجعي
 يا صحابي بَلِّغُوا إِن جُرْتُمْ
 إِنَّ قَلْبِي يَوْمَ طَفْنَا بِاللَّوَى
 ورحلنا عَنْه بِالْوَجْدِ أَقَامَا
 قَلْقِي فِي حُرْقِي مِنْ أَرْقِي
 طَرَبِي فِي كَرَبِي مِنْ حَرَبِي
 يَرْتَقِي بِلِ يَنْتَقِي مَنِي الْعِظَامَا
 تَاهَ بِي فِيكُمْ وَلَمْ أَشْرَبْ مُدَامَا
 لَوْ جَرَتْ عَيْنِي عَلَى قَدْرِ الْأَسَى
 رَجَعَ السَّمَاءُ بِوَادِيهِمْ حَرَامَا^(١)

والعارفُ يُزْمِزِمُ:

بِاللَّهِ يَا رِيحَ الصَّبَا
 وَبَلِّغِي رِسَالَتِي
 وَاحْرَبَا وَهَلْ يَرُدُّ
 مَرِّي عَلَى تِلْكَ الرَّبِّي
 بِفَصَّهَا أَهْلَ قُبَا
 دُفَائِتَا وَاحْرَبَا؟

والمُحِبُّ يُنْشِدُ:

يا مالِكِ مَهْجَتِي وَوَالِي دِينِي
 هَجْرَانِكَ مَعَ مَحَبَّتِي يَضْنِينِي
 كَمْ يَنْشُرُنِي الْهَوَى وَكَمْ يَطْوِينِي؟
 هَلْ تُدْرِكُنِي بِنَظْرَةِ تَحْيِينِي؟

(١) للمؤلف. انظر: المدهش (٢/ ٦١٤-٦١٥).



وسكرانُ الوجدِ يُغني:

يَا مُنِيَةَ الْقَلْبِ مَا جِيدِي بِمَنْعَطِفٍ
لَوْ لَا الْمَحَبَّةَ مَا اسْتَلْمَعْتُ بَارِقَةَ
وَلَا وَقَفْتُ عَلَى الْوَادِي أَسَائِلُهُ
إِلَى سِوَاكُمْ وَلَا حَبْلِي بِمَنْقَادِ
وَلَا سَأَلْتُ حَمَامَ الدُّوْحِ إِسْعَادِي
بِالِدَمْعِ حَتَّى رَثَى لِي سَاكِنُ الْوَادِي

وَالْمُشْتَاقُ يَتَرْتَمُ:

لَوْ وَقَفَ الرِّكْبُ بِوَادِي الْأَرَاكُ
وَكُنْتُ أَسْتَصْحِبُهُمْ نَظْرَةً
يَا مَالِكَ الْقَلْبِ إِلَى كَمِّ وَكَمِّ
وَاللَّهِ لَا حُلَّتْ عَهْدُ الْوَفَا
سَأَلْتَهُمْ عَنْكَ وَمَنْ لِي بِذَاكَ؟
لَأَنَّ عَيْنِي تَشْتَهِي أَنْ تَرَكَ
تَجْفُو؟ فَقَدْ أَقْرَحَ قَلْبِي جَفَاكَ
دَهْرِي وَلَا اخْتَرْتُ حَبِيباً سِوَاكَ



الفصل الثامن والثلاثون

يا مضيِّعَ الزمانِ فيما يَنْقُصُ الإيَّمانِ.

يا مُعْرِضاً عن الأرباحِ مُتَعَرِّضاً بالخسرانِ:

جَدَّ الزمانُ وأنتَ هازلُ يُصِيبُكَ جَوْذُوكِ المَغازلِ

والشَّرُّ يَضَعُدُ مِنكَ والـ خَيْرُ العَمِيمِ إِلَيْكَ نازلُ

تاللهِ لا أَرْضِي فَعَا لكَ ذَا لِرَبَّاتِ المَغازلِ

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَدْرِكْ ذَوِي الرِّ رَتَبِ العَلِيَّةِ وَالْمَنازلِ

فَسَلِ المَنازلَ عَنْهُمْ واسمِعْ مُحَدِّثَكَ المَنازلِ

وُعَظِّمُوا زَمَاناً بالبوا نِقِ والصواعِقِ والزلازلِ

فَعَمُّوا وَصَمُّوا والمُؤَلِّ لِي خَلْفَهُ للدهرِ عازلِ

حَتَّى إِذَا أَمِنُوا الرِّدى نزلتْ بِهِمْ مِنْهُ نوازلِ

مَجْلِسُ الذِّكْرِ حُجَّةٌ، وَمَحِجَّةٌ، وَفِرْجَةٌ.

فيا حاضراً قد خرَجَ مِنْ سَجِنِ الهوى: تنزَّهُ فيمَا تَسْمَعُ وترى.

اسمِعْ أَيْنَ المُدْنِبِينَ، وَحَنِينَ المُحِبِّينَ.

وانظُرْ إلى بكاءِ الصادقينَ.



وتأمل حيرة المُشتاقين:

أرأيتَ ما فعلتُ بنا الأشواقُ لما استقلتُ للفراقِ نياقُ؟
يا حاديَ الأَطعانِ عُجْ مُتوقِّفاً وانظُرْ دمَ العُشّاقِ كيف يُراقُ
صَبَرُوا على صعبِ التهاجُرِ والقلي وتجرَّعوا مرَّ الفِراقِ وذاقوا

كم دخلَ إلى المجلسِ عاصٍ في باطنه باطيةُ خمرِ الهوى فعملتُ فيها حدَّةً
شمسِ المواعظِ، فاستحالتُ خالاً، فحلَّت:

يكونُ أجاجاً دونكمُ فإذا انتهى إليكمُ تلقى طيبكمُ فيطيبُ^(١)

لو عاينتَ قلبَ المشوقِ يخفقُ عند ذكرِ الحبيبِ فلا يقدرُ على إمساكه:

ألا فتى يسألُ قلبي: ما له ينزُو إذا برقُ الحمى بداله؟
فهبَّ يرجو خيراً من الغضا يسندهُ عنه فما روى له
أرادَ نجداً معه يبابل إرادةً هاجتَ له بلباله
وانتسمَ الرِّيحَ الصِّباَ ومن له بنفحةٍ من الصِّبا طوبى له^(٢)

يا معاشرَ التائبين:

سُبْحانَ مَنْ أقامكم وأعدنا.

(١) للعباس بن الأحنف من أبيات. انظر: ديوانه ص ٤٥.

(٢) لمهيار الديلمي من قصيدة. انظر: ديوانه (٢٢٧/٣). وفيه: بنفحة من الصبا طواله. وقال المحقق: أي: طويلة.

وفي مثير العزم الساكن (١/١٢٤) كما هنا.



وَقَرَّبَكُمْ وَأَبْعَدَنَا.

﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(١)

قفوا لأجلِ زمن.

ارحموا مَنْ قد عطب:

رُدُّوا المطيِّ وَإِلَّا رَدَّهَا نَفْسِي
يا سائقَ الظَّعنِ قلبي في رحالِهِمْ
وَأدمعي فُهما سَيْلٌ ونيرانُ
تحمَّلوا وفؤادي قبلَ سيرهِمْ
أمانةٌ رعيُّها والحِفظُ إيمانُ
ورُحْتُ والجسمُ كالرَّبْعِ الذي نزلوا
حيرانُ والدمعُ في الأجنانِ حيرانُ
لا روحَ فيه ولا للرَّبْعِ سُكانُ

مَا أحسنَ هُوَ لَاءِ التَّوَابِ؟!

مَا أذَلَّ وقوفَهُم على البَابِ؟!

اعتبروا ﴿يَتَأُولَىٰ الْأَلْبَابِ﴾^(٢):

بِمَا بَيْنَنَا مِنْ حُرْمَةٍ: هل رأيتُها أرقَّ مِنَ الشكوى، وأقسى مِنَ الهجرِ؟^(٣)

يُخَيِّلُ لي أَنَّ الحيطانَ تبكي معنا.

(١) مِنْ سورة إبراهيم، الآية ١١.

(٢) مِنْ سورة البقرة، الآية ١٧٩.

(٣) لعلِّي بن الجهم مِنْ قصيدته: عيون المها بين الرصافة والجسر. انظر: ديوانه ص ١٤٥ وهي

ضمن التكملة التي صنعها المحقِّق.



وَأَنَّ النِّسِيمَ قَد رَقَّ حُزُنُنَا:
 وَلَا وَمَنْ فَطَرَ الْأَشْيَاءَ مَا وَجَدَتْ
 كَوْجَدْنَا الْعَيْسُ بِل رَقَّتْ لِبَلْوَانَا
 أَتَدْرُونَ مَا أَقَامَ التَّائِبَ.
 وَأَيُّ شَيْءٍ اسْتَحْضَرَ الْغَائِبَ؟
 سَرَى نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ حَاجِرٍ فَصْبَا^(١)
 شَوْقُهُ يُقْلِقُهُ.
 خَوْفُهُ يُحْرِقُهُ:
 مَا يَبْرَحُ الْبَارِقُ النَّجْدِي يُزَعِّجُهُ^(٢)

طَارَتْ شَرَارَاتُهُ مِنْ جَوِّ كَازِمَةٍ^(٣)

يُودُّ لَوْ أَنَّ أَيَّامَ الْحِمَى رَجَعَتْ

(١) تتمته في «المدهش» (٧٣١ / ٢): فبات يشكو إلى أنفاسه الوصبا.
 (٢) في «المدهش» (٧٣١ / ٢): ما يبرح البارق النجدى يذكره. وتتمته: نجداً ويلهبه وجداً إذا التهبها.
 وهو بيت ثان للبيت السابق.
 (٣) لمهيار من قصيدته: لو كنت تبلو غداة السفح أخباري، وعجزه: تحت الدجى بلباناتي وأوطاري. وهو البيت الخامس. انظر: ديوانه (٥٠ / ٢).



يصيح عزمه^(١):

حلفتُ بدينِ الحبِّ لا خنتُ عهدكم^(٢)

يُنادي رفقاءهُ في اللهو:

قلْ للزمانِ: صلِحا قد عادَ ليلى صُبْحا^(٣)

فإذا قال له رفيقهُ: في أيِّ مجمعٍ كنتَ؟

قال:

موقفٌ يعرفهُ مَنْ عَشِقا	ضَمْنَا يَوْمَ تَنَادَا لِلنَّوَى
آخِرُ الْعَهْدِ لَطِيبِ الْمَلْتَقَى	مُلْتَقَى حُمٍّ وَخَفْنَا أَنَّهُ
وَبَرَدْنَا بِالْدموعِ الْحُرْقَا	فَتشاكينا الذي حَلَّ بِنَا
إِنَّا لِلْبُعْدِ كَالشَّيْءِ الْاللَّقا	عَلَّلْنَا بِلِقَاءِ نَافِعٍ
أَوْ ذَرَوْا فِي كُلِّ جَسْمٍ رَمَقَا	وَخَذُوا أرواحنا خالصةً
غمراتٍ والليالي أرقا	وارحموا مَنْ تَنْقِضِي أَيامُهُ

وإن قال له: فما الذي أصابك في المجلس؟

(١) كأنها كذلك.

(٢) تتمه في كتاب «اللطيف» للمؤلف، الفصل (٤١)، ص ٦٤: وتلك يمين لو عرفت غموس.

(٣) لمهيار الديلمي من قصيدة. انظر: ديوانه (٢/٢٠٩).



قال:

خُذِي حَدِيثَكَ فِي نَفْسِي مِنَ النَّفْسِ^(١)

وإن قال له: ارفق بنفسك.

قال:

كم بين مُسَهَّدٍ وسالي؟	قلبي كلفُ وأنتَ خالي
فالعاذلُ مالُه وما لي؟	حسبي حُرقي وفيضُ دمعي
ما يقنعُ لي بسوءِ حالي	حتّامَ يلومُ في هواهُ
مَن كان يجودُ بالوصالِ	قد صارَ لطيفه مَنوعاً
والجسمُ كما ترون بالي ^(٢)	الطرفُ على الحبيبِ باكٍ
يُغني عني وما احتيالي؟	والمجرُّ مُلازمي فماذا
والوصلُ إذا طلبتُ غالي	الصبرُ عن الحبيبِ صبرٌ
لا أنساهُ مدى الليالي	أقسمتُ بحبه وشوقي



(١) للشريف الرضي، ونصّه:

خذي حديثك من نفسي عن النفسِ وجدُ المَشوقِ المُعنى غير ملتبسِ

انظر: ديوانه (١/٥٥٧).

(٢) ورد هذا البيتُ ضمنَ قصيدة في «ديوان الدوبيت في الشعر العربي في عشرة قرون»

ص ١٦٥-١٦٦.



الفصل التاسع والثلاثون

سبب صلاح الدين رقة القلب، والقساوة مصيبة قوية.

قال مالك بن دينار: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب:

قد أصبحت قلوبنا قاسية يأبى لها الشقاء أن تلينا
تغرنا الدنيا كأننا لا نرى وجه الغرور ظاهراً مُبيناً
كم قد ظننا أنها تبقى لنا وغدرها يكذب الظنونا
وتوبة الشباب مستحسنة فكيف من قد جاوز الستينا؟

لما رقت قلوب الصالحين رقت الدموع إلى العيون، فهي تجري أسفاً على

تبذير النذور.

يا هذا:

لو عرفت ما فاتك صارت عينك عيناً بالبكاء:

أنام على سهوٍ وتبكي الحائم وليس لها جرمٌ ومنى الجرائم؟
كذبتُ وبيت الله لو كنت عاقلاً لما سبقتني بالبكاء الحائم^(١)

أسفاً لمهجورٍ ما يؤلمه الهجر.

(١) للمجنون. انظر: الأغاني (٢/ ٦٩-٧٠)، والثاني من أربعة أبيات في «الحماسة البصرية»

(٣/ ١١١٥) وقال: «قال قيس بن الملوح، وتروى لنصيب».



ولمَطْرُودٍ ما يُجسُّ بالطردِ:
 ما للبينِ سادتي يُغري بي
 قد قطعَ من وصالكم أسبابي
 الهجرُ أمرٌ من جميع الصَّابِ
 الموتُ ولا قطيعةُ الأحبابِ
 يا مَنْ قد قسا قلبُهُ:

اخرج إلى مجامع التائبين.

واسمِعْ صوتَ نياحتِهِم على الذنوبِ في ماتمِ الأحرانِ يتناوبونَ البكاءَ.
 قال حزم^(١):

قال لنا أشعث الحداني^(٢): انطلقوا بنا نزور حبيباً العجمي^(٣). فانطلقنا،
 فجلسَ هو وحبيبٌ يبكيان إلى أن جاء الظهر، ثم بكيا إلى العصر، ثم بكيا إلى
 المغرب، ثم ودَّعه وانصرف.

بكي يزيد الرقاشي حتى أحرقتِ الدموعُ مجاريها.

وبكى عطاء السليمي حتى عمش.

(١) حزم بن أبي حزم القطعي، واسم أبي حزم مهران، من عبّاد أهل البصرة، مات سنة ١٥٧ هـ. مشاهير علماء الأمصار ص ١٥٦.

(٢) من الطبقة الرابعة من المصطفين من عبّاد أهل البصرة. صفة الصفوة (٣/ ٣٣٥).

(٣) من الطبقة الرابعة من المصطفين من عبّاد أهل البصرة. صفة الصفوة (٣/ ٣١٦).



قالت أمُّ ضيغم^(١) له يوماً: يا ضيغمُ كيف فرحك بالقدومِ على اللهِ تعالى؟
فصاحَ وغُشيَ عليه، فجلستُ تبكي عند رأسه.

وقالت له يوماً: يا ضيغمُ تحبُّ الموتَ؟

قال: نعم رجاءَ خيرٍ ما عند الله.

فقالت له يوماً آخر: تحبُّ الموتَ؟

قال: لا، لكثرةَ تفريطي وغفلتي. فبكتُ واجتمعَ أهلُ الدارِ يبكون.

يا كثيرَ الذنوب، قليلَ البكاء:

ابكِ على عدمِ بكائك.

كانوا يبكون مع التقوى، وأنتَ تضحكُ مع الذنوب.

[.....]^(٢)

قال أبو بكر الزقاق^(٣): جنَّ عليَّ الليلُ في بعضِ البوادي، وكنتُ
محموماً، فرميتُ نفسي في قبةٍ هناك، وجعلتُ أئنُّ، ثم لمتُ نفسي، وقلتُ:

(١) ضيغم من الطبقة الخامسة من المصطفين من عبّاد أهل البصرة. صفة الصفوة (٣/٣٥٧).

(٢) كلمتان لم أستطع قراءتهما بسبب التصوير أو قص طرف الصفحة.

(٣) ترجم له ابن الجوزي في المصطفين من عبّاد أهل بغداد. صفة الصفوة (٢/٤١٥). وهو

من أهل القرن الثالث. وانظر: حلية الأولياء (١٠/٣٤٤)، وتاريخ بغداد (٥/٤٤٢).



تئين؟! فإذا بهاتفٍ مِنْ بعضِ زوايا القبة: يا أبا بكر: أنينُ المُحِبِّينِ
شوقُ كُلِّهِ^(١):

لَكَ مِنِّي عَلَى البَعَادِ نَصِيبٌ لَمْ يَنْلُهُ عَلَى الدُنُوِّ حَبِيبٌ
وَعَلَى الطَّرْفِ مِنْ سِوَاكَ حِجَابٌ وَعَلَى القَلْبِ مِنْ سِوَاكَ رَقِيبٌ^(٢)

كانت قلوبُ القومِ تزجرُ النفوسَ إِذَا أَتَتْ أَلَمًا ما يشبهه الشكوى فيكون
كرقدة في حضرة المبتلي^(٣).

قال الشبلي: نعسةٌ في ألفِ سنةٍ فضيحةٌ.

ساروا ورجعنا.

ورحلوا وانقطعنا.

هذه طريقهم فأين السالكُ^(٤)؟

(١) الخبر في كتاب «الأربعين في شيوخ الصوفية» للماليني (ت: ٤١٢هـ) ص ٢٠٨، برقم (٣٥).

(٢) لإبراهيم بن أحمد ابن المولّد الرقي الواعظ (ت: ٣٤٢هـ) ومعها آخران. انظر: البداية والنهاية (١١/٤١٧) وحاشية المحقق.

(٣) كأن الكلام هكذا، وفيه وقفة.

(٤) هذه الأسطر الأربعة الأخيرة كتبها المؤلفُ في الورقة (٦٩)، ثم ضربَ عليها، وكتبها في حاشية الورقة السابقة (٦٨).



هذه [صفاتهم] ^(١) فأين الطالب؟

هذي المنازل والعقي قُ فأين ليلي والحيام؟

لم يبقَ مذ صاحوا النوى لُمْتِيْمٍ فيها مقام ^(٢)



(١) ذهب الكلمة في التصوير أو في القص، إذ كُتِبَتْ هذه الجمل في الحاشية، واستدركتها من الموضوع المضروب عليه، و«موافق المرافق» ص ٨٦، و«المدهش» (٢/٦٢٠).
 (٢) لابن المعلّم الهُرثي الواسطي من قصيدته: ما ناح في البان الحمام. والبيتان المختاران هما (١٠، ١١). انظر: ديوانه (نسخة مكة ص ٣٤٠). وقد مرّت أبياتٌ منها في الفصلين (٢٩) و(٣٥).

وذكر البيت الأول في كتاب «صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز» المسمى «تاريخ المستبصر» ص ٣٢، ومعه بيت قبله، هو:

قل يا رفيقُ المستها م متى يفيقُ المستهام؟

وُنسباً إلى الأمير أبي الحسن بن المعلّم!



الفصل الأربعون

كان عتبة الغلام^(١) يأكلُ خُبزاً ومِلحاً، ويقول: العرسُ في الدارِ الأخرى.
وكان يقولُ في مناجاتِهِ: إِنَّ تُعَذِّبَنِي فَإِنِّي لَكَ مُحِبٌّ، وَإِنْ تَرَحَّمَنِي فَإِنِّي
لَكَ مُحِبٌّ.

وقيلُ لعبدالواحد بن زيد: إِنَّا لَا نَفْهَمُ كَلَامَكَ مِنْ بَكَاءِ عُتْبَةَ. فقال: إِنَّ
عُتْبَةَ يَبْكِي عَلَى نَفْسِهِ، أَفَأَنَاهَا؟ لِبَسِّ الْوَاعِظِ أَنَا:

المهجرُ عليَّ منك دائمٌ	والقلبُ إلى لقاءك هائمٌ
اللومُ فيك ينصحوني	والنصحُ خيانةُ اللوائمِ
كم صحَّ على السلوِّ عزمي	والحُبُّ يُجَلِّلُ العزائمِ ^(٢)
المُقْعِدُ والمُقيمُ عندي	ما دمتَ على الصدودِ قائمٌ
هل تُنقَعُ غُلَّةٌ لظامٍ	في اللِّجَةِ مِنْ جفائك حائمٌ؟
ما لي أجدُ الحِمَامَ أَنِّي	باحثٌ بأراكيها الحمامِ

قال عنبسةُ الخواص^(٣): باتَ عندي عتبةُ فبكى بالليلِ بكاءً شديداً، فلما
أصبحَ قلتُ له: قرَّعتَ قلبي الليلةَ ببكائكِ.

(١) عتبة بن أبان بن صمعة، من أهل الطبقة السادسة من عبّاد أهل البصرة. صفة الصفة
(٣٧٠/٣).

(٢) وردَ هذا العجزُ في قصيدة: الدمعُ يخون كل كاتم، في الفصل (٢٦).

(٣) يروي حديثاً ورفائق، ولا تُعرفُ له ترجمة. انظر: الثقات (٧/٥٣١)، ومجمع الزوائد
(٦٣/١٠).



فقال: يا أخي؛ إني ذكرتُ العَرَضَ على الله.

ثم جعلَ يَخُورُ وَيُحْشِرُ حَشْرَةَ المَوتِ، ويقولُ: تُرَاكَ تُعَذِّبُ مُحِبِّيكَ

وأنتَ الكَرِيمُ!؟

مَنْ لِقَلْبٍ هَائِمٍ دَنَفٍ كَلَّمَا سَكَّتَتْهُ قَلِقَا؟
 كَانَ لِي قَلْبٌ أَعِيشُ بِهِ فَاصْطَلَى بِالنَّارِ فَاحْتَرَقَا
 أَنَا لَمْ أَرْزُقْ مَوَدَّتَهُمْ إِنَّمَا لِلْعَبْدِ مَا رَزَقَا^(١)

قال مالكُ بن دينارٍ: وددتُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَذِنَ لِي يَوْمَ القِيَامَةِ أَنْ أَسْجَدَ

سَجْدَةً فَأَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنِّي، ثم يقولُ لي: كُنْ تُرَاباً:

وَإِنِّي لِيَرْضِيَنِي قَلِيلٌ نَوَالِكُم وَإِنْ كُنْتُ لَا أَرْضَى لَكُمْ بِقَلِيلٍ
 بِحُرْمَةٍ مَا قَدْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ الوُدِّ إِلَّا عُدْتُمْ بِجَمِيلٍ^(٢)

قال سَرِيُّ: رَأَيْتُ طَائِراً فِي بَعْضِ البِلَادِ يَصِيحُ طَوَلَ اللَيْلِ: أَخْطَأْتُ

لَا أَعُودُ. فَسَأَلْتُ أَهْلَ البَلَدِ فَقَالُوا: هَذَا يُسَمَّى فَاقِدَ الْفِهِ:

يَا طَائِرَ البَانِ غَرِّبِداً عَلَي فَنِي مَا هَاجَ نَوْحَكَ لِي يَا طَائِرَ البَانِ؟
 هَلْ أَنْتَ مُبْلَغُ مَنْ هَامَ الفِؤَادُ بِهِ؟ إِنَّ الطَّلِيْقَ يُوَدِّي حَاجَةَ العَانِي

(١) مَرَّ الشَّعْرُ فِي الفَصْلِ (٢٣).

(٢) نُسِبَا فِي «الأَغَانِي» (٨ / ٣٦٥) إِلَى العَبَّاسِ بنِ الأَحْنَفِ.

وَفِي «الزَّهْرَةَ» (١ / ١٥٥) إِلَى ذِي الرِّمَّةِ. وَلَيْسَا فِي «الدِّيوانِ» كَمَا قَالَ المَحْقِقُ.

وَفِي «الْمُنْتَخَلِ» (١ / ٤١٦) إِلَى ابْنِ الرُّومِيِّ. وَلَمْ يَجِدْهُمَا المَحْقِقُ فِي شَعْرِهِ.



ضمانَةٌ ما جناها غير مُقلتهِ
لولا تذكُّرُ أيامي بذي سلَمٍ
يومَ الوداعِ وواشوقي إلى الجاني
وعندَ رامةٍ أوطاري وأوطاني
لما قدحتُ بنارِ الوجدِ في كبدي
ولا بللتُ بهاءِ الدمعِ أجفاني^(١)

يجري على القومِ العظائمُ، إذا سمعوا نوحَ الحمائمِ:

أياماً بطنِ الوادينِ قفي
على الأراكِةِ بين الظلِّ والشَّجرِ
قفي أطارحكِ أنفاسَ الصِّبا سحرًا
فإنَّ أحبَّنا ساروا مع السَّحرِ
تجتمعُ الأحزانُ في قلوبِ القومِ فتورثُ الكمدَ، فيرتاحون في الليلِ إلى
نوحِ الحمَّامِ، ومهابِّ الرياحِ:

يا مَنْ في بحرٍ هجره ألقاني
أرحمُ دمعي عليك هذا القاني
أجأني إليك أني الجاني
الموتُ ولا تحكِّمُ الهجرانِ

ما غرَّدَ طائرٌ على الأغصانِ
إلا أشجاني بذكره أشجاني
يا شدةَ حسرتي ويا أحزاني
هل يرجعُ ذاهبُ الزمانِ الفاني؟

كم أكتُمُ حبُّكم عن الأغيارِ
والدمعُ يُذيعُ في الهوى أسراري؟
هبني غالطتُ رؤيةَ الأبصارِ
هل يخفى في الحشا هيبُ النارِ؟

(١) للشريف الرضي من قصيدة. انظر: ديوانه (٢/ ٤٧٥). وقد اختارها المؤلف في ترجمته في «المنتظم» (١١٧/١٥).



واشوقي إلى الحمى واشوقي تحتي نازٌ وحرُّها مِن فوقِي
محرومٌ مُعَذَّبٌ بالتوقِ واضعفي وكلُّ ذا في طوقي؟

أين الصبحُ هل أرى مِن فجرِ أين الصلحُ كم نُرى في الهجرِ؟
يا مَنْ يبري سهامه مُمَّ تَبري؟ سهمٌ يكفي لنحرِ هذا النَّحرِ

مَنْ يُرجعُ دهرنا بأرضِ الجِزعِ بين الأثلاثِ والرُّبى في سَلْعِ؟
قالوا: صبرٌ وليس ذا في وَسْعِي يا حُزنُ أقمِ، وأنتَ سرُّ يا دمعي

كمُ كمُ أشكو وأين نفعُ الشكوى؟ قد قلَّ تصبُّري وجَلَّ البلوى
ما لي جلدٌ على جفاكُم يقوى أهوى قلقي إذا جفا مَنْ أهوى

إنَّ كان بكائي في هواكُم يُجدي أقرحتُ بما يفيضُ منه خدي
أو كتتم ترضونَ بالجفا والصدِّ سلَّمتُ لأمرِكُم وهذا حدِّي



آخِرُ الكِتَابِ، والحمدُ لله.

فرغ من هذه النسخة ناظمه عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي
في يوم الخميس تاسع عشر ذي الحجة من سنة إحدى وثمانين وخمس مئة،
بالمدرسة الشاطئية باب الأزج، حامداً لله ومُصلياً على رسوله محمد وآله
أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.



ملحق حول « الذبيح »

قال ابنُ كثير في « البداية والنهاية »:

« مَنْ حكى القول عنه بأنه إسحاق:

كعب الأخبار، ورؤي عن عمر، والعباس، وعلي، وابن مسعود،
ومسروق، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والشعبي، ومقاتل،
وعبيد بن عمر، وأبي ميسرة، وزيد بن أسلم، وعبدالله بن شقيق، والزهرري،
والقاسم، وابن أبي بردة، ومكحول، وعثمان بن حاضر، والسدي، والحسن،
وقتادة، وأبي الهذيل، وابن سابط، وهو اختيارُ ابن جرير، وهذا عجبٌ منه!
وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس، ولكن الصحيح عنه وعن أكثر هؤلاء
أنه إسماعيل عليه السلام.

قال مجاهد، وسعيد، والشعبي، ويوسف بن مهرا، وعطاء، وغير
واحد عن ابن عباس: هو إسماعيل عليه السلام.

وقال ابنُ جرير: حدَّثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني عمرو بن قيس
عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال: المفدى إسماعيل، وزعمت
اليهودُ أنه إسحاق، وكذبت اليهود.

وقال عبدُالله ابن الإمام أحمد عن أبيه: هو إسماعيل.



وقال ابنُ أبي حاتم: سألتُ أبي عن الذبيح؟ فقال: الصحيح أنه إسماعيل عليه السلام.

قال ابنُ أبي حاتم: ورُوي عن علي، وابن عمر، وأبي هريرة، وأبي الطفيل، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد، والشعبي، ومحمد بن كعب، وأبي جعفر محمد بن علي، وأبي صالح أنهم قالوا: الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.

وحكاه البغوي أيضاً عن الربيع بن أنس، والكلبي، وأبي عمرو بن العلاء.

قلتُ:

ورُوي عن معاوية وجاء عنه أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: يا ابنَ الذبيحين فضحك. رسول الله ﷺ (١).

وإليه ذهب عمر بن عبدالعزيز، ومحمد بن إسحاق بن يسار، وكان الحسن البصري يقول: لا شك في هذا.

وقال محمدُ بن إسحاق عن بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن محمد بن كعب أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبدالعزيز وهو خليفة إذ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/ ٥٥٤)، وقال الذهبي: إسناده واه.



كان معه بالشام - يعني استدلاله بقوله بعد العصمة: ﴿فَبَشِّرْهُمَا بِإِسْحَاقَ
وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾^(١) - فقال له عمر: إِنَّ هَذَا الشَّيْءَ مَا كُنْتُ أَنْظُرُ فِيهِ،
وإني لأراه كما قلت.

ثم أرسل إلى رجلٍ كان عنده بالشام - كان يهودياً فأسلم وحسن
إسلامه، وكان يرى أنه من علمائهم - قال: فسأله عمر بن عبدالعزيز: أي
ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل - والله - يا أمير المؤمنين، وإن
اليهود لتعلم بذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم
الذي كان من أمر الله فيه، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أمر به، فهم
يوجدون ذلك، ويزعمون أنه إسحاق، لأن إسحاق أبوهم.

وقد ذكرنا هذه المسألة مستقصاةً بأدلتها وآثارها في كتابنا (التفسير)

والله الحمد والمنة^(٢).



(١) من سورة هود، الآية ٧١.

(٢) البداية والنهاية (١/٢٣٦-٢٣٧).



قائمة المصنّاور

- مؤلفات ابن الجوزي:
- أعمار الأعيان، تحقيق: محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١ (١٤١٤هـ-١٩٩٤م).
- التبصرة، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ١ (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م).
- ذم الهوى، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط ١ (١٩٦٢م).
- زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري، دار الوعي، حلب، ط ١ (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م).
- اللطف في الوعظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م).
- اللطائف (وهو كتاب « اللطف » عينه)، تحقيق: أحمد عبدالقادر عطا، دار الطباعة المحمدية، القاهرة (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م).
- لقط الجمان في كان وكان، مخطوط في مجموعة الفاتح في المكتبة السليمانية، برقم (٤٠٦١).



- مُشير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار
الراية، الرياض، ط ١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- مُختصر المُنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: أحمد جمعة عبد الحميد، دار
الآفاق العربية، القاهرة، ط ١ (٢٠١١م).
- المُدهش، تحقيق: عبد الكريم تّان وخلدون مخلوطة، دار القلم، دمشق،
ط ٢ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م).
- المُطرب للمُذنب، مخطوط في مكتبة المسجد الأقصى بيت المقدس،
برقم (٤٢٦).
- المقامات، نسخة خطية في مكتبة إنابي في بورصة برقم (١٥٨٩).
وهو مطبوع، ولكن هذه النسخة التي كانت تحت يدي.
- مناقب عمر بن عبدالعزيز، ضبط: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية،
بيروت، ط ١ (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م). طُبِع باسم: سيرة ومناقب عمر...
- مناقب معروف الكرخي، تحقيق: عبدالله الجبوري، دار الكتاب العربي،
بيروت، ط ١ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م).
- المُنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى
عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- المُشور، تحقيق: هلال ناجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١
(١٩٩٤م).



- المواعظ والمجالس، تحقيق: مجدي محمد الشهاوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط ١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

- الياقوتة، تحقيق: أحمد عبدالنواب عوض، دار الفضيلة، القاهرة (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

- المصادر الأخرى:

- إخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء للملك المنصور محمد بن عمر الأيوبي (ت: ٦١٧هـ)، تحقيق: ناظم رشيد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١ (٢٠٠١م).

- أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق للصولي (ت: ٣٣٥هـ)، تحقيق: ج. هيروث. دن، دار المسيرة، بيروت، ط ٢ (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

- الأعلام للزركلي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، (٢٠٠٢م).

- الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (ت بعد ٣٥٦هـ)، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط ٢.

- الإكمال لابن ماكولا (ت: ٤٧٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٤١١هـ).

- أمالي الزجاجي (ت: ٣٤٠هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجليل، بيروت، ط ٢ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).



- الأمالي لأبي علي القالي (ت: ٣٥٦هـ)، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.
- الابتهاال بما في شعر أبي العتاهية من الحِكم والأمثال لابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي إبراهيم كردي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ط ١ (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).
- البداية والنهاية لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، طبعة وزارة الأوقاف القطرية (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م).
- بُغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم (ت: ٦٦٠هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دمشق (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
- تاريخ الإسلام للذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- وتحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، فإن أردتها بينت.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م فما بعد).
- التاريخ لابن الفرات (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسن محمد الشماع، ساعدت جامعة البصرة على طبعه.



- التاريخ المظفري لإبراهيم بن عبدالله الهمداني الحموي المعروف بابن أبي الدم (ت: ٦٤٢هـ)، نسخة خدابخش في الهند.
- التذكرة الحمدونية لابن حمدون (ت: ٥٦٢هـ)، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط ١ (١٩٩٦م).
- تزيين الأسواق للأنطاكي (ت: ١٠٠٨هـ)، تحقيق: محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، ط ١ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
- تفسير القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- تفسير النيسابوري (ت بعد ٨٥٠هـ) «غرائب القرآن»، تحقيق: زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).
- التمثيل والمحاضرة للثعالبي (ت: ٤٢٩هـ) تحقيق وشرح وفهرسة: قصي الحسين [كذا كُتِبَ]، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ١ (٢٠٠٣).
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (ت: ٧٤٢هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الثقات لابن حبان (ت: ٣٥٤)، دار الفكر (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).
- حلية الأولياء لأبي نُعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تصوير دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٥هـ).



- الحماسة البصرية لعلي بن أبي الفرج البصري (ت: ٦٥٦هـ)، تحقيق: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١ (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- الخبر الدال للسيوطي (ت: ٩١١هـ)، ضمن الحاوي للفتاوي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت (١٤١١هـ - ١٩٩٠م).
- خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني (ت: ٥٩٧هـ):
قسم شعراء العراق، تحقيق: محمد بهجة الأثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ما بين (١٩٥٥-١٩٧٨م).
- قسم شعراء بلاد الشام، تحقيق: شكري فيصل، المطبعة الهاشمية، دمشق، ط ١ ما بين (١٩٥٥-١٩٦٨م).
- قسم شعراء مصر، تحقيق: أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس، لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة.
- خزانة الأدب للحموي (ت: ٨٣٧)، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ١ (١٩٨٧م).
- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور لزینب بنت علي العمالي (ت: ١٣٣٢هـ)، المطبعة الأميرية، مصر، ط ١ (١٣١٢هـ).
- الدر المنصّد في ذكر أصحاب الإمام أحمد للعلّيمي (ت: ٩٢٨هـ)، تحقيق: عبدالرحمن العثيمين، مطبعة المدني، القاهرة، ط ١ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).



- ديوان ابن حيوس (ت: ٤٧٣هـ)، تحقيق: خليل مردم، دار صادر، بيروت (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).

- ديوان ابن الخياط (ت: ٥١٧هـ)، تحقيق: خليل مردم بك، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، المطبعة الهاشمية (١٣٧٧هـ-١٩٥٨م).

- ديوان ابن الدّمينّة (ت: نحو ١٣٠هـ)، صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب، تحقيق: أحمد راتب النّفاخ، مطبعة المدني، مصر (١٣٧٩هـ).

- ديوان ابن الرّومي (ت: ٢٨٣هـ)، تحقيق: حسين نصّار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط ٣ (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

- ديوان ابن سنان الخفاجي (ت: ٤٦٦هـ)، تحقيق: مختار الأحدي نويوات ونسيب نشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

- ديوان ابن المعتز (ت: ٢٩٦هـ)، دار صادر، بيروت.

- ديوان ابن المعلّم الواسطي (ت: ٥٩٢هـ).

نسخة مكتبة مكة بمكة برقم (أدب ٣٣).

ونسخة معهد الدراسات الإسلامية ببغداد برقم (٢٩٢).

ونسخة الظاهرية بدمشق برقم (٦٧١١).

- ديوان أبي بكر الشّبلي (ت: ٣٣٤هـ)، جمعه وحقّقه وعلّق حواشيه وقدم

له: كامل مصطفى الشبيبي، مطابع دار التضامن، بغداد (١٣٨٦هـ-١٩٦٧م).



- ديوان أبي الحسن علي بن محمد التهامي (ت: ٤١٦هـ)، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن الربيع، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١ (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).
- ديوان أبي فراس الحمداني (ت: ٣٥٧هـ)، رواية ابن خالويه، دار صادر، بيروت.
- ديوان أبي نؤاس (ت: ١٩٨هـ)، تحقيق: أحمد عبدالمجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).
- ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبدالله بن محمد المعتز بالله (ت: ٢٩٦هـ)، تحقيق: محمد بدیع شريف، دار المعارف، القاهرة. فإن أردتها بينت.
- ديوان الأمير وجيه الدولة الحمداني (ت: ٤٢٨)، دراسة وتحقيق: محسن غياض، دون مكان ودون ناشر (١٣٩٤هـ-١٩٧٤م).
- ديوان جرير (ت: ١١٠هـ)، ضمن شرح الصاوي، مطبعة الصاوي، القاهرة (١٣٥٣هـ).
- ديوان الحلاج (ت: ٣٠٩هـ)، صنعه وأصلحه: كامل مصطفى الشبيبي، مطبعة المعارف، بغداد (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).
- ديوان الحماسة لأبي تمام (ت: ٢٣١هـ)، علّق عليه وراجعته: محمد عبدالمنعم خفاجي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م).
- ديوان الدّوبيت في الشعر العربي في عشرة قرون، صنعه وقدم له: كامل مصطفى الشبيبي، دار الثقافة، بيروت، (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م).



- ديوان الشريف الرّضي (ت: ٤٠٦هـ)، دار صادر، بيروت.
- ديوان الشريف المرتضى (ت: ٤٣٦هـ)، تحقيق: رشيد الصفار، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة (١٩٥٨م).
- ديوان صرّدر (ت: ٤٦٥هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط ٢ (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).
- ديوان الصّوري (ت: ٤١٩هـ)، تحقيق: مكّي السيد جاسم وشاكر هادي شكر، دار الحرية للطباعة، بغداد (١٤٠١هـ - ١٩٨٠م).
- ديوان الطغرائي (ت: ٥١٥هـ)، تحقيق: علي جواد الطاهر ويحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، ط ٢ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- ديوان العباس بن الأحنف (ت: ١٩٢هـ)، دار صادر، بيروت (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).
- ديوان علي بن أفلح العسبي البغدادي (ت: ٥٣٦هـ)، عُنِي بجمعه وتحقيقه: إبراهيم صالح، (مع كتابه «البديع»)، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ط ١ (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
- ديوان علي بن الجهم (ت: ٢٤٩هـ)، تحقيق: خليل مردم بك، دار الآفاق الجديدة، بيروت، دون تاريخ.
- ديوان علي بن عبدالرحمن البلنوبي الصقلي (من شعراء القرن الخامس الهجري)، تحقيق: هلال ناجي، دار الرسالة، بغداد (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م).



- ديوان عُلية بنت المهدي (ت: ٢١٠هـ) جمعه وحققه: سعدي ضناوي، دار
صادر، بيروت، ط ١ (١٩٩٧م).

- ديوان الغزي: أبي إسحاق إبراهيم بن عثمان الكلبي الأشبهي (ت:
٥٢٣هـ)، تحقيق ودراسة: عبدالرزاق حسين، إصدار مركز جمعة الماجد للثقافة
والتراث، دبي، ط ١ (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

- ديوان القاضي عبدالوهاب البغدادي المالكي (ت: ٤٢٢هـ)، جمع:
عبدالحكيم الأنيس، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي،
ط ١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

- ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ)، دار الجيل، بيروت.
- ديوان المتنبي. انظر: العرف الطيب.

- ديوان مهيار الديلمي (ت: ٤٢٨هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ١
(١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م).

- ديوان الوأواء دمشقي (ت نحو ٣٨٥هـ)، تحقيق: سامي الدهان،
مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، دار صادر، بيروت، ط ٢ (١٤١٤هـ -
١٩٩٣م).

- الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (ت: ٧٩٥هـ)، تحقيق: عبدالرحمن
العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م). فإن أردتُ
طبعة حامد الفقي يَنتُ.



- الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: عبدالحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطبعة حسان، القاهرة.
- رياض الصالحين للنووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار الجيل، بيروت.
- زهر الآداب وثمر الألباب لإبراهيم الحصري القيرواني (ت: ٤٥٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط ٣ (١٣٧٢هـ-١٩٥٣م).
- الزهرة لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني (ت: ٢٩٧هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط ٢ (١٤٠٦هـ-١٩٨٥م).
- سقط الزند وضوءه لأبي العلاء المعري (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: السيد السيد عبادة، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط ١ (٢٠٠٣م).
- السنن الكبرى للنسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبدالغفار البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٤١١هـ-١٩٩١م).
- السنن لأبي داود (ت: ٢٧٥هـ)، دار الفكر، بيروت.
- السنن لابن ماجه (ت: ٢٧٣هـ)، طبعة: محمد فؤاد عبدالباقي، تصوير دار الفكر، بيروت.
- سير أعلام النبلاء للذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت.



- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي «معجز أحمد» لأبي العلاء المعري (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: عبدالمجيد دياب، دار المعارف، القاهرة. تاريخ مقدمة المحقق (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).

- شعر الخلفاء في العصرين الراشدي والأموي لنبال تيسير خماش، وزارة الأوقاف، عمان (١٩٨٤م)

- شعر السَّراج البغدادي (ت: ٥٠٠هـ)، جمع ودراسة: عادل العزاوي، مطبعة العاني، بغداد، ط ١ (١٩٩٠م).

- الشمائل للترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سيد عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١ (١٤١٢هـ).

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢ (١٤١٤هـ-١٩٩٣م).

- صحيح البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، طبعة: مصطفى البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط ٣ (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

- صحيح مسلم (ت: ٢٦١هـ)، طبعة: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة: تاريخ المُستبصر لابن المُجاور: يوسف بن يعقوب الشيباني الدمشقي (كان حياً سنة ٦٢٤هـ، يُنظر



ص ١٥ منه)، اعتنى بتصحيحه وضبطه: أوسكر لوفغرين، طُبع في ليدن، بمطبعة بريل سنة (١٩٥١م).

- صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي (ت: ٣٦٩هـ)، مطبعة بريل، ليدن (١٨٩٧م).

- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (ت: ٧٧١هـ)، تحقيق: الطناحي والحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

- طبقات الصوفية للسلمي (ت: ٤١٢هـ)، تحقيق: نور الدين شريفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت.

- الطُّوريات من انتخاب أبي طاهر السلفي (ت: ٥٧٦هـ) من أصول كتب الشيخ أبي الحسين الطيوري (ت: ٥٠٠هـ)، تحقيق: مأمون الصاغري ومحمد أديب الجادر، دار البشائر، دمشق، ط ١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

- العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب لليازجي. دون أي بيانات.

- عشرة شعراء مُقلون لحاتم صالح الضامن، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد (١٤١١هـ - ١٩٩١م).

- عيار الشعر لابن طباطبا (ت: ٣٢٢هـ)، تحقيق: عبدالعزيز المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة.



- فهرس الفهارس والأبحاث للكتاني (ت: ١٣٨٢هـ)، بعناية: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).
- فيض القدير بشرح الجامع الصغير للمُناوي (ت: ١٠٣١هـ)، تصوير دار الفكر، بيروت.
- الكامل للمُبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية لأبي سعد الماليني (ت: ٤١٢هـ)، تحقيق: عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات لأيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- الكشف والبيان [في تفسير القرآن] للثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).
- الكشكول للعالمي (ت: ١٠٣١هـ)، تحقيق: محمد عبدالكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
- اللآلي في شرح أمالي القالي للبكري (ت: ٤٨٧هـ)، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).



- مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت: ٢١٠هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢ (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).
- مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي (ت: ٧٢٣هـ)، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد، إيران، ط ١ (١٤١٦هـ).
- مجمع الزوائد للهيتمي (ت: ٨٠٧هـ)، دار الفكر، بيروت (١٤١٢هـ).
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
- المحمّدون من الشعراء للقفطي (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد عبدالستار خان، دائرة المعارف العثمانية، الهند (١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م).
- مُختارات من المخطوطات العربية النادرة في مكتبات تركيا لرمضان ششن، وقف الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول (١٩٩٧م).
- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي (ت: ٦٥٤هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الرسالة العالمية، دمشق، ط ١ (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).
- مسامرة النُدمان ومؤانسة الإخوان لعمر بن محمد الرازي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: وليد مشوح، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ط ١ (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).



- المستدرك للحاكم (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١ (١٤١١هـ-١٩٩٠م).
- المُستطرف في كل فنٍّ مُستطرف للأبشيهي (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢ (١٩٨٦م).
- المُستفاد من ذيل تاريخ بغداد للدمايطي (ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: محمد مولود خلف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).
- مسند أبي يعلى الموصلي (ت: ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط ١ (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).
- مسند أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: مجموعة من المُحقِّقين، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- مشاهير علماء الأمصار لابن حبان (ت: ٣٥٤هـ)، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.
- مصارع العشاق للسراج (ت: ٥٠٠هـ)، تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاته، دار الكتب العلمية؛ بيروت، ط ١ (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).
- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع للقاري (ت: ١٠١٤هـ)، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ٥ (١٤١٤هـ-١٩٩٤م).



- المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبدالواحد المراكشي (ت: ٦٤٧هـ)،
تقديم: ممدوح حقي، دار الكتاب، الدار البيضاء.
- المعجم لابن المقرئ: أبي بكر محمد بن إبراهيم الأصبهاني الخازن المشهور
بابن المقرئ (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: عادل بن سعد، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١
(١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- مُعجم الأدباء لياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس،
دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١ (١٩٩٣م).
- مُعجم الكتب لابن المبرد (ت: ٩٠٩هـ)، تحقيق: يسري عبدالغني
البشري، مكتبة ابن سينا، مصر (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).
- المغني عن حمل الأسفار للعراقي (ت: ٨٠٦هـ)، ضمن: إحياء علوم
الدين، دار المعرفة، بيروت.
- المُتخل لأبي الفضل عبيدالله بن أحمد الميكالي (ت: ٤٣٦هـ)، تحقيق: يحيى
الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١ (٢٠٠٠م).
- المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد للعليمي (ت: ٩٢٨هـ)،
ج ٤ حقه: إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ط ١ (١٩٩٧م).
- المُؤتلف والمُختلف للدارقطني (ت: ٣٨٥هـ)، تحقيق: موفق عبدالله
عبدالقادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت.



- مؤلّفات ابن الجوزي لعبد الحميد العلّوجي، نشر مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط ١ (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).
- نفع الطيب للمقري (ت: ١٠٤١ هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- الوافي بالوفيات للصفدي (ت: ٧٦٤ هـ)، إصدار جمعية المستشرقين الألمانية، فرانز شتاينر بفيسبادن (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م).
- الوساطة بين المتنبّي وخصومه للجرجاني (ت: ٣٩٢ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت.
- وفيات الأعيان لابن خلكان (ت: ٦٨١ هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر.
- يتيمة الدهر للثعالبي (ت: ٤٢٩ هـ)، طبعة المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة (١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م).
- وتحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢ (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م)، فإن أردتها بيّنتُ.



قائمة المحتويات

٥	افتتاحية
٧	مقدمة المحقق
٩	توثيق نسبة الكتاب
٩	تنبيه على خطأ في ذكر العنوان
١٠	أسلوب الشيخ فيه
١٤	تاريخ التأليف ومكانه
١٥	مصادره
١٦	أثره فيما بعده
١٦	النسخة المعتمدة
١٨	نسختان للكتاب لم نرهما
١٩	رحلة النسخة، وموضعها الآن
٢١	عملي في الكتاب
٢٥	ترجمة المؤلف
٢٩	النماذج الخطية
٣٥	النص المحقق
٣٧	مقدمة المؤلف
٣٨	الفصل الأول: فيه ذكر آدم عليه السلام

- ٤٥ الفصل الثاني: في ذكر يوسف عليه السلام
- ٥٠ الفصل الثالث: فيه ذكر أيوب عليه السلام
- ٥٥ الفصل الرابع: فيه ذكر موسى عليه السلام
- ٦١ الفصل الخامس: فيه ذكر داود عليه السلام
- ٦٥ الفصل السادس: يا معشر العصاة
- ٧١ الفصل السابع: سبحان مَنْ سَبَقَ قضاؤُهُ، فَقَرَّبَ وَأَبْعَدَ
- ٧٥ الفصل الثامن: يا هذا: اعرفْ قدرَ ما ضاعَ منك
- ٨٠ الفصل التاسع: أحزانُ المُريدين دائمة، وآماقُهم بالدموع دامية
- ٨٦ الفصل العاشر: أيها المُعجبُ بشبابه
- الفصل الحادي عشر: يا هذا: ما خُلِقْتَ للدنيا، فلا تألُفْ منزلاً لا تصحَّ
- ٩٣ الإقامة به
- الفصل الثاني عشر: لما عرفَ الصالحون قدرَ قيمة الحياة أَماتوا فيها الهوى
- ١٠١ فعاشوا
- ١٠٧ الفصل الثالث عشر: يا صبيانَ التوبة: للنفسِ حظٌّ، وعليها حقٌّ
- الفصل الرابع عشر: لما تمكنتِ المعرفةُ مِنْ قلوبِ العارفينِ اشتغلوا
- ١١٢ بمعروفهم
- ١١٧ الفصل الخامس عشر: يا هذا: الجنةُ فوقك تُزخرفُ، والنارُ تحتكِ تُوقدُ
- ١٢٣ الفصل السادس عشر: يا مَنْ سُلطانُ شِبابِهِ قد تولى



- الفصل السابع عشر: لله درُّ أقوام تأملوا الوجود، ففهموا المقصود ١٣٠
- الفصل الثامن عشر: العباراتُ حظُّ النفوس، والإشاراتُ قُوتُ القلوب... ١٣٦
- الفصل التاسع عشر: يا مُتَشَبِّهًا بِالرُّهَادِ فِي ثِيَابِهِ وَسَمْتِهِ، لَا فِي ثَبَاتِهِ وَوَقْتِهِ... ١٤٢
- الفصل العشرون: يَا مُحْتَارَ الْقَدَرِ: اعْرِفْ قَدْرَ قَدْرِكَ ١٤٨
- الفصل الحادي والعشرون: إِخْوَانِي: إِطْلُقِ الْبَصَرَ يَنْقُشُ فِي الْقَلْبِ صُورَةَ
المنظورِ ١٥٣
- الفصل الثاني والعشرون: كَنُوزُ الْجَوَاهِرِ مُودَعَةٌ فِي مِصْرِ اللَّيْلِ ١٥٩
- الفصل الثالث والعشرون: انْقَسَمَ الصَّالِحُونَ عِنْدَ الْمَوْتِ ١٦٥
- الفصل الرابع والعشرون: يَا هَذَا: أَكْبَرُ دَلِيلٍ لَكَ عَلَيْنَا أَنْتَ ١٧١
- الفصل الخامس والعشرون: إِخْوَانِي: أَمَا تَرَوْنَ أَهْلَ الْقُبُورِ قَدْ أَوْثَقَهُم
الأسرُّ عَنْ حَرَكَةٍ فِي نَجَاةٍ؟ ١٧٦
- الفصل السادس والعشرون: يَا قَرَةَ الْعَيُونِ: أَيْنَ النَّازِرُونَ إِلَيْكَ؟ ١٨٣
- الفصل السابع والعشرون: سَفَرُ اللَّيْلِ لَا يُطِيقُهُ إِلَّا مُضَمَّرُ الْمَجَاعَةِ ١٨٨
- الفصل الثامن والعشرون: كَلَّمَا زَادَتِ الْمَعْرِفَةُ قُوَى الْخَوْفِ ١٩٣
- الفصل التاسع والعشرون: إِخْوَانِي: مَاتَ أَهْلُ الْعِزَائِمِ، وَخَلَّتِ الدِّيَارُ ... ١٩٨
- الفصل الثلاثون: إِخْوَانِي: إِذَا ذَكَرْنَا ذُنُوبَنَا يَسِّنَا ٢٠٥
- الفصل الحادي والثلاثون: يَا أَصْحَابَ الْأَنْفَةِ مِنَ الرِّذَائِلِ ٢١٠
- الفصل الثاني والثلاثون: أَيُّهَا الْمُقَصِّرُ عَنْ طَلَبِ الْمَرَادِ ٢١٦



- ٢٢١ الفصل الثالث والثلاثون: يا مَنْ كَانَ لَهُ مَعَنَا وَقْتُ فَتَكَدَّرَ
- ٢٢٥ الفصل الرابع والثلاثون: شَرَابُ الْمَحَبَّةِ دَائِمٌ السُّكْرِ لَا يَصْحُو مَتَنَاوَلُهُ
- ٢٣٠ الفصل الخامس والثلاثون: انْقَسَمَ الْعِبَادُ ثَلَاثَةً أَقْسَامٍ
- ٢٣٥ الفصل السادس والثلاثون: قِيلَ لِرَابِعَةٍ: أَمَا تَشْتَاقِينَ إِلَى اللَّهِ؟
- ٢٤١ الفصل السابع والثلاثون: رَوَى أَبُو ذَرٍّ قَالَ
- ٢٤٦ الفصل الثامن والثلاثون: يَا مُضَيِّعَ الزَّمَانِ فِيمَا يَنْقُضُ الْإِيمَانَ
- الفصل التاسع والثلاثون: سَبَبُ صَلَاحِ الدِّينِ رِقَّةُ الْقَلْبِ، وَالْقِسَاوَةُ
مُصِيبَةٌ قَوِيَّةٌ
- ٢٥٢
- ٢٥٧ الفصل الأربعون: كَانَ عُتْبَةُ الْغُلَامِ
- ٢٦١ آخر الكتاب وفيه تاريخ التأليف
- ٢٦٢ ملحق حول « الذبيح »
- ٢٦٥ قائمة المصادر
- ٢٨٣ قائمة المحتويات



صدر للمحقق عن

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

- ١- النبي ﷺ في رمضان. ط٢ (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ط٣ (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، ط٤ (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م).
- وطبعة خاصة عن مراكز الأميرة هيا بنت الحسين الثقافية الإسلامية. أما الطبعة الأولى فكانت سنة (٢٠٠٣م) عن دار البحوث.
- ٢- حقوق الطفل في القرآن. ط١ (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م). ط٢ (١٤٣٥هـ-٢٠١٣م).
- ٣- أدب المتعلم تجاه المعلم في تاريخنا العلمي. ط١ (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).
- ٤- الإمام القرافي وتجربته في الحوار مع الآخر. ط١ (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).
- ٥- توضيح قطر الندى للعلامة الأستاذ الشيخ عبد الكريم الدبان التكريتي: عناية وتقديم. ط١ (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ط٢ (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، ط٣ (١٤٣٧هـ-٢٠١٥م).
- ٦- التوقيع عن الله ورسوله. ط١ (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).
- ٧- موعظة الحبيب وتحفة الخطيب (من خطب النبي ﷺ والخلفاء الراشدين) للعلامة عليّ القاري (ت: ١٠١٤هـ): دراسة وتحقيق. ط١ (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).



- ٨- العناية بطلاب العلم عند علماء المسلمين. ط ١ (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
- ٩- قادة الأمة في رمضان. ط ١ (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، ط ٢ (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣).
- ١٠- رعاية الأسرة المسلمة للأبناء: شواهد تطبيقية من تاريخ الأمة. ط ١ (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).
- * عشر رسائل في التفسير وعلوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ): دراسة وتحقيق، وهي:
- ١١- رياض الطالبين في شرح الاستعاذة والبسملة.
- ١٢- الأزهار الفائحة في شرح الفاتحة.
- ١٣- الكلام على أول سورة الفتح.
- ١٤- ميزان المعدلة في شأن البسملة.
- ١٥- المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة.
- ١٦- اليد البسطى في تعيين الصلاة الوسطى.
- ١٧- الفوائد البارزة والكامنة في النعم الظاهرة والباطنة.
- ١٨- المحرر في قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾.
- ١٩- إتحاف الوفد بنبأ سورتي الخلع والحفد.



- ٢٠- الإشارات في شواذ القراءات.
وهذه الرسائل العشر صدرت في مجلدين، ط١ (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)،
ط٢ (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
- ٢١- الأخبار المروية في سبب وضع العربية للسيوطي: تقديم وتحقيق. ط١
(١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
- ٢٢- الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة للسيوطي: دراسة وتحقيق. ط١
(١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
- ٢٣- وداع رمضان للإمام أبي الفرج ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ): تحقيق
وتقديم. ط١ (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، ط٢ (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م).
- ٢٤- قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور للإمام الشيخ عبد العزيز بن
أحمد الديريني (٦١٢-٦٨٨هـ): تحقيق وتعليق. ط١ (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
- ٢٥- نداء إلى الآباء والأمهات (مطوية). ط١ (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
- ٢٦- دليلك إلى العمل اليسير والأجر الكبير (مطوية). ط١ (١٤٣٣هـ -
٢٠١٢م).
- ٢٧- البارق في قطع السارق للسيوطي: تحقيق ودراسة. ط١ (١٤٣٤هـ -
٢٠١٢م). ط٢ (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م).



٢٨- الضابطية للشاطبية اللامية لعلي القاري (ت: ١٠١٤هـ): تحقيق. ط ١
(١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).

٢٩- المسألة في البسمة لعلي القاري (ت: ١٠١٤هـ): تحقيق. ط ١ (١٤٣٤هـ -
٢٠١٣م).

٣٠- أربعون حديثاً من جوامع الكلم لعلي القاري (ت: ١٠١٤هـ)، عناية.
ط ١ (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م). (نشر في مجلة الضياء).

٣١- أفكار حول رمضان (مطوية). ط ١ (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).

٣٢- تعظيم الفتيان للإمام أبي الفرج ابن الجوزي البغدادي (ت: ٥٩٧هـ)،
تحقيق. ط ١ (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).

٣٣- رحم الله رجلاً (الأعمال التي دعا النبي ﷺ لعاملها بالرحمة). ط ١
(١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).

٣٤- جناح اللؤلؤ (كلمات في مكانة الأم). ط ١، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).

٣٥- رسالة في التفسير على صورة أسئلة وأجوبة للعلامة الشيخ عبد الكريم
الدبان: تقديم وعناية. ط ٢ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م)، أما الطبعة الأولى فكانت
عن دار البحوث بدبي، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

٣٦- عمر بن الخطاب والقرآن. ط ١ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م).



- ٣٧- الوزير ابن هبيرة وخواطره في القرآن. ط ١ (١٤٣٥ هـ - ٢٠١٣ م).
- ٣٨- القرآن دليلنا. ط ١ (١٤٣٥ هـ - ٢٠١٣ م).
- ٣٩- التفسير في مجالس التذكير. ط ١ (١٤٣٥ هـ - ٢٠١٣ م).
- ٤٠- أحباب الله في القرآن. ط ١ (١٤٣٥ هـ - ٢٠١٣ م).
- ٤١- قادة الأمة في رحاب القرآن. ط ٢ (١٤٣٥ هـ - ٢٠١٣ م).
- ٤٢- التربية القرآنية وأثرها في تنشئة الأجيال. ط ١ (١٤٣٥ هـ - ٢٠١٣ م).
- ٤٣- التربية القرآنية وأثرها في التنمية البشرية. ط ١ (١٤٣٥ هـ - ٢٠١٣ م).
- ٤٤- الوقف على القرآن. ط ١ (١٤٣٥ هـ - ٢٠١٣ م).
- ٤٥- تكوين مكتبة للأبناء. ط ١ (١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م).
- ٤٦- الكتاب بين الإعارة والاستعارة. ط ١ (١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م).
- ٤٧- التراث وإشكالية النضج والاحتراق. ط ١ (١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م).
- ٤٨- رسالة في علم الصرف للأستاذ الشيخ عبد الكريم الدبان التكريتي.
عناية. ط ١ (١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م).
- ٤٩- تراث التفسير بين المخطوط والمطبوع. ط ١ (١٤٣٦ هـ - ٢٠١٤ م).
- ٥٠- وظائف العقل في القرآن. ط ١ (١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م).



- ٥١- الإمام الزركشي وكتابه اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة. ط ١
(١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م).
- ٥٢- قيمة العمر: مختارات شعرية، جمع واختيار. ط ١ (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م).
- ٥٣- ثقافة الرجوع عن الخطأ. ط ١ (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م).
- ٥٤- منجزات علمية في رمضان. ط ١ (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م).
- ٥٥- أوحد النحاة العلامة أحمد بن محمد الحناوي (٧٣٦-٨٤٨هـ). ط ١
(١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م).
- ٥٦- خواطر حاجّ (من وحي حج ١٤٣٥هـ). ط ١ (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م).
- ٥٧- المجموعة النفيسة للعلامة الأستاذ الشيخ عبد الكريم الدّبان التكريتي.
عناية. ط ١ (١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م).
- ٥٨- روضة الناقل ونزهة العاقل للعلامة أبي الفرج ابن الجوزي البغدادي
(ت: ٥٩٧). عناية ودراسة. ط ١ (١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م).
- ٥٩- الخواتيم للإمام أبي الفرج ابن الجوزي البغدادي (ت: ٥٩٧هـ). عناية
ودراسة. ط ١ (١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م).

